

رئيس الندوة

بروفيسور : يوسف فضل حسن



السودانيون الجبرت

رئيس الندوة

بروفيسور : يوسف فضل حسن

بروفيسور: عبد الباقي محمد كبير
بروفيسور : السر سيد أحمد العراقي
بروفيسور : قيصر موسى الزين
بروفيسور : أحمد إلياس
بروفيسور : سيف الإسلام بدوي بشير
بروفيسور مساعد: عبد الله الجبرتي



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : السودانيون الجبرت

المـؤلف :

رقـم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٤

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_٥@yahoo.com

الفهرس



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات]



مؤسسة كبيري للإغاثة والتنمية بالمملكة المتحدة

KEBIRE FOUNDATION FOR RELIEF & DEVELOPMENT- UK

Charity No. ١١٢١٠٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات].

تم إهداء هذا الكتاب إلى مؤسسة كبيري للإغاثة والتنمية وذلك لدورها في مساعدة المحتاجين اللاجئين الإرتريين في كل من السودان وإثيوبيا.

لمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال على أحد الأرقام التالية:

لندن (أبو خالد) ٤٤٧٥٧٨٦٣٧٣٦٨+ برمنجهام (موسى بشير) ٤٤٧٨٢٨٧٤٦٨٢٥+

أو عبر البريد الإلكتروني: kebireuk@gmail.com

إهداء

إلى كل مسلمي شرق أفريقيا

إلى كل من ناضل واجتهد لينشر ليحفظ دين الله

إلى كل الجبرت في بلاد الله قاطبة

إلى إخواني الشهداء

شكر وتقدير

الحمد لله من قبل ومن بعد

بداية أشكر كل شيوخ وأعيان الجبرت في السودان الذين ظلوا يشجعوني ويدعمونني بكل ما طلبت.

واخص بالشكر السيد عمدة الجبرت محمد الحسن الجبرتي الذي عاش معي لحظات العمل على هذا الكتاب لحظة بلحظة.

كما أشكر الأخ الأستاذ الفاضل / علي عبد الله عبد العليم لاجتهاده ومراجعته التاريخية.

ولا يفوتني أن أشكر اللجنة المساعدة لمشيخة الجبرت بالخرطوم فردًا فردا وعلى رأسهم الشيخ الفاضل صالح محمد عمر حجي ، والذين وقفوا معي قبل وأثناء إعداد هذا الكتاب.

كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ عبد الرحمن طه النور الذي كان المفكر والسند الخفي لجهود إعداد الندوة وطباعة الكتاب برفقة الإخوة من أعيان الجبرتة في المملكة العربية السعودية ومصر وأوروبا وأمريكا.

أتقدم بوافر الشكر والتقدير للسادة إدارة السجل المدني الذين كان لهم القدح المعلي لدفعنا للبحث والكتابة في هذا الموضوع .

أخيرا أشكر وأقدر كل الجنود المجهولين الذين شاركوا في دعم وإعداد الندوة وإخراج الكتاب ، وأخص الذين قاموا على حراستي قبل وبعد موعد الندوة.



السودانيون الجبرت

تقديم:

يعتبر كتابة تاريخ جماعة قبائل الجبرت في السـودان من أصـعب ما يكون ، وذلك لثقافة الانصهار والذوبان الوا سعة التى يتبعونها وتميزهم لدي اختلاطهم بالمسلمين ، إضافة إلى اختلاط مصطلح الا سم جبرتي في أذهانهم بالإ سلام وأنه فقط للتفريق بين المسـلم والكافر في بلاد الحبشـة والقرن الإفريقي، وهذا ما دعانا إلى اقتباس الكثير مما كتبه الأقدمون من مؤرخي العرب الذين زاروا مملكة الجبرت ، بدون زيادة كثيرة في معظم الأحيان. ولأن الجبرت بعد انصـهارهم في المجتمع الـ سوداني الـم سلم انـ ضموا وانتـ سبوا للمجتمعات المحيطة بهم ، لقلة أعدادهم في السابق مقارنة بالمجتمعات التى خالطوها .

جاءت الرغبة في البحث عن الجبرت كعنصـر مكون للمجتمع الحديث في السودان رغبة في إبراز

الدور الثقافي والديني والاجتماعي الذي إضـافته هذه المجموعة لفسـيفسـاء المجتمع السـوداني الحديث ، والذي اكتسبته من خبرتها وتاريخها الزاهر في نشر الإ سلام والحفاظ عليه في منطقة شرق أفريقيا ، ولإ ضافة هذا التاريخ الإ سلامي العتيق للثقافة الـ سودانية ، لتكتمل صورة العروبة والإ سلام في شكلها النموذجي في الـ سودان . إ ضافة إلى ذلك عموم الاتجاهات الفكرية والاجتماعية والثقافية الـ سيا سية في بلادنا الـ سودان في عصـرنا هذا و التى تدعوا للتمييز بين القبائل من أجل زيادة البحث والتعريف بخصـائص مكونات الأمة السودانية . ونتمني أن لايكون جهدنا هذا مدعاة إلى غير ذلك.

بعد أن تمت المشـورة بين أفراد الإدارة الأهلية وأعيان قبيلة الجبرت لكتابة هذا السـفر لصـالح إدارة السـجل المدني ، دار نقاش وحوار بين أفراد الجبرت المحتفظين بهذا الاسـم والراغبين في اسـتمرار تفرده ، وآخرين اختلطوا بين القبائل الأخرى وانتسبوا إليها من جميع القبائل السودانية ، قبائل شرق السودان خاصة ، وهم ما يزالون يعرفون علاقة اسـم الجبرت بهم . فاتفق الرأي بأن الجميع له الحرية في الانتسـاب لأي قبيلة مـسلمة شاء حـسب الأعراف القبلية الـسائدة والمـصاهرة الاجتماعية القائمة ، كما له الحق في الانتـساب إلى الجبرت ومشاركتهم في كل برامجهم ، وأن هذه الكتاب ليس إلا جهدا داعما للذين يريدون الإبقاء علي اسم

الجبرت ، وإ ضافة لمن يريد معرفة بعض من تاريخ الجبرت في الـ سودان . وبذلك يـستعيد ا سم الجبرت خصوصيته التاريخية في عموميته الظرفية والزمانية لجميع مسلمي شرق أفريقيا وخصوصيته لفئة منهم.

وفي ذلك نـ شكر جميع من ساهم بالرأي أو المعلومة من كل المهتمين بتاريخ الجبرت عامة وفي الـ سودان خاصة . كما نشكر الإخوة في السجل المدني الذين طلبوا هذا السفر ، والذى لولاهم لتأخر كثيرا بحث وكتابة تاريخ الجبرت في السـودان ، ونتمنى أن يكون ما جاء فيه مقدمة لمزيد من البحث والاسـتزادة في تاريخ هذا المجتمع الإسـلامي الرائد في شـرق أفريقيا ، إنقاذا لجزء كبير جدا من تاريخ الإسـلام في هذه المنطقة الأهم من البلاد الإسلامية.

بعد المحاولات الجادة والقوية من قبل أعداء الله والإ سلام لتـشويه تاريخ الإ سلام في شرق أفريقيا ، وتذويب الثقافة والمجتمع الجبرتي تحت مسـميات مشـوهة وأخرى فارغة المحتوي والمضـمون . إلا أن عراقة الأصل وعمق الجذور الإسلامية ثم العربية وعبق تاريخ الصراع الإسلامي المسيحي وذياع صيت هذا الا سم في الدعوة إلى الله وحفظ القرآن وتعاليم الإ سلام ، تمكن المجتمع الجبرتي المسلم الصامد من رد كل المحاولات الكنسية والجهوية الأخرى والبقاء ككل الثقافات الإسلامية العريقة في العالم الإسلامي « علم في على رأسه نار» ، والحمد لله علي ذلك.



■ مفاهيم تعريفية

مفهوم تعريف المجموعات البشرية في الإسلام:

قال الله تعالى في أ صل مقصد خلقه للناس وتصنيفهم في جماعات وأ شكال وألوان ، أي الحكمة من ذلك ، وهو بذلك يحدد لنا ما ينبغي فعله بهذا التصنيف كحكم ديني إذا ما لم يعمل المسلم بمقتضاه يكون قد خرج عن مقصد الدين ومراد خالق البشرية.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [سورة الحجرات الآية ١٣].

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ ﴾ [سورة الروم الآية ٢٢].

وقال الرسول ﷺ (أنا أشرف العرب ولا فخر) كما قال أيضا لبعض الصحابة لما أخذوا يتفاخرون بعروبتهم وأنسابهم علي غيرهم (ليست العربية بأم لأحدكم ولا أب ، إنما العربية لسان أو لغة ، ومن تحدث بها فهو عربي) وقال في موقف آخر (أنا جد كل تقي).

كل هذه المرجعيات الدينية تدعو إلى الاحتفاظ بالقبلية العرقية لأغراض التعارف فقط . لاغير. وتدعو للتعظيم من شأن أخوة الدين ، وبالتالى من فعل غير ذلك فقد خالف الدين صراحة . وهذه جريمة لا يعرف أحد مدي غضب الله عنها. ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه.

ومنذ أن طلب مني الكتابة في هذا الموضوع وأنا أتخوف أن أعبر عن جهل وجاهلية تؤدّى إلى النار وغضب الله في الدنيا والآخرة ، وإذ أكتب هذا الكتاب لا أقصد غير وجه الله وحكمته من جعل البشر شعوبا وقبائل . ليس لتشريف أحد ولا للحط من أحد آخر . لذلك فليعلم كل من يقع هذا الكتاب بين يديه أن قصدي ومبتغاي في كل تعبير وكلمة وغيرها مما في الكتاب هو العمل بحكم الله في هذا الأمر ، وإن فهم غير ذلك فمن الـ شيطان فليـ ستعذ بالله وليظن بي الخير ويردني إلى الحق مادمت حياً وليـ ستغفر لي بعد موتي ، والله علي ما أقول شهيد .

مصطلح القبيلة ومصطلحات الشعوب والأمم والقوميات في الدين:

ذكر الله تعالى تســميات عدة للمجموعات البشــرية منها القبيلة والشــعب والأمة والقوم ، وقد جاءت كل تـسمية بمعني يتنا سب مع مو ضوعها ، والعربية كما هو معروف عنها أفـصح لغة وأكثر تعبيرا وتمثيلا لمراد الفكر . لذلك كان لابد للمسلمين أن يتخذوا من هذا الانتساب الشكل الذي يقيمونه فيما بينهم ليتعارفوا.

جاء في صحيح البخاري: رجلان من المهاجرين والأنصار تشاجرا فَقَالَ الأَنْصَارِي يَا لَلأَنْصَارِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرِي يُا لَلْمُهَاجِرِينَ فَسَمِعَ ذَاكَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَقَالَ: **مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ (أي ضرب) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ .فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**».

نسب الشعب والشعوب :

(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ذكر اسم الشعب في الآية السابقة وقصد به مجموعة بشرية أكبر من القبيلة ، ربما مجموعة من القبائل يجمعها رابط ما.

نسب القبيلة والقبلية :

ذكر اسم القبيلة والتى تعني بالانتساب للسابقين من الآباء . وهي أقدم عادة وأسلوب للانتساب للبشرية ، وقد ســمانا الله تعالى ببني آدم مرات في القرآن . ونجد أن هذه التســمية وأســلوب الانتســاب موجود في كل أنحاء العالم ومنذ القدم وهو تقليدي كذكرك اسمك مقرونا باسم أبوك وجدك . وبذلك تنتمي القبيلة إلى الجد المؤ سس للمجموعة ، وتكون بالتالى العرق والجذر الدموي واللوني والشكلي . فنجد أن لون و شكل وربما لغة هذه المجموعة متطابقة بين أفرادها . لذلك فهي غالبا ما تكون الأقوى لأن ما يجمعها هو الحنين والعاطفة الإنسانية الأ سا سية ، عاطفة الأبوة والأمومة والأخوة الأ سرية . لذلك تذكر المجموعة بأنهم بني فلان .وتصبح القبيلة شعبا عندما تكبر لمئات السنين ويزداد عددها ومساحة الأرض التى تغطيها.

نسب القوم والقومية :

نســب الله تعالى في أغلب القصــص القرآنية مجموعات بشــرية قبلية وعرقية قائمة إلى رســلهم وأنبيائهم وقادتهم مثل قوم لوط وقوم هود وقوم نوح ، ويقصد بالقوم الجماعة أو الأهل سواء إن كانوا قبيلة أو شعب أو أمة . وتجاوز المولي عز وجل كل ذلك ليبرهن أن المغزي الأســاســي كان الدين والدعوة وليس غيرهما . وقد كانت هذه المجموعات التى بعث فيها الر سل والأنبياء مجموعات قبلية و شعوب معروفة . بذلك نري أن طريقة ذكر واستخدام الأقوام ونسبتهم في القرآن هي أقرب إلى القبلية . فالقبيلة تنتسب إلى اسم جد بعينه ، والقومية نسبها الله تعالى إلى ر سله وأنبيائه أو إلى وجهائها . ولا نري أفضل أو أحسن من أ سلوب المولي عز وجل .

الأمة والأممية :

الأمة ذكرها الله تعالى في مواقع متعددة وقصد بها وصفا لمجموعة من المؤمنين أو الخاطئين ، وبالتالى لم تنسب إلي لون أو عرق . كما ذكرت أيضا للتعريف بالاختلافات الشكلية واللونية للمخلوقات عامة الحيوانات والحشرات وغيرها (أمم أمثالكم) وبالتالي سميت للتصنيفات الأكبر حجما في تعميم شامل لها . والأمة في اللغة تعني الجيل والجنس من كل حي.

وردت كلمة «أمة» في القرآن الكريم ٤٩ مرة. منها ٤٣ آية مكية، والبقية الباقية مدنية. كما وردت كلمة «أمم» ١١ مرة، منها ١٠ آيات مكية وآية واحدة فقط مدنية، مع ملاحظة أن لفظ «الأمة» في الآيات المكية إنما يعود إلى الأمم الكافرة التى كذبت أنبياء الله ورسله قبل الإسلام. وقد ورد ذكرها من باب العظة والاعتبار لمشركي قريش كما في قوله تعالى : ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ [غافر: ٥]. هذا وقد جاءت «أمة» في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة على الوجه التالى : ».

١- بمعنى : دين ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [النحل: ٩٣]. أي على دين واحد .

٢- بمعنى : إمام ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾ [النحل:١٢٠] أي إمام الحنفاء.

٣- بمعنى : زمن ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف: ٤٥]. أي تذكر بعد مدة من الزمن.

٤- بمعنى : عصبة أو مجموعة من الناس ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ [القصص: ٢٣]. أي جماعة من الناس يسقون أغنامهم.

٥- بمعنى : قوم ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾[النحل ٩٢].. بمعنى أن يكون قوم أكثر من قوم .

بذلك يمكن القول: إنه ليس هناك معنى محدد لكلمة أمة، بل وحتى لو قبلنا الوجه الجماعي كمعنى لهذا المصطلح، فليس من السهل اعتباره معنًى سياسيًّا نظرًا لعدم تحديد هوية هذه الجماعة أو مدى اشتراكها في صفات معينة أو لغة مثلاً.

وأشار القرآن الكريم إلى العرب على أنهم أمة ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ ﴾[الرعد: ٣٠]. كما ميز القرآن أمة المسلمين من غيرها من الأمم في ثلاث آيات مدنية.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والوسط هو العدل والأخير والأفضل.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ويرى بعض المفسـرين أن الآيتين الأخيرتين تدلان على عمومية لفظ الأمة في المجتمع الإسـلامي كل بحسب عصره، وبذلك تتميز الأمة الإ سلامية على مستوين: الأول داخل الأمة الإ سلامية حيث تكون هناك مجموعة من الأفراد تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. والثاني هو المستوى العالمي حيث تكون الأمة الإسلامية أفضل أمم الأرض السابقة واللاحقة من جهة القيام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يترتب على ذلك تناقض المفهوم القرآني للأمة مع المفهوم المعاصـر الذي يعني الاشـتراك في اللغة والعادات والتاريخ وكذلك بالنسبة للموقع الجغرافي والجذور العرقية. فالقرآن يتعامل مع المصطلح بشكل أشـمل وأوسـع؛ حيث ينتمي للأمة الإسـلامية كل مسـلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بغض النظر عن جنسه أو لونه أو لغته أو تاريخه، كما أن الأمة مركبة من جماعات وأعراق ولغات، بل وبها أديان وملل ولكنها ليست عناصر صراع وتفتيتي، بل عناصر قوة وتضامن، وجدير بالتأمل هنا وصف دستور المدينة -الذي كان بمثابة العقد السياسي الأول للرسول ﷺ -وصفه للنصارى و،هود بأنهم «أمة من الناس.»

أما الأحاديث النبوية التى تشير إلى مفهوم الأمة الإسلامية فيه أكثر من أن تحصى ويتحدث فيها النبي ﷺ عن أمته في الدنيا والأخرى. وبذلك يتحد المفهوم النبوي للأمة مع المفهوم القرآني، وإن كانت الشـواهد في الأحاديث أكثر بكثير من الآيات القرآنية .

مما سـبق نجد إن الدين لم يذكر المجموعات البشـرية بتسـمياتها لأي غرض غير التعريف . ويكون التعريف لغرض معرفة الفروقات في الإمكانيات الفكرية والمادية التى خص الله بها مجموعة دون أخري ، ومن ثم تبادل الفوائد والتعاون علي البر والتقوي . وفي السنة النبوية نجد أيضا إن مسميات القبلية والشعبوية تم أيضا لهذا الغرض . ونبذ ونهي الرسول ﷺ كل استخدام يخالف مقاصد الدين .

الجهوية عند المسلمين:

يقصــد بالجهوية الجهة أو البلد التى ينتســب إليها الفرد أو الجماعة وبذلك تكون أوســع واشــمل من التســميات الســابقة . وقد ذكرت الســيرة النبوية اســتخداما للجهوية مثل بلال الحبشــي وســلمان الفارســي وصهيب الرومي وهذه أشهر الأسماء إلى استخدم في حقها ذلك.

مفاهيم تسمية المجموعات البشرية في العلوم الحديثة

القبيلة:

هي جماعة من الناس تنتمي في الغالب إلى نسب واحد يرجع إلى جد أعلى، وتتكون من عدة بطون وعشائر. غالبًا ما يسكن أفراد القبيلة [موقعاً جغرافيا] مشتركًا يعدونه وطنًا لهم، ويتحدثون لهجة مميزة ، ولهم ثقافة متجانسة أو تضامن مشترك ضد العناصر الخارجية على الأقل ..

تنتشر القبائل في كل قارات العالم، منها ما اندثر كما هو الحال مع بعض القبائل الأوروبية مثل الجرمانيين، ومنها ما كاد يندثر مثل قبائل الهنود في أمريكا الشمالية والجنوبية ، ومنها ما ذاب في المجتمعات الحضرية المتاخمة كما هو الحال مع بعض قبائل جنوب غربي آسيا. وتختلف عادات هذه القبائل وطرق معيشتها وفنونها وأنظمتها الاجتماعية .

القبائل في علم الاجتماع الحديث :

يشترط علماء الاجتماع لقيام أي جماعة وجود عنصرين هما : الاستقرار المكاني ، وعاطفة الجماعة ، هذان العنصران متوفران في القبيلة التى تتألف من عشائر ، فإن كانت بدوية مترحلة فلها دائرتها المكانية رغم أن هذه الدائرة تتغير من حين لآخر. فإذا ما استقرت هذه العشائر في مكان واحد ينشأ بين أفرادها تضامن أقوى تشد من أزره رابطة القرابة .

والقبيلة بهذا المفهوم مجتمع محلي ، حتى وإن كان بعض عشائرها أو أفخاذها مترحلين لا يعيشون متجاورين. وكل مجموعة لها ما تسميه القرية أي مجالها المعروف من الأرض. وتربط بين الجميع و شائج عاطفية تشد أفراد الجماعة إلى بعضهم وهي ما يطلق عليها العصبية القبلية ، وتنبع هذه العصبية من الشعور بوحدة الجماعة من صلات القربى ومن كونهم يعيشون على أرض واحدة.

القبائل وثقافاتها عند العرب :

تعد القبيلة المجتمع الأكبر لأهل البادية ، وعلى الرغم من أن مصطلح قبيلة اندثر في كثير من المجتمعات سواء في الغرب أو الشرق ، إلا أن اللفظة لا تزال حية يستعملها العرب في كل مكان ، بل يفتخر كثيرون منهم بانتمائهم إلى قبائل بعينها. على النقيض من ذلك نجد أن هذا المصطلح اتخذ معنى آخر لدى معظم الشعوب التى استعمرتها الدول الغربية إذ أطلق معظم الأوروبيين كلمة قبيلة على الشعوب المستعمرة التى كانت أقل تقدمًا منهم ، واكتسب المصطلح لديهم معنى المجموعة البدائية لذا نجد كثيرًا من الأفارقة وبعض الشعوب الأخرى يعدون كلمة قبيلة بمثابة تحقير لهم.

من أجل هذا لجأ كثير من العلماء إلى تقسيمات أخرى مثل المجموعة العرقية ، أو الأمة أو الشعب ، إلا أن العرب يفرقون بين الشعب والقبيلة والمجموعة العرقية ..

قام علماء الأنساب بترتيب قبائل العرب ترتيبًا تنازليًا باختلاف طفيف بينهم ، كالآتي : الشعب ، مثل عدنان وقحطان ؛ والقبيلة مثل ربيعة ومضر؛ والعمارة، مثل قريش وكنانة ؛ والبطن ، مثل بني عبد مناف وبني مخزوم وبني أمية وبني هاشم ؛ و الفخذ، مثل بني المطلب ؛ والعشيرة ، مثل بني تميم وبني شيبان ؛ والفصيلة ، مثل بني أبي طالب وبني العباس ..على الرغم من أن علماء الأنساب العرب يكادون يتفقون على ما تقدم من ترتيب طبقات القبائل ، إلا أن حركات هجرة القبائل ، سواء أكانت طوعًا أو كرهًا جعلت هذا الترتيب غير مستقر، إذ ذابت البطون والأفخاذ ، وقلما استخدمت مصطلحات العمارة والفصيلة ، وصارت وحدة العشيرة أكثرها شيوعًا بل صارت تستخدم لتغطي معنى القبيلة أحيانًا بعد أن أصبح هناك خلط شديد بين المقصود من البطن أو الفخذ .

الثقافة والحياة الاجتماعية

الحياة الأسرية:

يرتبط أفراد القبيلة في زمر اجتماعية عن طريق مجموعة من الروابط والعلاقات، وتمثل رابطة القرابة أهم هذه الروابط ، وتزداد هذه الروابط بالزواج داخل ما يسمى بالأسر الممتدة التى لها نظامها الخاص في المسكن والمطعم واختيار الأسماء والأعراف والتقاليد .

الزواج :

قلما يتزوج أفراد القبيلة العربية من خارج العشيرة ، ولكن قد يتجاوز في ذلك أحيانًا حينما يتم زواج بنات بعض زعماء العشائر لتوثيق الصلات ودعم الأحلاف بينها ، ولا يسمح النظام الداخلي للقبيلة بأن تتزوج المرأة رجلاً من خارج القبيلة ، لأن ذلك يكون بمثابة مخالفة صريحة لنظام الزواج في القبيلة قد يؤدي إلى عداء وحروب ذلك أن الفتاة تعد في المجتمع القبلي زوجة لابن عمها ، عقدها وحلها بيد ابن عمها إلا إذا لم يرغب فيها ، فلها أن تتزوج بمن تريد داخل حدود القبيلة .

غالبًا ما يتزوج الشباب في البوادي القبلية في أعمار مبكرة نسبيًا . ويتم الزواج عادة بصورة بسيطة، ويكون المهر رمزيًا . يذهب الخاطب ووالده فيطلبان البنت من أبيها أو ولي أمرها. ودرجت العادة عند بعض القبائل أن يسمح الأب لابنته أن تذهب إلى بيت زوجها وهي بنت تسع أو عشر سنين ، لكنه لا يبني عليها إلا بعد

بلوغها ، وحينذاك تكون خبيرة بشؤون البيت والزوج والأولاد . ومن المهام التى تقوم بها الزوجة بجانب مهامها المنزلية من طبخ وغ سل وإكرام لل ضيوف، أنها تعلف الجمال وال شياه وتحلب وترعى الغنم، وتجز الصوف وتغزله لتصنع منه الفرش، وتدبغ جلود الذبائح لتصنع منها القرب والدلاء. وهي التى تجلب الماء وتخيط الملابس.

الضيافة :

للقبائل شهرة كبيرة في الكرم سواء كان ذلك في الـ شرق أم في الغرب. ومن المعلوم أن قبائل الهنود كانت في بادئ الأمر تكرم الوافدين البيض ، ولم تنشــأ العداوة بين الهنود والبيض إلا بعد أن بادر الرجل الأبيض بالعداوة قتلاً وتـ شريدًا ومـ صادرة للأرا ضي. أما رجال القبائل في الـ شرق العربي فقد ا شتهروا عبر تاريخهم الطويل بكرم النفس ورحابة الصدر والنخوة وإكرام الضيف. ويرى بعضهم أن استقبال الضيف في أي وقت من ليل أو نهار واجب مفروض عليه أداؤه. وإذا أقبل شخص على جماعة يأكلون يشاركهم طعامهم دون دعوة من أحد ويســقى الضــيف القهوة العربية ثلاث مرات قبل أن يســأل عن حاجته التى أتى من أجلها وعن عشيرته. وليس فقر الرجل أو غناه سببًا في رفض استقبال الضيف، فإن لم يجد شيئًا يقدمه لضيفه استدان حتى يكرم ضيفه.

تختلف عادات الضــيافة من قبيلة إلى أخرى ، فعلى ســبيل المثال ، هناك قبائل يقوم كل رجالها على خدمة الضــيف ويأخذونه إلى أفضــل بيوت الديرة ، ويقدمون له التمر والســمن والعســل والقرصــان والقهوة ، وينحرون أو يذبحون له ، ويدعون كل من في القرية ليشاركهم.

وتختلف حاجات الضــيوف ، فمنهم عابر الســبيل أو طالب حاجة أو زائر له معارف وقرابة ، ومنهم من يطلب الجوار لقحط بلاده ، ومنهم من نزلت به جائحة أو مصــيبة وجاء طالبًا مســاعدة مادية أو عينية. وقد عرف أناس بأســمائهم في التاريخ العربي اشــتهروا بالكرم ومن ذلك حاتم الطائي الذي ينتمي إلى قبيلة طيء وابن مهيد (مصوت بالعشاء) شيخ الفدعان من عنزه .

الأنساب والأسماء :

أرجع ابن حزم جميع قبائل العرب إلى أب واحد ســوى ثلاث قبائل هي: تنوخ والعُتق وغســان . وتتألف كل قبيلة مجتمعة من عدة بطون، فعلى سبيل المثال، تتألف تنوخ من عـشر قبائل اجتمعوا وأقاموا في البحرين فسموا تنوخ نسبة إلى التنخ (المقام) ، أما العُتق فكانوا قومًا اجتمعوا على الرسول فظفر بهم ثم أعتقهم فسموا بذلك ، أما غسان فعدة بطون من الأزد نزلوا على ماء يسمى غسان فسموا به .

تسمية الأشخاص والقبائل :

كانت للقبائل العربية مذاهب في اختيار أســماء أبنائها وبناتها ؛ فمنها ما كانوا يتفاءلون به في صــراعهم مع أعدائهم مثل: غالب، وغلاب، وظالم. ومنها ما تفاءلوا به للأبناء مثل: مدرك، دراك، وعامر، و سعد و سعيد . ومنها ما سمي بأسماء الوحوش ترهيبًا لأعدائهم نحو: أسد وليث وضرغام. ومنها ما سمي بأسماء الأشجار الخشـنة أو الغليظة مثل؛ طلحة، وسـمرة ، وسـلمه ، وقتادة. أو بأسـماء أجزاء غليظة من الأرض مثل حجر، وحجير، و صخر، وفهر، وجندل، وجرول. وقد سئل أحد الأعراب: «لم تـسمون أبناءكم بـشرِّ الأ سماء نحو كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسنها نحو مرزوق ورباح» فقال: «إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا».

لا تختلف أ سماء القبائل العربية عن أ سماء القبائل الأخرى لا سيما القبائل الـسامية، فهي أ سماء ذكور للآباء أو الأجداد ، وإن وجدت أســماء مؤنثة لبعض القبائل فهي قليل مثل: خندف، وبجيلة وغيرهما وتكون في تلك الحالة أ سماء لأمهات قبائل أو أ سماء موا ضع نـسبت القبائل إليها. وتعود تـسمية القبيلة إلى الرجل ، وانتســابها إليه دون غيره من أفراد القبيلة بأن يشــتهر بينهم لشــجاعته وإقدامه أو كثرة ولده ، فينســب بنوه وغيرهم إليه وكذلك أحفاده، وربما انضم إلى النسبة له غير أحفاده . وقد ينضم الرجل إلى غير قبيلته بالحلف والموالاة فينســب إليهم فيقال حينئذ : فلان حليف أو مولى بني فلان. وفي هذه الحالة يجوز له أن ينســب إلى قبيلته الأولى أو إلى القبيلة الثانية أو ينسب إلى كلتيهما فيقال مثلاً: فلان التميمي ثم الكليبي.

العصبية القبلية والحروب:

تتجلى العـصبية القبلية في العـصبية للأقارب وذوي الأرحام. وهذا النوع من العـصبية يكون داخل إطار القبيلة ذاتها. فعلى الرغم من أن أفراد القبيلة يربطهم نســب واحد، إلا أن الرباط الكائن بين ذوي القربى من أمثال أبناء العمومة والخؤولة يكون أمتن من النســب العام . وأفراد القبيلة يشـعرون بالتزامهم بنصـرة من يشـترك معهم في البيت (الفـصيلة) ثم تأتي بعد ذلك نـصرة المـشترك معهم في الفخذ فالبطن ثم العـشيرة، ومع أن العـصبية للقبيلة أضعف شأنًا من العصبية نحو العشيرة ، إلا أن عصبية القبيلة تطغى على ما سواها بمقدار الخطر الذي يهدد القبيلة ، كما يمكن أن تتجاوز هذه العصــبية نظام القبيلة إلى القبائل الأخرى المتحالفة ، أو عصــبية الولاء ؛ وذلك حين يطلب أحد الأفراد الجوار من قبيلة ما ومن ثم يكتســب حصــانة بأن يكون تحت حمايتها ، وتهب القبيلة لحمايته كأي فرد من أبنائها .

الثــأر :

كانت القبائل في حروب متصلة ما أن تنتهي حتى تبدأ حربًا أخرى. وكان القانون الوحيد الذي يخضع له جميع أفراد القبيلة هو قانون الأخذ بالثأر. وكانت الحروب تنشــب لأســباب تافهة ؛ فقد تسـببها إهانة ، أو نزاع بين شخ صين من قبيلتين مختلفتين ، أو بـ سبب اختلاف على المرعى ؛ فتـ شتبك العـ شائر وينـ ضم بعـ ضها إلى بعض فتنتشــر الحرب بين قبائل كثيرة ، وتحدث بينهم مقتلة عظيمة. ولأنهم كانوا يتحاربون نهارًا ، ويتوقفون عن القتال إذا أقبل الليل ، ثم يعاودون القتال صــباحًا ، ســموا وقائعهم وحروبهم أيامًا قيل إنها بلغت ١٢٠٠ يوم ذكر منها الميداني في مجمع الأمثال ١٣٢ يومًا، ومن أشهر هذه الأيام يوم ذي قار، وكان بين بكر والفرس وحرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب وحرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان.

أنواع الحروب :

عرف رجال القبائل العربية نوعين من الحروب : الإغارة، أو ما يســمى بالكر والفر؛ كما حدث في يوم الهباءة ويوم الفروق ، كذلك عرفوا الحروب المنظمة نســبيًا ، وذلك بعد اتصــال بعضــهم بالفرس كحرب الحيرة ، أو اتصال بعضهم بالبيزنطيين كالغسا سنة ، وقد بدا ذلك بو ضوح في يوم حليمة ويوم بردان. وكانوا يخرجون على غير تعبئة ، ويغيرون بســرعة خاطفة بالنظام الذي يأمر به الشــيخ ، ثم إذا طوردوا يفرون إلى البادية .

الأسلحــة :

أما الأســلحة التى كانت تســتخدمها القبائل إلى ما قبل اختراع البارود والبندقية، فكانت تتمثل في الرماح والسيوف والدروع والقسي والنشاب، وكان ا ستعمالهم للسلاح الأخير قليلاً. أما السيف والخنجر فكان رفيق العربي في حله وترحاله لا يكاد يفارقه .

زعامة القبيلة والأحكام

شيخ القبيلة :

تتجلى وحدة القبيلة في وجود شخصية محنكة تعرف بأسماء كثيرة باختلاف موقع القبيلة ، فهو سيد القبيلة أو الشــيخ أو الأمير أو الرئيس أو الزعيم. وغالبًا ما يكون زعيم القبيلة شــيخاً مجرباً ذا حكمة وســداد رأي وســعة في الثروة ، يقود القبيلة في حروبها ويقســم الغنائم . وغالبًا ما كانت هذه الزعامة تورث عن الآباء . لم تكن سـيادة شـيخ القبيلة على إطلاقها، وقد تصـل إلى حد كونها رمزية في بعض الأحيان ، وليس له من الحقوق سـوى التوقير. أما واجباته فتكون أكثر من حقوقه ..

ومن أهم ما يقوم به الشيخ إصلاح ذات البين في قبيلته ، ولا بد له من استشارة الكبار في القبيلة وأن يسمع كل فرد من القبيلة لأنهم أكفاء متساوون في الحقوق. وليس لشيخ القبيلة قوة مادية يرغم بها أفراد القبيلة على الطاعة ، وإنما هي التقاليد والعرف. ولأي فرد من القبيلة التمرد على أي قرار يتخذه زعيم القبيلة ، ولكن عليه في هذه الحالة أن يدع القبيلة وأن يهجرها ، ويسمى هذا الهجر الخلع .

إذا تشعبت البطون في القبيلة الواحدة تنافس أفراد كل بطن في أن تكون لهم الزعامة والشرف وإن كان يجمعهم أصل واحد . وقد يتقاتلون من أجل هذه المنافسة كما حدث بين الأوس والخزرج وبين عبس وذبيان ، وبين عبد شمس وهاشم وبين ربيعة ومضر .

على الرغم من أن زعامة القبيلة قد تكون وراثة ، إلا أنه ينبغي للذي يتصدى لهذه الزعامة أن يتميز بصفات قد لا تجتمع عند غيره ؛ من أبرز هذه الصفات الجرأة وحسن السمعة والقدرة على الإقناع ، والشجاعة والإقدام مطلبان ضروريان ينبغي توافرهما في زعيم القبيلة ؛ إذ عليه أن يتقدم الصفوف في الحروب ، وأن يجير المستجيرين، وأن يتحمل باسم القبيلة ما قد يرتكبه أفراد القبيلة من أخطاء. وهو الذي يتحمل أكبر نصيب من جرائر القبيلة، وما تدفعه من ديات .

وينبغي أن يكون وقورًا رزينًا ديناً رحب الصدر قليل الكلام . ويجب أن يفتح بيته للضيافة ، وأن يكون فطنًا كيسًا في فض الخصومات والمشكلات التى تقع بين أفراد عشائره.

وشيخ القبيلة هو الذي يعلن الحرب ، وهو الذي يوزع الغنائم ، وهو الذي يبرم الصلح ، ويمثل قبيلته أمام القبائل الأخرى . وغالبًا ما يكون هو الحافظ لأنساب القبيلة . وهو الذي يصدر الأوامر للرحيل ويحدد المكان والزمان لذلك الرحيل . وعليه أن ينفذ الرأي الذي تجمع عليه القبيلة وحكماؤها في مجالسهم الشورية .

الأحكام :

تخضع القبيلة لقوانين صارمة نظمتها التقاليد والأعراف . ويلجأ أفراد القبيلة في حل الخلافات التى تنشأ بينهم إلى محاكم قبلية خاصة لها قوانينها المتوارثة ، ولكل جرم أو تعدٍ أو دم عقاب رادع يهدف في النهاية إلى حفظ أهم مقومات الشرف في القبيلة وهي المال والدم والعرض .

للقا ضي مكانة رفيعة في القبيلة . والقضاء القبلي نظام متكامل يغطي كل الأنشطة المعروفة لدى القبيلة . ويثق أفراد القبيلة في قضاتهم ثقة راسخة لا تتزعزع ، لأن أحكامهم تنبع من أعراف العشائر وتقاليدها. وتطلق القبائل على قضاتها أسماء تختلف باختلاف القبائل وأماكنها، فيسمى القاضي في بعض بلدان الجزيرة العربية والشام والعراق باسم العارف ، وسمي بذلك لأنه يفترض فيه المعرفة العميقة الشاملة لأعراف القبيلة وعاداتها . ويسمى عند بعض القبائل أحيانًا باسم الفريض ؛ لأنه يفرض بحكمه الجزاء الواجب تنفيذه طبقًا لأعراف القبيلة؛ وكذلك يعرف لدى بعض القبائل با سم المر ضي ؛ ذلك لأن الأطراف المتخا صمة تر ضى بحكمه. ومنزلة العارف تلي منزلة شيخ القبيلة مباشرة. ولشيخ القبيلة ، أحيانًا أن يفصل في بعض الخصومات مثل المنازعات التى تقوم بين أفراد قبيلته حول الأراضي .

يستند العارفون (القضاة) في معظم أحكامهم إلى العادات والأعراف القبلية التى توارثتها القبيلة جيلاً عن جيل. وتسمى هذه العادات والأعراف السوادي أو العوايد . وقد تمرس هؤلاء العارفون بازدياد القضايا التى يفصلون فيها واشتهروا بسعة الإدراك والذكاء حتى اعتبرت أحكامهم أساسًا مرجعيًا للقضاء القبلي وهو ما يسمى عندهم المثيلات ، وهو يطابق ما يسمى في الفقه القضائي الحديث السوابق القضائية .

العقوبات :

تتراوح الأحكام التى يصدرها قضاة القبيلة بين العقوبات المادية كالديات والتعويضات، أو عقوبات بدنية كقطع يد السارق أو الجلد ، أو عقوبات تأديبية إصلاحية ، وهي أحكام تصدر في حق صغار السن ، وعلى القاضي إصدار الحكم ، وغالبًا ما يكون المنفذ هو الأب أو ولي أمر الحدث ، ويكون حبسًا أو جلدًا أو نحوه.

تعريفات الجغرافيا السياسية للمجموعات البشرية :

الشعب : عرفه علماء الجغرافيا السياسية بأنه : المجموعة البشرية اكبر حجما التى تأتلف مع بعضها البعض وتتحدث لغة واحدة وتدين بدين واحد ويشعرون شعورا واحدا .

الأمة : يعرف علماء الجغرافيا السياسية الأمة بأنها هي الوحدة التى تتألف من مجموعات بشرية شعوب وقبائل وغيرها ، وتعيش داخل حدود سياسية واحدة .

الهوية : الهوية مصطلح حديث نسبيا . وتعني الهوية في اللغة العربية الـــ(هو) أي من هو الإنسان الآخر ومن (أنا) بالنسبة له . وهذا الآخر لما سيعرف بهويته ، من حيث مجري موضوع التعريف المطلوب زمانا

ومكانا وموضوعا . فان كان السؤال عن الدين فيستكون هويته عقيدته ، وإن كان اللون فهويته عرقه ، وان كان المكان فهويته أرضه . وغالبا ما يطغي في كل مكان وزمان وموضوع علي الإنسان نوع من التعريف الذي يسود(*) .

(*)استطردنا في تعريف مفهوم القبيلة وتفصيلاته لأنه محور وغرض الكتاب وليتم مقارنة التفاصيل القبلية للجبرته بما هو معروف عن القبيلة في جزيرة العرب.

قبيلة الجبرت أو الجبرتة أو الجبر

تعريف مصطلح الجبرت :

يجيئ اسم الجبرت من الفعل جبر الشئ علي وزن فعل الشيء ، وجبر الرجل أخاه إذا أعانه ، وهو من جبر الكسر إذا أصلحه أو قومه . وهذا الاسم لا يوجد في اللغة الحبشية بهذه الطريقة .

وجبرت نسب ، دولة مدينة إيفات أو فات جبرت، أو إيفات جبره ، أو أمارة جبرت، وهي أكبر ممالك الطراز الإسلامي في شرق أفريقيا في الفترة ما بين القرن الثاني الهجري ، القرن الحادي عشر الهجري . كما هي امتداد لأول دولة إسلامية خارج الجزيرة العربية . (بدرية يونس، ٢٠٠٦م).

النبي ﷺ والنجاشي

فقام رسول الله ﷺ فتوضأ، ثم دعا ثلاث مرات:اللهم اغفر للنجاشي... اللهم اغفر

للنجاشي... اللهم اغفر للنجاشي. والمسلمون يرددون وراءه: آمين آمين آمين. ولم يكتف النبي بهذا، بل قام بنفسه يخدم وفد النجاشي ويتفقد شئونهم ويرعى حالهم، فقال له بعض أصحابه: **نحن نكفيك يا رسول الله ذلك،** فرد النبي ﷺ في إصرار قائلاً: **«إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم».**

يقول جعفر: فقلت لرسول النجاشي.

انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ.

وتوزع المسلمون الجدد في المدينة يفرحون وينعمون بعطف النبي ﷺ وحنّوه عليهم، حتى غار بعض المهاجرين من مكة منهم، فأخذ يعرض بهم بقوله:

نحن أولى برسول الله ﷺ منكم... هاجرنا وحاربنا.

وشكوا ذلك إلى رسول الله، فقال مظهراً فضل مهاجري الحبشة:

ليسوا بأحق بي منكم، لهم هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان.

نعم، كانت عودتهم ساعة فرح لا تنسى... ظهر فيها الشر والسرور طافحاً على وجه رسول الله ﷺ ومحياه... لم يكونوا منسيين، بل كانوا من النبي على بال وخاطر.

مهاجرون قبل الهجرة ...غرباء في أرض الحبشة.

روى ابن كثير في تاريخه انه لما قدم وفد النجاشي إلى المدينة قام ﷺ بخدمتهم بنفسه، فقال أصحابه: نحن نكفيك خدمتهم يا رسول الله، فقال: «**إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم**». (**سيرة ابن كثير**)

رقم الحديث: ١٨٥: (حديث مرفوع) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ ، ثنا هِلالُ بْنُ الْعَلاءِ الرَّقِّيُّ ، ثنا أَبِي ، ثنا طَلْحَةُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ، قَالَ : قَدِمَ وَفْدُ النَّجَاشِيِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَامَ يَخْدِمُهُمْ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : نَحْنُ نَكْفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُمْ كَانُوا لأَصْحَابِي مُكْرِمِينَ ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ».

وقال البيهقي : أنبأنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسي حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء الرقي حدثنا أبي العلاء بن هلال حدثنا أبي هلال بن عمر عن أبيه عن أبي غالب عن أبي إمامة قال : قدم وفد النجا شي على النبي – ﷺ – فقام يخدمهم ، فقال أ صحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : «**إنهم كانوا لأصحابي مكرمين ، وإني أحب أن أكافئهم**» . (**البداية والنهاية – ابن كثير**)

ثم قال : وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابي حدثنا هلال بن العلاء حدثنا أبي ، حدثنا طلحة بن زيد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمه عن أبي قتادة قال : قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم ، فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال: «**إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإني أحب أن أكافئهم**». تفرد به طلحة بن زيد عن الأوزاعي .

على حسب روايات شفهية ، يقول أهلها أنها سميت بهذا الا سم جبرة أو جبرت أو جابره بو صف النبي ﷺ لمجموعة من أهل الحبشة الذين رجعوا مع المهاجرين إلى أرض الحجاز ويحملون معهم هدايا للرسول الكريم ﷺ ، ولما سئلوا عن محمد الر سول ﷺ قيل لهم أنه في خيبر يقاتل المشركين ، فقرروا اللحاق به في خيبر ونصرته ، فتفوت عليهم فر صة الحوار معه ومعرفة حقيقة دينه الذي خلق بلبلة في الحبشة بعد إ سلام ملك الحبشة النقاشي ﷺ. ولما وصلوا إلى موقع المعركة كانت محتدمة فشمروا عن سواعدهم وشاركوا في القتال. وسأل رسول الله ﷺ عن القوم الذين رأى اختلاف ألوانهم وملابسهم وطريقة قتالهم. وذكرت له

القصــة ، فقال جبرتني الحبشــة مرتين أتيناهم فاســتضــافونا ، وأتونا فنصــرونا وســماهم الجبرتي . وبعد الحوار اســلم نصــفهم وبقي النصــف الباقي علي دينه ، فأوفد الرســول ﷺ معهم مجموعة من المســلمين ليعلموهم أمور دينهم .

لما عاد الوفد المســلم ، الحبشــة موطنهم ســكنوا في موقع خاص بهم وأقاموا دولتهم أول دولة إســلامية خارج الجزيرة العربية . وكان اســم إيفات أو أوفات قديما وأضــيف إليه فأصــبحت تســمي إيفات جبرت الرسول أو الإسلام أو جابرة الرسول ﷺ والإسلام . وسمي أفرادها بالجبرت أو الجبرتة نسبة إلى ما قاله ﷺ أنهم جبروه مرتين . أو إلى جبرهم للإسلام في منطقة شرق أفريقيا في ذلك الحين .

اقتران اسم الجبرت بالإسلام :

ولموقع مملكة الجبرت قرب اكسوم المسيحية أو اقتطاعها جزء كبير من شعبها وأرضها. كان الصراع مستمرا بينهما. حتى اقترن اسم الجبرت بالإسلام لدي نصارى الحبشة عموما . وأصبح الحبشة يسمون بها كل المسلمين . فأصبحت مصطلحا مرادفا للإسلام مقترنا به كما العرب بالإسلام والأقباط بالنصرانية . وسمي بذلك كل مسلمي شرق أفريقيا جبرت أو جبرتة لفترة زمانية وظرفية ، رجعت بعدها بقية القبائل إلى أسمائها وعاد الاسم لأهله .

نجد بذلك إن مصطلح اسم الجبرت يمكن أن يكون نسبا تشريفيا لما سمي به الرسول ﷺ الحبشة بأنهم جبروه ودينه . أو جهويا بالنســبة إلى جهة بلدة ايفات جبرت أو جابرة الرســول ﷺ والإســلام . وهي مملكة معروفة مذكورة في شرق إفريقيا . وقد ذكر كل من زارها وكتب عنها ، أهلها باسمهم هذا وصفاتهم الدينية.

أصــــل الجبــــرت :

ذكر ابن فضـــل الله العمري ومجموعة من المؤرخين العرب ، أن أول من عرف وســـمع عنه ممن هاجر واستقر في بلاد الحبشة هو (ود بن هشام المخزومي) وكان ذلك في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه . حيث خرج من الحجاز مع قبيلته ناقمين بعد عزل فارس سهم الشهير خالد بن الوليد رضي الله عنه . وأسسوا الســلطنة المخزومية في منطقة شــوا وهي أقدم مملكة إســلامية قامت في الحبشــة ســنة الثانية الهجرية.(عمر المشري ، بلاد القرن الإفريقي)

واتفق جميع الرحالة العرب الذين زاروا منطقة شــرق أفريقيا وكتبوا عنها ، أن أصــل الجبرت هم قوم من قريش ، هناك من يقول أنهم من بني ود ابن هشــام المخزومي أو من بني عبد الدار ، ومنهم من يقول أنهم من بني ها شم من ولد عقيل ابن أبي طالب ، جاء أولهم من الحجاز وا ستوطنوا مدينة زيلع ثم إلى أوفات وعرف جماعة منهم بالخير واشــتهروا بالصــلاح . كما أضــاف بعضــهم المهاجرين من العرب الأمويين والعباســين والعلويين والزيديين خلال الصراع بين الدول الإسلامية في الجزيرة العربية قدموا إلى إيفات جبرت واستقروا بها . وأكد الرحالة العرب وغيرهم أنهم عرب وليسوا أحباشا . وقد وجد كثيرين منهم بالحبشة لديهم أنساب عربية علوية وزيديون وغيرها محفوظة حتى الآن .

تاريخ الجبرت :

قام المؤرخون العرب والرحالة والبحارين بتدوين معظم ما يتداوله الكتاب في العصــور الأخيرة عن جبرت والجبرتيون . وارتبط ذكر تاريخ الجبرت بدول الطراز الإســلامي في شــرق إفريقيا . وبدأت الكتابة عنهم في مخطوطات الرحالة العرب منذ القرن الثالث الهجري . وارتبط ذكرهم مع أمارة أوفات أو إيفات والتى ســميت عليهم بأوفات جبرت أو جبرة أو جابرة. والملاحظ في ذكر تاريخ دول وممالك وأمارات الطراز الإســلامي ، إنها جميعا ذكرت كممالك ووصــف الرحالة جغرافيتها وهوائها وتجارتها وموقعها وان أهلها مسلمون فقط بدون تصنيف وذكر خصائص للسكان المسلمين . إلا إيفات أو أوفات جبرت ، حيث عرفها الجميع بأنها كانت أكبر وأقوى هذه الممالك الإسلامية وكانت تمتد علي مساحة عشرين يوما في خمسة عشر يوما بالمشي المعتاد . كما أنها كانت تتعامل بالعملة المصرية القديمة علي غرار الممالك الأخرى التى كانت تتعامل بالبدل والمقايضة. (عبد القادر حقوص محمد ، ١٩٩١م)

وأكثر ما يلفت النظر في كتابات الرحالة والمؤرخين عن مملكة أوفات جبرت هو ذكرهم لتصــنيف أهلها وتسميتهم بالجبرتة ووصفهم بالصلاح وحبهم للغريب و الضيف وإكرامهم له . إضافة إلي وصل نسبهم إلى قريش وبنو عبد الدار أو عقيل ابن أبي طالب وغيرهم من آل البيت النبوي الشريف .

كان آخر أمراء إمارة جبرت هو الإمام أحمد إبراهيم الغازي والذي له قصة في الصراع مع نصارى الحبشة من الأمهرة ، حيث هزمهم و شتت شملهم حتى بلغوا منطقة البحيرات الحالية في رواندا وبورندي . وعندها اســتعانوا بالبرتغاليين ، الذين جاؤوا بالســلاح الناري الحديث آنذاك ، وتمكنوا بعد عدة معارك فاشــلة من إ صابة الإمام احمد إبراهيم الغازي بر صا صة طائشة ، والذي ا ستشهد بعد أيام من إ صابته . (محمد الطيب اليوسف ، ١٩٩٦م)

يذكر الرحالة والمؤرخون إن الإمام أحمد إبراهيم الغازي ، وتسـميه النصـارى بأحمد قرانج (قرانج وتعني الأشول). وهو سليل أسرة ولشمع مؤسسي إمارة أوفات، وقد ملك الحكم في شبابه، وكان يسمي بالشيخ المجاهد أو الأمير المجاهد ، إلى أن قابله احد الـ شيوخ الـ صالحين وروي له رؤية أن الر سول صلي الله عليه وسـلم سـأل عنه فقيل له إن هذا هو الشـيخ أو الأمير المجاهد فقال رسـول الله ﷺ ، أن هذا الإمام المجاهد أحمد .

قال الشـيخ لأحمد إبراهيم أنت الإمام أحمد إبراهيم حسـب الرؤيا . ومنها عرف بين قومه بالإمام المجاهد أحمد إبراهيم والغازي إضـافة من المؤرخين المسـلمين الذين عاصـروا جهاده وغزوه لنصـارى الأمهرة .(محمد اليوسف ، ١٩٩٦م).

كان الإمام المجاهد أحمد إبراهيم الغازي ، في سـنوات حكمه الأخيرة قد ضـم كل ممالك الطراز الإ سلامي إلى حكمه رغبة ورهبة . ذلك لما رأى ضعف بعـ ضها وتمكُن النـ صارى منها والـ صراع الذي دار بينها مرات واستقوائها بالنصارى علي بعضها . فضمها إليه وغزا بها الحبشة ، مما أدى إلى تعميم اسم الجبرت علي كل سكان الممالك الأخرى وبالأحرى علي كل مسلمي شرق أفريقيا آنذاك .

بعد ا ستـ شهاد الإمام المجاهد أحمد إبراهيم الغازي ، وتـ شتت المـ سلمين وعودتهم إلى سالف أ سمائهم ومواقعهم ، فتفرقت قوتهم وضـعفت دولتهم ، وعملت فيهم النصـارى تفريقا وتمزيقا . إلا أنه قامت علي أنقاض مملكة أوفات بعد فترة مملكة عدال علي بعد من دولة النصـارى ، واسـتمرت فيها سـيرة الإسـلام ودولته . إلا أن نـ صارى الحبـ شة وبعد ا ستعانتهم بالإفرنج البرتغاليين وغلبتهم على الجبرت والمـ سلمين ، لم يتركوا فرصـة للمسـلمين لتجميع قواهم والاسـتقرار حتي لا تقوي شـوكتهم ويعودوا لعزهم . فأصـبحت وباسـتشـارات الإفرنج تعمل على إقصـائهم وإبعاد كل ما ينتمي للإسـلام والعروبة من ثقافتهم علي أرض الحبـ شة . بل وعملت علي محاولة تنـ صيرهم بالقوة . ففر ضت عليهم مغادرة أرا ضيها أو القتل أو التنـ صير . ومنذ أربعة قرون والجبرت يهاجرون ، بلاد الله الواسعة بدينهم .

كانت جزيرة العرب وبلاد اليمن هي المنفذ الأقرب لمن كانوا في الجهات الـ شرقية ، ومنها إلى ما شاء الله . أما الذين كانوا في جهة الغرب فكانوا يبتعدون عن سـلطان الحبشـة بمحاذاة الأنهار والمجاري المائية المتجهة إلى بلاد السودان ومنه إلى الأزهر الشريف في مصر المؤمنة .

وهنالك روايات من علماء الحبشــة الحاليين في عفار والصــومال وهرر وغيرها توافق ما ذهب إليه المؤرخين والرحالة .

من أشــهر من كتب عن تاريخ الجبرت ابن فضــل الله العمري ، والمقريزي ، والقلقشــندي والمســعودي وابن ســليم الاســواني والمقدســي البشــاري . وهذه المخطوطات متوفرة حاضــرة يمكن الرجوع إليها والاستزادة منها . ولم نريد الخوض في تفاصيل ، لأنها لا تخدم غرض كتابة هذا البحث.

منطقة إيفات حاليا:

خلال بحثنا في موضــوع الجبرت والجبرتيون ، تعرض لنا طالب من أثيوبيا في العام ٢٠٠٧م ، وذكر أنه جبرتي من منطقة تسمي (عرقوبَا) في أثيوبيا . وأنه يسكن في مدينة (إيفات) التابعة لهذا الإقليم . وبعد البحث تحقق لنا صحة ما ذكر.

يسكن منطقة ايفات القديمة عاصمة دولة الجبرت مجموعات سمتها النظم الصليبية الباطشة في فترات ما بعد الإمام أحمد إبراهيم الغازي ، مثل الحرلي أو الهرلي ، وغيرهم . وفي الفترة الأخيرة بعد العام الفين وتحول الوضع السياسي في أثيوبيا ، الديمقراطية والعدل ، طالب هؤلاء بأن يتفردوا عن المجموعة التى ضمتهم إليها الإدارات الرسمية ، وطالبوا بإقليمهم الخاص والذي يسمي عرقوبا، والتى يختلفون في أنها تعني (عرب قبا) أي منطقة العرب أو المهاجرين العرب . وبعد ذلك طالبوا الحكومة بنســبتهم إلى الجبرتي ، لأن عرقوبا هذه اسم المنطقة وليس نسب أو اسم السكان .





صورة حديثة للباحث بتاريخ يناير ٢٠١٤م مع أحد الجبرتة
في عاصمة إقليم إيفات وهو بكامل زيه التقليدي وأسلحته التى لا تفارقه .

وكان أن اعترفت لهم الدولة بذلك ، وقد ا سمي بعضهم الحاكم بنقا شي العصر لعدله وإفساحه المجال أمام المسلمين والجميع ليأخذوا حقوقهم كاملة ، رغم أن المسلمين لم يستغلوا هذا بالصورة المطلوبة ، لضعف تعاون مسلمي الخارج معهم وتفهمهم للو ضع الخاص لمسلمي أثيوبيا . وهذا ما لم يجده الجبرت في ارتريا ، ويحملون السلاح من أجله .



تمثال الإمام أحمد إبراهيم الغازي (قرانج) في ساحة
مدرسة الإمام أحمد إبراهيم الغازي الثانوية في العاصمة الصومالية

وقد أرشدنا أحد الجبرت الارتريين ، أن رقصات النساء وغناء (مديح) الرجال ورقصهم في منطقة عرقوبا (إيفات) هو نفسه في منطقة (أخريا) منطقة الجبرت في أسمرا عاصمة أرتريا . حيث تمسك امرأتين بأيدي بعضهما ، ويشدانهما ثم يتقافزان في دائرة ، وقد تقاطعهما أخيرتين بنفس الطريقة . والغناء هنا هو نوع من ذكر ومدح الرسول محمد ﷺ. ورقصة أخرى هي أن تلمس المرأة بيدها اليمنى كتفها الأيسر وبيدها اليسرى كتفها الأيمن ، ثم تعيد يدها اليمني لتلمس كتفها الأيمن ويدها اليسرى لتلمس كتفها الأيسر. وهن في هذا يتقافزن في اصطفاف من اثنتين أو يزيد.

أما الرجال فهم أيضا يقومون بنفس الرقصات والمدائح النبوية (يسمون المديح مولد) فيقفون صفا في نصف دائرة يضرب بعضهم الدفوف باليد وآخرون بالعصي. ويصفق الرجال وهم يكررون مقطعا من القصيدة وقد يتقافزون معها للأعلى قليلا . ولهم رقصة ولعبة أخري مشهورة أيضا ، وهي أن يجلس رجلين كل على رجل واحدة ويمد الأخرى لأمام ويقفز لفترة ، يختبرون فيها من يصبر أطول فترة علي هذه الحال . ويكون الفائز فيها من يقف علي رجليه آخرا .

وقد رأيت هذه الرقصات يؤديها الجبرت الارتريون ثم بعد ذلك أفراد منطقة (إيفات) في عرض تلفزيوني علي القناة الإثيوبية وهم يذكرون في الأغنية أن أرضهم إيفات ويشيرون إليها في الصورة ويذكرون الشيوخ الصالحين ، كما يؤكدون أنهم جبرت ، مع ذكرهم لبعض أسماء الممالك الإسلامية في المنطقة مثل (هديا وبالي)، مما يؤكد اتصال الأطراف الجبرتية ببعضها البعض من خلال التاريخ والثقافة والدين. وسنعمل إنشاء الله على الا ستزادة من هذه المعلومات الأثرية ، للتاريخ الإ سلامي لمنطقة الطراز الإ سلامي وما تبقى منها من بشر وأثر.

عادات و تقاليد المجتمع الجبرتي

طباعهم وخصالهم:

يذكر ابن فضل الله العمري عن خصال وطبائع الجبرت فيقول: إن فيهم خصلة حسنة، أنهم يحبون الغريب ويكرمون الضيف ، ويقال إنه قل أن يوجد فيهم رياء . وقال مع كونهم جنسا واحدا ينطقون بالسنة حتى تزيد عن خمسين لسانا ، وقلم قراءتهم واحد وهو الحبشي يكتب من اليمين إلى الشمال ، عدته ستة عشر حرفا لكل حرف سبعة فروع . الجملة من ذلك مائة واثنان وثمانون حرفا . وذكر أيضا أنهم يتحدثون بأكثر من خمسون لغة وهم في مدينة واحدة . إلا أن اللغة العربية تنتشر بينهم في الذكر والقراءة ومناسك الدين . (المشري ، ١٩٩٨).

يقبل الجبرت أيادي بعضهم البعض وخدودهم عند السلام وهي ما تميزهم عن بقية المجتمعات ، أينما قطنوا .

ويزوج الجبرت بناتهم لكل مسلم أيا كان ، أ سود أو أبيض ، فقط يسألونه عن دينه والتزامه ، وقدرته علي تحمل المسؤولية واحترام زوجته . وتتميز مناسبتهم في الزواج بالبساطة ، ويضيفون إليها بعض مما يجاورونه من عادات . لذلك تقل فيهم العنوسة . وتتميز نسائهم بالاحتشام والتدين واحترام الرجل وإكرامه والاهتمام به . ورجالهم مشهورين بالتدين . ونادرا ما يتزوجون بغير الجبرتيات لتفهمهن لهم ولطبائعهم.

الزي عند الجبرت :

يقول ابن فضل الله العمري عن زي الجبرت : (إن الملك يعتصب على رأسه بعصابة من حرير تدور بدائر رأسه ويبقي وسط الرأس مكشوفا . أما الأمراء والجند فتعصب رؤوسهم بعصائب من قطن ، ولا يعتصب بالحرير إلا الملك ، وقل من يلبس منهم قميصا أو ثوبا مخيطا وإنما ياتزرون بثياب غير مخيطة ويشد وسطه بثوب وياتزر بآخر، ويلبسون سراويلات. وأما الفقهاء فيلبسون العمائم وعامة الناس تلبس كوافي بيضاء).

يلبس رجال الجبرت في عصرنا هذا الثوب العربي ذو اللياقة ويتعممون بالعمامة الحلبية وتسمي «برسمي»، وهي عمامة صفراء مرسومة . وغيرها من العمائم الملونة، إلا أن الأولى هي الأعم، وقد كانت بداية للأغنياء ثم عمت الجميع . ويختلف لباس أهل المدن من الجبرت والريف، حيث إن ما سبق هو عموم ذي أهل المدن، ويرتدي أهل الريف القفطان القصير أو الطويل مع الجلباب العربي الأقصر بعض الشئ والسروال الداخلي الطويل .

وفي موسم الشتاء يلبسون البدلة أو الجاكت الكامل ذو الأكمام الطويلة، وفي باقي الأيام يلبسون الصديرية، وهي أصغر من صديريات الحاليين من بادية البني عامر والهدندوة. وتماثل صديرية البدلة الإفرنجية . وهي متعددة الألوان من الأسود إلى غيره من ألوان، إلا أن الغالب هو اللون الأسود واللون الذهبي أو الأصفر . ومع التطور المتسارع للثقافة والتداخل أصبح هذا الزي الكامل لا يرى إلا في المناسبات العامة والأعياد . كما أن تغير مواقع سكني الجبرت وانتشارهم في ارض الله الواسعة اخذوا يتزينون بغالب لباس المنطقة .

وأينما سكن الجبرت أقاموا المساجد وكتاتيب تعليم القران بها (الخلاوي) إذ نجد أنهم يدرسون أطفالهم فيها منذ الصغر ليتعلموا الكتابة والقراءة العربية أولا وحفظ القران الكريم وعلومه. ثم بعد ذلك يكملون ما تبقي من علوم ودراسات مستحدثة.

نساء الجبرت:

تلبس نساء الجبرت الجلباب الأبيض المنسوج من القطن، وهو كالفستان الكامل المقبوض من نصفه، وبأكمام طويلة مطرزة الأطراف وتزيد علي ذلك لبسهن للسروال الداخلي الطويل المطرز الأطراف أيضا، كالبنطال لزيادة السترة والحشمة . ويغطين رؤوسهن وشعرهن من الداخل بالكامل بقطعة من القماش أولا، ثم يضعن عليها الطرحة ثانيا . وتطرز أطراف الملابس النسائية بالنقوش التى تختارها النساء أو ترسم عليها أشكالا مثل الورود والنخيل الطيور. وتعود هذه الرسوم والتطريز، الثقافة العربية والمصرية والتركية، وذلك خلال فترات التبادل الثقافي والتجاري التى تمت بين البلاد . وتزيد المرأة الجبرتية لباس كل من تجاورهن من قبائل وأجناس أو من تسكن معهن في غير ديارها .

تتزين المرأة الجبرتية التقليدية بالحلي من الذهب والفضة كالكوز والغوائش المستديرة مع بعض النقش، وذلك علي الساعدين، والحجل والخلخال علي الرجلين، و هذا ليس للحبشيات، كما ترتدي السلاسل الذهبية أو الفضية وتغلب الفضة علي الذهب إلا للأغنياء . أما علي رقابها الذهب أو الفضة

المنقو شة في دوائر أو أهله مترادفة مربوطة علي خيط يصنع لذلك، وتتماثل كل هذه مع زينة نساء اليمن والجزيرة العربية لوحدة الثقافة والأصـــل في ذلك . كما تتخذ المرأة الجبرتية من الحناء زينة لونية علي يديها وأرجلها وهذه عادة لا تعرفها أو تتزين بها الحبشـيات أصـلا . كما تتزين بعض الجبرتيات بوشـم خدودهن وتحت شفاههن علي الذقن بخطوط أو نقاط وهذه عادات عربية معروفة .

تقوم المرأة الجبرتية بأعمال البيت وتجهيزه وتربية الأبناء وخدمة زوجها. وقد تساعد زوجها في صـنعته إن كان صانعا أو تجارته إن كان تاجرا . ولهن مهارات في الحياكة والتطريز التقليدي و صناعة السمن ونسج السلال العشبية و صناعة الأدوات المنزلية منها إ ضافة، الأعمال المنزلية، وهذه المهارات تتعلمها من أمها عندما تبلغ البنت سن البلوغ والزواج.

الزواج الجبرتي:

ذكرنا ســابقا أن الجبرت يزوجون في الغالب كل من يرغب في بناتهم، ولا يتأفف الجبرت من مســلم أيا كان رجالهم ونسائهم، مما يجعل الآخرين يرغبون في الانضمام إليهم والاتصال بهم، لسهولة ذلك ووداعة نسـاءهم وحشـمتهن، إضـافة إلى تمكنهن من تربية الأبناء بما يتناسـب مع عصـرهم ورغبة الآباء، من حيث التربية الإسـلامية القوية. لذلك يقال: إن كل من يتزوج جبرتية يصـبح نفسـه جبرتيا في الأخلاق والسـلوك وطريقة الحياة . ويرغب معظم من يولدون من جبرتيات النســب، الجبرت حبا في أمهم ورغبة في أتباع أسلوب الحياة الذي تربوا عليه .

أما الرجال فغالبهم يتزوجون من جبرتيات لمعرفتهن بطباعهم والفتهم لأسـلوب الحياة الخاص بهم . إلا أنهم كانوا يصـاهرون تعددا الجماعات الأخرى البدائية سـابقا رغبة في تأليفهم وهدايتهم للإسـلام كعادة المسلمين العرب . كما يصاهر الجبرت كل المسلمين وبعض الأحباش في مواقع اختلاط السكني .

يبدأ الزواج الجبرتي باختيار الأم لزوجة ابنها غالبا، أو الأب، وغالبا ما يوافق الابن اختيار أمه أو أبيه وذلك للحفاظ علي أنسـابهم و لخبرته القليلة مع النســاء، ولحداثة ســنه، حيث يزوج الجبرت أبنائهم فور بلوغهم وتمكنهم من العمل أو توفير مهنة، حفاظا عليهم من الفتنة وإفساد الحبشيات لهم .

بعد ذلك يقوم الابن الزوج بتحضـير ما يسـتطيعه من جهاز لعروسـه . وتجهز الأم ابنتها منذ الخطوبة بصناعة مفارش بيتها وتطرزها بنفسها مع أمها التى تدرسها ذلك . كما تقوم بصناعة الأدوات المنزلية اليدوية للزينة أو الاستخدام الكامل .

تقام الوليمة والعقد في بيت الزوجة، حيث يحضر الزوج ومعه أهله وأصحابه إلى بيت الزوجة في مسيرة بالدواب أو المركوب، يصلون علي الرسول ﷺ ويمدحونه، ويطبلون بالطبل ويرقص أفراد منهم بالسيف أمام المسيرة ، يقدمون فيها نوعا من المواجهة بالسيف بينهم وذلك حتى بلوغهم موقع استقبالهم . فيتقدم احدهم ويستأذن أهل العروس للتقدم والدخول، موقع الاستقبال . وهم هنا يحملون كل لوازم العروسة من ملابس وهدايا ومهر وغيرها، حيث لا يرسل لها شيئ قبل ذلك . ويرتدي العريس جلبابا أبيض ويعمم بعمامة بيضاء أو أبو رسمي . ولدي وصولهم موقع الاستقبال، يصطف الجميع وقوفا الضيوف والمضيفين، في دائرة أو مربع يتقدم الصفوف الشيوخ والوجهاء والمادحين، يظلون يمدحون رسول الله ويتغنون به، يغني احدهم القصيدة التى غالبا ما تكون السفينة الميرغنية أو غيرها، ويردد المحتفلون وراءه .



صورة لرقص الجبرتة أثناء المديح

بعدها يصلي كبير أهل العروس على الرسول بأعلى صوته ويبدأ بالدعاء أو يوجه احد الشيوخ والوجهاء ليدعوا، فيدعوا ويؤمن الحشد . بعدها يجلس الجميع وتبدأ مراسم العقد بجلوس العريس أو وكيله مع وكيل العروس، وينادي المأذون بأعلى صوته بأسماء الوكلاء والأزواج ويتلوا ألفاظ العقد من السنة المباركة . وقد يقدم أو يؤخر خطبة قصيرة يشرح فيها مقاصد الزواج وحكمة مشروعيته ويدعو الجميع إلى الالتزام بكتاب الله وسنة نبيه . ثم يدعو بما شاء . يبارك المحتفلون بعدها للزوج، ويبدأ توزيع المأكولات والطعام للجميع .

أثناء ذلك تراقب النساء الأمر خلال بعض الأطفال أو من زاوية قريبة ، وأيضا ترسل شنطة العروس، النساء ، فيستعرضن ما قدم لها الزوج من ملابس وزينة وغيره . وللزوج مأدبة خاصة به هو وأصحابه الوزراء تتكون من كسرة مترادفة ممسوحة بالسمن المعمول والبهارات الخاصة، وعليها دجاجة مطهوة بنظام الزغني كثير البهار والشطة . ويطعم العريس من يد أصحابه كل واحد منهم قبل أن يبدؤوا هم تناول الطعام .

يقوم الجبرت في الحبشة ولاختلاطهم الغالب بالنصارى ومعاشرتهم لهم، بتحضير وليمة خاصة بهم يذبحها ويعدها نصراني، ويحدد موقع محدد لموقع وجباتهم، إلا أن معظم النصارى يأكلون مع المسلمين لتنوع ما يقدم في مائدة المسلمين ولقلة ما يطبخ في طعامهم، وهو ليس غير الكسرة والطبيخ الملئ بالشطة واللحم بدون مهارة تذكر وهو أسلوب بدائي تعرفوا عليه من المسلمين ، إذ أن التاريخ يذكر أنهم يأكلون اللحم نيئا وهذا يحدث حتى الآن . (المقريزي، ١٨٩٥م)

بعد الوليمة يتواصل عرض الرقص والنقر على الطبول ومدح المصطفي ﷺ وتقديم الأشعار باللغتين العربية والجبرتية (التغرنية). وقد ترقص النساء لوحدهن ويتغنين بما هو مشهور، وتتلو الأمهات الكبار والجدات قصائد في مديح الرسول ﷺ ومديح الزواج والأزواج بأسمائهم . ويستمر تجهيز العروس أثناء ذلك بما قدم لها من هدايا، وتحضر ليأخذها زوجها بعد ساعات من الوليمة والعقد.

بعد تجهيز العروس وحضور العريس تخرج العروس مغطاة تماما بالثياب لا يرى منها شيئا تقودها وزيراتها ووجيهات النساء في مسيرة مليئة بالغناء والزغاريد والبخور ويرمي عليها الفشار، ويحملن معهن عدة البيت الجديد . وهنا يمتد علي رؤوس الجميع من النساء في المسيرة ثوب أو ثوبان . وتتقدم الفتيات عندها لمشاهدة العريس ومشاغلته نظما أو مباشرة .

عند وصول العروسين، محل الإقامة تستقبلهم النساء بنفس الطريقة التى ودعت بها العروسة، بفرد الثوب اعلي رؤوس الجميع وبالغناء والزغاريد ومدح الكبار للعروسين غناءًا ونظمًا، وتسلم العروس إلى أم أو أخوات العريس لإدخالها إلى مخدعها ومعها الهدايا والجهاز.

يدخل العروسين في مخدعهما هذا ويمكثان فيه أربعون يوما، لا تخرج العروس فيه أبدا وتقضي كل حاجاتها فيه بمساعدة الوصيفات. ويمكن للعريس أن يخرج بعد عشرة أيام و يزيد . يخدمهم خلالها الأصحاب ويؤانسونهم . ويحضر أقرباء الزوج والزوجة الوجبات الشهية والمغذية طول هذه الفترة . فيمتلئ البيت بالطعام والشراب للجميع دون تكلفة أهل البيت .

حزن الجبرت:

لدى وفاة الجبرتي يجتمع الناس ويغسل الميت ويأمر الشيوخ الأهل بالصبر وعدم الصراخ والعويل النساء منهم والرجال . وتجلس النساء جميعا على الأرض في جانب خاص بهن في موقع الحزن، يدندن ويبكين بصوت منخفض، حتى أنه إن جاءت إحداهن وأعولت أو صرخت بما لا يليق بالشرع، ذممنها وقلن لها اجلسي ولا تفسدي علينا بكائنا (والدة الباحث). وتلبس صاحبات الشأن ثيابا بيض ليعرفن بين الجموع .

أما الرجال فبعد إكمال الصلاة على الميت ودفنه حسب السنة والكتاب، يضع أحد آل الميت غصناً من جريد النخل أو غيره علي موقع رأس الميت وهذه سنة نبوية مسنودة كما يذكرون وقد بقوا عليها إذ نسيها أو تغافلها المسلمون . يعودون بعد ذلك، البيت، ليقام سرادق العزاء لثلاثة أيام كما قال رسول الله ﷺ (لايحق لأحد أن يحزن على ميت أكثر من ثلاث إلا المرأة علي زوجها . أو كما قال) ويقومون عصر كل يوم بتلاوة سورة يس وتبارك وبعض الآيات المشهورة والأذكار المعروفة، ويقومن بإهدائها لروح الميت والدعاء له بالرحمة والمغفرة، ويقدم بعد التلاوة قرص من الخبز الخاص بعرض قدم ونصف أو قدمين، يقدم كصدقة لروح الميت، تقطع وتوزع علي الحضور والفقراء، ومعها ما أمكن من مشروب مثل الشاي أو البن . ويرفع العزاء ثالث أيام الدفن . وينفض المعزون ومن كانوا في خدمة أهل الميت .

أعمال ومهارات الجبرت:

بما أن غالبية الجبرت عرب هاجروا، الحبشة فإن جل مهاراتهم هي ما نقلوه من الجزيرة العربية من مهارات وأهمها التجارة ثم الصناعة و الرعي والزراعة لاحقا . أما التجارة فيمارسها اغلبهم حتى الآن أيا ما ذهبوا . و قد بدؤوها بتجارة المواد الأولية والرقيق من الحبشة إلى بلاد العرب وغيرها من أنواع التجارة بالمواد العصرية . أما الصناعة فقد تميزوا في صناعة الأقمشة اليدوية الصنع واخذوا ينشرونها في بلاد الحبشة بعد أن وجدوهم همجاً عجماً عراة كما يقول المقريزي . وكعادة الإنسانية في تقليد الحضارة الأقوى وبرغبة الضعيف في تقليد القوي انتشرت الملابس بين الحبشة وراجت تجارة وصناعة الأقمشة . كما يعمل الجبرت في معظم الصناعات البسيطة التقليدية .

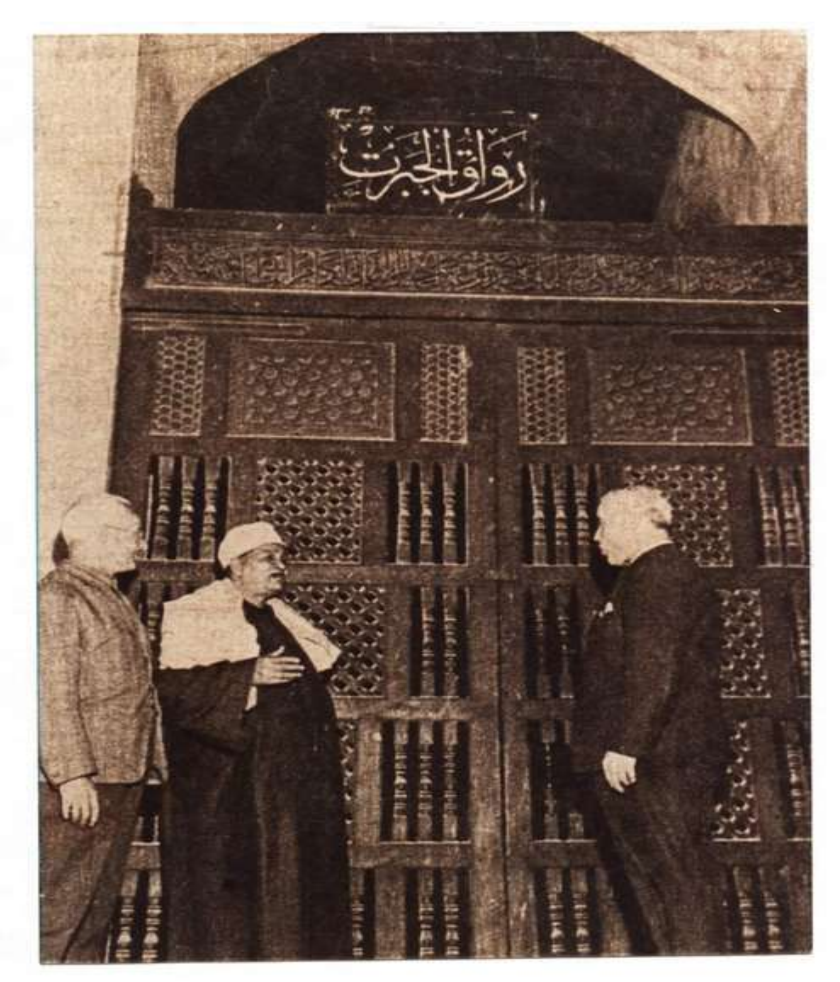


اسم اللوحة: الحائك (من قومية الجبرتي) (ألوان زيتية ـ ١٩٨٥م) من أعمال:الفنان محمود دبروم

كان للجبرت خبرة في الإدارة والتنظيم منذ قديم الزمان، وقد استعان بهم النصارى إبان سطوتهم لإدارة وتنظيم رعاياهم، فالكتابة والقراءة المنتشرة فيهم بأكثر من جوارهم من الحبشة ساعدت في تنمية حسهم وفكرهم التنظيمي والإداري وأصبح عادة لديهم . كما أن تجارتهم ساعدتهم لزيارة الكثير من الأقطار مما جعلهم يأخذون من تجارب وخبرات المناطق التي يزورونها فيمارسونها في من ليس لهم بها علم، وهذه أيضا تجارة الفكر .

أما العلم والتعلم فقد كانوا أهله وصناعه في منطقة القرن الإفريقي، وقد تعددوا في العلوم الدينية والدنيوية منها، ونزحوا حيث العلم وأهله حتى أصبح لهم أروقة معروفة باسمهم في كل مراكز العلم والمعرفة في القرون السالفة . فقد كان لهم أروقة في مكة المكرمة والمدينة المنورة كانت باقية إلي قريب من الزمان إلي أن أزيلت بقاياها مع التوسيعات التي تمت للحرمين المكي والمدني، وكان لهم في دمشق وبغداد والبصرة أروقة، طمست أيضا بفعل التحديث وعدم التواصل في العقود السابقة، وما تبقي منها فهو قائم حتى الآن في مصر في الأزهر الشريف، وقد أصبح مكان الرواق الجبرتي في الأزهر الآن مكتب إداري إلا أن الأزهريون ولعلمهم بأهمية التاريخ ورسوخ اسم الجبرتي لديهم، فقد ابقوا على لافتة في الموقع تذكر بما كان عليه . وهذا له قصة مشهورة مفيدة هنا، إذ انه وبعد وفاة شيخ الرواق إبراهيم بشري الجبرتي، تصارع الطلاب من الأمهرا والهرريين والصوماليين والتقري على خلافته، فحكم بينهم شيوخ الأزهر أن هذا الرواق هو لكل المسلمين من شرق إفريقيا، وهم جميعا جبرت لدي الأزهر. وهذه القصة عممت ا سم الجبرت علي كل مسلمي شرق إفريقيا مرة أخرى .





رواق الجبرتى بالازهر الشريف مازال ملتقى الطلاب الوافدين من الحبشة وارتيريا والصومال

أما العلماء فهم أكثر من أن يحصوا (وان تعدو نعمة الله لا تحصوها) فقد أحصينا ما يزيد على ثلاثمائة وخمسون ممن يسمون بعلماء و شيوخ الجبرت مباشرة، وغيرهم ممن سموهم بالزيلعي أو حبشي، وهما النسبين المرادفين للجبرت . إلا أن التصوف والزهد وعدم الرغبة في الشهرة جعلهم لا يولون اهتماما بشرح وتفصيل الكثير عن أنفسهم إلا قليلا ممن قصد بذلك الحق . كما أنهم ولزهدهم في الدنيا كانو لايقتربون من موارد الشهرة مثل الرياسة والزعامة والمسؤوليات العامة . لزيادة ورعهم وتمكن الخوف من المولى الكريم منهم .

إلا أن التدريس وتعليم العلوم الدينية كان من المهارات والمهن التي مارسـوها مع بقية أعمالهم الأخرى من تجارة و صناعة وغيرها . وللهروب من الشهرة بين أبناء المنطقة من المسلمين سماهم الناس الأ شراف والشيوخ تارة والمعلمين. واختلفت أسمائهم وأحفادهم باسم أبناء الأشراف وأبناء الشيخ الفلاني أو المعلم الفلاني.

ونذكر هنا أن كل من درس في الأزهر الشريف في القرنين السابقين من طلاب القبائل الحالية كالبني عامر والعساورتة والحلنقة العفر وغيرهم من قبائل ارتريا المسلمة ينسبون إلى رواق الجبرت، و شهاداتهم تحمل اسـم الطالب فلان ابن علان الجبرتي . ولما يعودون إلى ديارهم علماء يرجعون إلى قبائلهم الصـغيرة للفخر بين القبائل المكونة للمجتمع الجبرتي الكبير. إلا أن بعضـهم ينكر أنه جبرتي جهلا بالمعنى العام للاسـم وتعصباً قبليا لا ينفع عصابة الإسلام، لكننا نجد العفر يحبون كونهم جبرت ويفخرون بذلك.

لسان الجبرت:

يتحدث الجبرت لهجات ولغات متعددة أهمها اللغة العربية ثم الجبرتية (التقرنية نسـبة، إقليم تقراي في الهضبة الحبشية) وهي لغة عربية أ شبه بما يسمي بعربي جوبا، وهي لغة سامية قديمة . وذلك لأن معظم أو غالب الجبرت المهاجرين، الـ سودان في فترات التنـ صير القـ سري في القرن التا سع عـ شر الميلادي كانوا من منطقة تقراي في الحبشـة . إضـافة إلى لهجات كل المجتمعات التي يختلطون بها، مثل التقرايت (لهجة بادية تقراي) لهجة البني عامر وهي اللهجة الثانية لديهم والبدوية الهدندوية . إلا أن اللغة العربية هي الغالبة عليهم في السودان.

نظام الإدارة الأهلية لدي الجبرت:

يذكر التاريخ أن نظام إمارات وسـلطنات الجبرت قام على النظام العربي القادم مع العرب والمسـلمون، كما انه قام علي النظام الإسـلامي القائل (إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم) أي أن تسـمية كبيرهم بأمير كان هو المذكور . ففي تاريخ المهدية والجبرت، ذكر اسـم أمير الجبرت عدة مرات في الإشـارة إلى قادة الجبرت في الحبشة آنذاك، إضافة إلى ذكر سلطانهم في الحبشة والذي كان يقوم بأمرهم جميعا في الحبشة.

يبدأ المستوي الأول في الإدارة الأهلية للجبرت بتسمية جمعية خيرية للمسجد الذي يصلون فيه، والتي من مهامها القيام بأعمال المحافظة على المسجد وأمور المسلمين الجماعية في الموقع . تأتي بعد ذلك المرتبة الأعلى وهي الإمارة وهي إدارة سياسية واجتماعية ودينية ظلت تقوم بأمور الجبرت حتى عصر ما بعد الأمير النور ود فقرا في دولة المهدية . تأتي بعد ذلك المرتبة الأعلى السلطنة وهي أيضا تثبيت لسلطان المسلمين، الذي هو أعلى من الأمير.

باختلاط الجبرتي بالمجتمعات الأخرى غيرت بعضها من هذه الطريقة الإدارية، واستعارت نظام المشيخة والعمودية والنظارة المتبع في شرق السودان . كما استعارت المجموعات الجبرتية في جزيرة العرب أسلوب المنطقة في السعودية وغيرها.

قام الجبرت في السودان وبعد انتشار الثقافة القبلية في سبعينيات القرن الفائت في السودان، بالبحث في إنشاء وتطوير أعمال الإدارة الأهلية فيهم، وقد كانوا يديرون أمورهم القبلية عبر نظام الجمعية الخيرية مجتمعين . قام أعيان الجبرت بدراسة التحالف مع احدي القبائل الكبيرة في المنطقة، ووقع الاختيار علي قبائل البني عامر، وذلك لأنهم أكثر القبائل اختلاطا بالجبرت وأقربهم نسبا إليهم . فاختاروا لهم شيخا أسوة بتقاليد القبائل في تلك المناطق، وكلفوه شيخا عليهم، وبعدها لفترة معروفة في قانون الإدارة الأهلية بالسودان رفعت مشيختهم إلى عمودية متحالفة مع قبائل البني عامر . وتم بذلك زيادة عدد الشيوخ إلى خمسة عشرة شيخا في جميع مدن السودان . وهم يعملون في تناسق كامل مع كل قبائل السودان والإدارات الأهلية، لما يعرفه الناس عنهم من تاريخ عظيم في نشر الإسلام والجهاد في حماية الإسلام .



انتشار الجبرت في شرق أفريقيا والعالم العربي

الجبرت في الحبشة (إثيوبيا وارتريا):

يعود أ صل الجبرت إلى منطقة الحب شة جميعها، فهي الجزء الرئيس لإماراتهم وسـلطانهم في القرون الفائتة، ومنها امتدوا إلى بقاع العالم الأخرى . وكان كل من زارهم وكتب عنهم من مؤرخي وجوالة الـشرق والغرب، ذكر أن دولتهم في بلاد الحبشة ومعظم القرن الإفريقي وشرق إفريقيا .

إلا انه وبعد انتصـار الحبشـة النصـارى عليهم عمدو إلى إضـعاف جماعتهم بالتـشتيت والغزو المتوا صل، منعا لعودة قوتهم و سلطانهم، بإيعاز من نـ صارى الإفرنج الذين كانوا مستشاريهم الحربيين والدينيين . رغم ذلك ظلت والى القرن الفائت سـلطنات وممالك جبرتية صـامدة في وجه النصـارى، مثل مملكة هرر وممالك أخري.

***

لعب الخبث الأوروبي دورا كبيرا في محاولات التغيير الثقافي في الحب شة وكل إفريقيا المـ سلمة والعربية، حيث عمد ، تغيير المسـميات العربية والإسـلامية بأخرى أعجمية افريقية . وكتبها في تاريخه عن المنطقة . وتابعت محاولاته هذه الإمبراطورية الحبشية، وأصبحت تقليدا لديهم، إذ نجد أن منليك الأمهري بعد هلاك الإمبراطور يوحنا من التقري، قام بتغيير اسم الحبشة إلى إثيوبيا، ذاكرا أن اسم الحبشة هو إسلامي عربي وهم ليسـوا كذلك، ومواصـلة لذلك غير أسـماء المقاطعات والمحافظات الحبشـية إلى أسـماء أعجمية قديمة، ونـ سبها إلى سكانها . وأ صبح المواطنون الأحباش يتـ سمون بالأ سماء الحكومية الر سمية . ولما جاء بعده تفري مكونن والذي حول ا سمه إلى هيلي سلا سي (قوة الثالوث)، وا صل في أبعاد الثقافة الإ سلامية والعربية في المجامع الر سمية والمخطوطات . حتى تبدلت معظم الثقافة الحبـ شية في الحبـ شة بـ شقيها إثيوبيا وارتريا، وتحولت إلى ما أراده ملوكها الإقطاعيون وكنيستها المالكة.

لـضعف القوة والتـشتيت الذي حدث للجبرت، تفرقت جموعهم بين ولايات الحبـشة وأ صبحوا ينتـسبون إليها، كالأمهرا والأرومو والتقري وغيرهم . وأصبح النسب إلى الجبرتي مخيفا للحبشة النصاري والمسلمين ، لأن له معناه السلطوي والديني الذي يذكر بالحقوق المغتصبة، والأيادي السوداء للنصاري.

إلا أنه لا يزال هذا الاسم منقوشا على حجر التاريخ والهوية في ذاكرة الجبرت ومسلمي الحبشة وغيرهم . فكلما ذكر هذا الاسم انبعث لديهم عبق التاريخ وخلود الاسم ، فيهبون إليه باحثين مستأنسين بمن يذكرهم به .

الجبرت في ارتريا:

في العام ١٩٥٢م بعد الانتداب البريطاني على إرتريا وتكوين مجلس وطني أرتري كان على رأسه أحد نصارى إرتريا الذي حاول بخبث مع آخرين من المسلمين أن يبعد الثقافة الإسلامية العربية الجبرتية عن الساحة الثقافية ، فقام الجبرت بالحوار مع المسؤولين ولم يجدوا منهم سوى التسويف ، فأنشأ الجبرت نادياً باسمهم يتحدث عنهم وليحققوا حوارا من نوع آخر مع كل المجتمع الأرتري آنذاك . إلا أن قدرة الله أزالت المجلس الممسوخ ، واحتوت أثيوبيا هيلي سلا سي إرتريا . وغيبتها عقودا عن مناقشة حوارها الاجتماعي والثقافي.

خلال فترة هيلي سلا سي ، كان مسيحيي مرتفعات ارتريا يتعاونون مع سلطة هيلي سلا سي النصرانية ، ويقومون بالإغارة علي قري و مدن الجبرت في إقليم ارتريا في محاولة لتنصيرهم وتقليل قوتهم بالإبادة وإرغامهم على ترك ثقافتهم والتخلي عن عروبتهم الممزوجة بالأفريقانية . فقتلوا منهم الكثير، وقطعوا أنوفهم وآذانهم . وأشهر المناطق التي تأثرت بهذه الحملات هي منطقة سرايي (ترى إمني) المعروفة وحدث إحراق واغتيال مواطنين من الجبرت في مناطق كثيرة مثل مسيام وقرى أخرى . ويعود نسب سكان مسيام إلى أبناء عامر ابن نافعوتاي أبناء عمومة البني عامر النابتاب في إرتريا . فهاجرت مجموعات منهم إلى بادية بني عامر والهدندوة في إرتريا والسودان . ومنهم من استقر في العمق السوداني على ضفاف النيل بعد أن وجد إخوة لهم سبقوهم في السودان.

بعد تحرير إرتريا في ١٩٩١م افتقد نصاري مرتفعات ارتريا للهوية التي سينتسبون إليها، الذي كان مرتبطا بالاحتلال والتنكيل والإبادة الإثيوبية ، فألف لهم مفكروهم التسمية والنسب ، لهجة التقراي (التقرنية) لكي لا يبتعدوا عن أصلهم ، ولا ينالوا الكره منه ، وليخبئوا تجمعهم النصراني فيه ، وبذلك يكونوا قد ضمنوا موقعهم الاجتماعي والديني . إلا أن ذلك لم يكن ليكتمل لهم إلا بتلفيق أسماء مستحدثة أيضا توازي مسماهم الجديد ، فقاموا بمناداة كل الإرتريين بلهجاتهم ، إلا أن بعضها لم يكن ليختلط أو يتغير فتركوه كما هو، كالرشايدة والحدارب والعفر. ووافقتهم جهلا بعض المجتمعات في ذلك .

تململ الجبرت وسألوا أين هم من هذا المسخ الجديد . ولم يجدوا إجابة، لا هم ولا الآخرين . فلم تكن اللعبة لتنجح إلا بقوة الدولة وطول الزمن على الاسم الجديد . فبدأ الجبرت في صراع خبروه مع النصاري والزمن، ثبتوا فيه اسمهم وقاموا بكل ما يمكن من أعمال ثقافية واجتماعية ودينية من أجل ذلك وما يزالون.

وفي العام ٢٠٠٣م قام النظام الطائفي، في متابعة لمحاولاتهم لتغيير ملامح إرتريا، قاموا بهدم أربعة مساجد عتيقة في مدينة مندفرا معقل الجبرت وعاصمتهم القبلية في إرتريا، بعد

أن حاصروها ليلا بجيش جرار . ولم يكن هنالك من الشباب والأهالي الكثير، حيث كل شباب المسلمين الجبرت في الخدمة العسكرية الإلزامية، وحضر الهدم رغم الحظر المفروض لأيام، رجل وامرأتين كبار في السن من الجبرت، فصرخوا ليمنعوا الهدم مستغيثين بالله . إلا أن النصاري أبرحوهم ضربا وأبعدوهم من المكان . بعدها حضر الجيش الجرار وحمل كل منهم حجرا أو حجرين من ركام المساجد، وتحركوا بها لمسافات بعيدة يرمونها حجرا حجرا في طريقهم. وهذا أسلوبهم التاريخي في طمس وإزالة المعالم الإسلامية في الحبشة.

اتصل رجال من البلدة في اليوم التالي بمجموعة الجبرتي في الخرطوم، وطلبوا عون المسلمين في السودان ، وتم إبلاغ السلطات التي سمحت بالقيام بما يتنا سب، فوزعت المنشورات التي تدين الفعل من الجمعية الخيرية للجبرتة الإرتريين بالسودان ، وتحدث خطباء الجمعة في الخرطوم عن ذلك وشجبوا واستنكروا

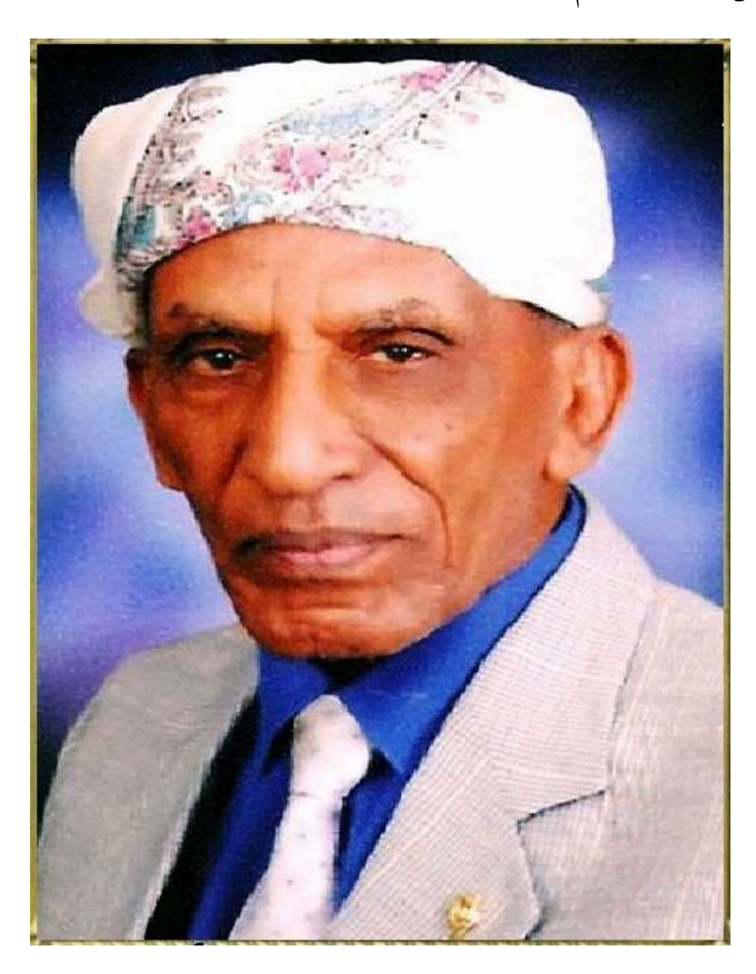


كعادة رد فعل المسلمين .



الشيخ سراج محمد نور من أعيان الجبرت في السعودية

أما الجبهات الإسـلامية التي تدعي مقاومة الحكم النصـراني في إرتريا مثل أحزاب الأخوان المسـلمين ، وأحزاب السلفية الجهادية ، والتي كانت تقيم في السودان حينها، فقد تخاذلت وارتدت على أدبارها ونكصت عهد الإ سلام . حيث ذكروا أنها مساجد للجبرت وليس لهم شأن بذلك ، وآخرون قالوا أنهم الأحباش فيما بينهم ولا شـأن لنا بهم . في ترد واضـح وصـريح للفكر والجماعة المسـلمة ، وتوجه نحو القبلية التى ظل الجبرت يعانون منها دائما من أخوانهم المسـلمين ارتريا كلما اسـتعانوا بهم ضـد الحبشـة النصـاري . وتم الاكتفاء بهذه الردود من الأفعال لهدم أربعة مساجد . وهذه شهادة لله .



الأستاذ عبد القادر حقوس صاحب كتاب الجبرت والجبرتيون

درس مثقفوا الجبرت حينها عبر رابطة طلاب الجبرتة بالسودان الأمر الجلل، وهم يرون ويسمعون بأم آذانهم ما قيل عن مساجد الله ممن يدعون الإسلام والجهاد . وقرروا استشارة المجتمع الجبرتي ، فعقدوا ندوات وسمنارات

تأكد لهم خلالها ، أن هذا الفعل والقول مكرر في التاريخ عدة مرات ، وأن حرمات الله وأهلهم لن ينصـرها إلا نـضالهم وعودة الكفاح الإ سلامي المألوف للنـصاري وجها لوجه . فهم يعرفونهم ويعرفون من أين تؤكل كتفهم . فأقاموا بعدها برنامجا لنهضة الإسلام في إرتريا ، وسموا حزبهم المكافح الجديد باسم حزب النهضة الارتري وتبنته الأيدي الشبابية والطلابية الجبرتية متضامنه مع الجمعية العالمية للجبرتة الارتريين. وطلبوا من كل من يؤمن بوحدة الجماعة المـسلمة في ارتريا العمل معهم للرد على العدوان على الإ سلام ومقد ساته . إلا أن تجذر الفكر والعـصبية القبلية منعت اجتماع المسلمين معهم . وأصبح الإسلام أشتاتا يصارع بعضه ويكيد، والنصاري في راحة يفعلون ما يشاءون.

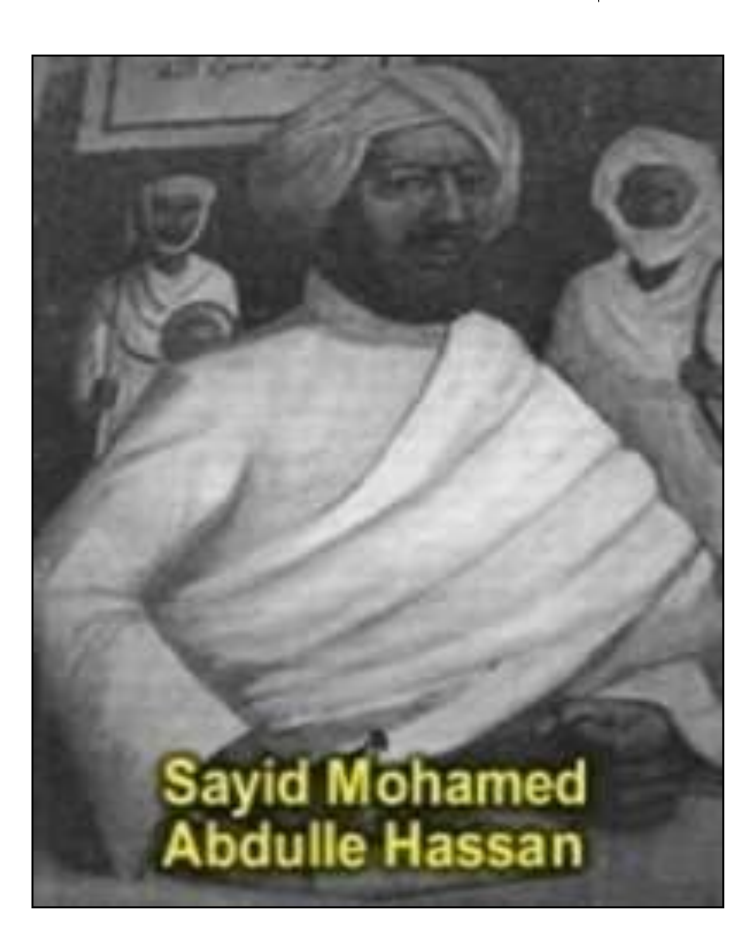


الأستاذ / عبد الرحمن طه النور رئيس حزب النهضة الارتري

الجبرت في الصومال:

يعتبر الصوماليون من اعرق قبائل الجبرت، ومن أصولها، وقد كان الجبرت الصوماليون من اقوي أجنحة الجيش الجبرتي لمملكة الجبرت، وذلك لضـخامة أجسـامهم وقوة أبدانهم، ومهاراتهم العالية واستماتتهم الفائقة. بعد استشهاد الإمام الغازي أحمد إبراهيم، انسحبوا إلى المناطق الساحلية في القرن الإفريقي، وأسسوا دولتهم بعيدا عن سلطان النصاري في الحبشة، وهم أصحاب الوجاهة.

وأما داود بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد الجبرتى العقيلي فقد رحل من زبيد مع بعض أتباعه إلى بلاد زيلع واســتقر بمنطقة ميجورتين وتزوج هناك وعاش بها حتى توفى عن عقب . هم اليوم من أكبر القبائل العربية فى بلاد الصــومال. ويقال لهم: « قبيلة الدارود » وهى كلمة محوَّرة أصــلها « داود » نســبة إلى جدهم الأكبر داود بن إســماعيل الجبرتى العقيلى. هم أهل الحكم والعلم في الصــومال حتى الآن، حيث منهم جملة حكام الصومال حتى الآن . يتسمي الجبرت الصوماليون الآن با سم قبائل داروت وهو نسب، الشيخ العالم إســماعيل داروت الجبرتي. وهو من أشــراف الحجاز قيل انه هاجر من موطنه ســنة ٧٥ هجرية لكن ســفينته تحطمت قبالة الـ ساحل الـ صومالي، فا ستقر في المنطقة وتزوج من قبيلة (الحر لا) وخلف ولدا سماه (هرتي) لقب فيما بعد بـ ـ(داروت) واليه تنسب قبائل (دولبا هانتي ودشيشي ومجرتين و ورسنجلي) ومن أشهر قبائل جبرت داروت الأو جادين الموجودين بالحبشــة . ومنهم المجاهد الكبير الشــيخ محمد عبد الله حســن ١٨٦٠- ١٩٢٠م . والذي أطلق عليه الانجليز لقب (الملا المجنون) وقال فيه ســبنســر ترمنجهام في كتابه الإسلام في إثيوبيا، لم يكن مجنونا ولم يكن ملا، ويسميه مسلموا الحبشة مهدي الصومال.



الجبرت في اليمن:

من المواقع التقليدية لهجرة مسلمي الحبشة عامة منطقة اليمن، وذلك لقربها ولارتباطها التاريخي بالحبشة . حيث نجد أن معظم ملوك وأمراء الجبرت بعد سقوط دولة الجبرت والدويلات الإسلامية الأخرى، كانوا يتوجهون إلى ملك اليمن لنصرتهم وحمايتهم . وقد حاول بعضهم الاستعانة بملك اليمن للعودة، صراع ملك الحبشة . وينتشر الجبرت في منطقة زبيد باليمن ومناطق منتشرة فيها، ولهم قيادة وريادة قبلية مشاركة في السلطة والثروة اليمنية .



صورة لزيارة الرئيس الصومالي لضريح الشيخ إسماعيل الجبرتي باليمن بمنطقة هيلان



صورة من ضريح مقام العارف بالله سيدي/ عبد الرحمن إسماعيل دارود الجبرتي جد قبائل دارود الصومالية بمنطقة هيلان بجمهورية اليمن (موقع منتديات السادة الأشراف بنوا هاشم)

أشـهر من عرف بالجبرتي في اليمن هو الشـيخ إسـماعيل الجبرتي . والذي ارتبط اسـمه ببعض الأحاديث المنسوبة إلى النبي صلي الله عليه و سلم، مثل حديث (يس لما قرأت له) والذي يعتبره البعض ضعيفا، بينما قال الإمام السخاوي في كتاب (المقا صد الحسنة) أن لا أ صل له بهذا المعني، وهو عند أ صحاب إ سماعيل الجبرتي باليمن قطعي .

كما توجد باليمن المدرسة الجبرتية التي تأسست علي يد الشيخ إسماعيل بن عبد الصمد الجبرتي(٧٢٢-٨٠٦هـــ) وهو احد الرجالات الصـوفية في عهد الدولة الرسـولية . كما توجد باليمن الطائفة الجبرتية التي أنشـأها احمد بن إسـماعيل الجبرتي، وهي فرع من فروع الطريقة الرفاعية الصـوفية . ومنهم الآن في اليمن مسئولين كبار في الدولة وعلماء وأساتذة .

الجبرت في السعودية:

من الطبيعي أن يهاجر الجبرت إلى الجزيرة العربية بعد سـقوط دولتهم . وقد عرفوا فيها بالورع والتقوى وحب الرسول صلى الله عليه وسلم . ولوجود بيت الله وقبر الحبيب المصطفي فعل جاذب لوصولهم، مكة المكرمة والمدينة المنورة . وقد كان للجبرت رواق وأوقاف بمكة والمدينة المنورة حتى وقت قريب أزيل بفعل التوسعة، و تم تعويضه بمواقع أخرى بنيت عليها المباني، وهي تحت رعاية أحد الأرتريين .

كما سكن الجبرت في بادية الجزيرة العربية وما يزالون ينتسبون إلى دولة الجبرت حتى الآن . ومنهم كثير من رجال الأعمال والشعراء وبعض الرياضيين المشاهير . وتحدد مناطق تواجدهم في السعودية ما بين مكة والمدينة في وادي قديد وفي الدبية وفي وادي خليص، وبعضهم تحالف مع قبيلة بني سليم التي انتموا إليها.

الجبرت في الحرمين

الجبرت، أو الجبرتيون، من الأسـر ذات المآثر الدينية والعلمية في الحرمين الشـريفين، ويجمع اللقب عدة أعلام قد يكونُ جماعة منهم منتمين لأصـلٍ واحد، وقد يكون بعضـهم ليسـوا كذلك؛ فليس الشـرط التسلسل النسبي، وإنما العبرة بالشهرة بهذا اللقب.

ونسبتهم إلى بلاد الجَبْرت، قال السيوطي في (لب اللباب): «وهي [أي: بلاد الجَبَرْت] بلاد الزَّيلع بأراضي الحبشة، هكذا ضبطه بعضهم، والمشهور على ألسنة العلماء وغيرهم: الجبرتي»[(١)]. وقال الأنصاري في (تحفة المحبين): «بيت الجبرتي: نسبة إلى الجبرت، بلدة معروفة من جهة بلاد الحبشة، واليها ينتسب جماعة كثيرون بالمدينة المنورة. ولهم أوقاف بها ونخيل وبيوت»[(٢)].

هذا هو المعروف عن بلاد الجبرت، أنها في ناحية من أرض الحبشة، فليس صحيحاً قول الحافظ ابن حجر ومتابعه الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في قولهما عن بلاد الجبرت أنها «بُليدة بأطراف اليمن»[(٣)]. ولعل هناك خطأً في النقل منهما أو عنهما، فالصحيح: أنها تقابل ناحية اليمن، أي من طرف البر المقابل لأرض اليمن من أرض الحبشة. وكثيراً ما يوجد في كتب التراجم وصف بعض أعلام الجبرتية بالزيالعة، وزيلع من بلاد الحبشة أيضاً، تقع على باب بالمندب، وهي من أراضي الصومال، كما في كتب البلدان والرحلات القديمة.

وللجبرتية، أو الجبرتيين، في المدينتين المقدستين تواجدٌ من قرون متقدمة، وظهر في بعض الأعصار التاريخية شيخٌ يجمع شملهم، كما وُجدَ لهم في زمن الدولة العثمانية رباطٌ ووقفٌ في المدينة المنورة، اشتمَل على مكتبة تجمعت من إهداءات وأوقاف بعض علمائهم. وفيما يلي ذكر مشاهير أعلامهم في كلا البلدتين المقدستين، مرتبين على الوفيات.

الجبرتيون في المدينة المنورة:

يحيى بن علي الزيلعي الجَبَرْتي (ت ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م): حفظ التنبيه، سمع من محمد بن عماد الحراني (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) التاجر المعمَّر الراوي عن الحافظ السِّلفي، وولي التدريسَ بالمدينة النبوية في سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٢م، ثم تحوَّل إلى دمشق، وأخذ عنه جماعة، واستجازه الحافظ القاسم بن محمد البرزالي (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) فأجازه، ترجم له الذهبي في (التبصير) وقال عنه: صاحبنا، وعنه ابن حجر في (التوضيح)[(٤)].

---

(١)السيوطي ، لب اللباب في تحرير الأنساب ، جـ١الي ٩٣.

(٢)الأنصاري ، عبد الرحمنالي **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب** إلي تحقيق: محمد العروسي المطوي (تونس: المكتبة العتيقة، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م)، ٣٥.

(٣)ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ،** تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة علي محمد البجاوي ، جـ١ (بيروت: المكتبة العلمية إلي د.ت)، ٣٦٧؛ ابن نا صر الدين ، محمد بن أبي بكر القيسي ، **تو ضيح المشتبه وتبصير المتنبه،** تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي جـ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ٢٦٧.

(٤)ابن حجر العسقلاني ، جـ١الي ٣٦٧؛ ابن ناصر الدين جـ٢الي ٢٦٧.

عبد العزيز الجبرتي (القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي): ولد ببلده، وجاور بالمدينة المنورة، كان كثير التلاوة للقرآن، يدخل المسجدَ النبويَّ وقت السحر ويمكث فيه يتلو. قال السخاوي: «واشتهر قديماً بالزَّيلعي». ووصفه بأنه: كان شجاعاً مهاباً، يحفظ القرآن، جهوريَّ الصوت»[٥].

محمد بن عبد العزيز الجبرتي (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م): ابن الذي قبله، ترجم له ابن فرحون في (نصيحة المجاور)، وقال عنه: «كان على بر وصدقة وإحسان إلى الناس، وإيثار للفقراء. من رؤساء المدينة وأجاويدها، ذا همة علية، ومروءة سنية، ممن يرجع إليه في الرأي، صحبَ بعد والده أمراءَ مصر، وأخصُّه به منهم الملك نائب السلطنة، فأحسنوا إليه ووالوه، لما وجدوا فيه من الديانة، والخدمة، وحفظ المروة. وكان يقضي حوائجَ الناس، ولو برَهْنٍ من حلي عياله، كراهة أن يرجع سائله خائباً، واشتهر بالذكر الجميل». وكان له النظر على المنشآت التي تتم في الحرم النبوي، وعلى نظره تم إنشاء المواضي التي كانت عند باب السلام. وكان إليه المرجع في جميع الآراء الصادرة عن شيوخ الحرم. «وملك الأملاك الحفيلة من النخيل والدور». قال السخاوي: «قلَّ من نالَ من أبناء المجاورين مثله»[٦].

عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الجبرتي (ت بعد ٧٥٣هـ/ ١٣٥٣م): أكبر أبناء أبيه، وأنجبهم وأعقلهم وأرأسهم، وباشر وظائف والده، وقام مقامه في الحفاظة والنباهة، والكياسة والمروءة، وسياسة الناس، ولين الجانب، سمع (مسند الشافعي) على عفيف الدين عبد الله بن محمد المطري (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م) بالروضة سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٣م[٧].

عبد الرحمن الجبرتي (القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي): من العباد الصالحين المجاورين بالمدينة المنورة، ترجم له ابن فرحون في (نصيحة المشاور)، وقال عنه: «هو الشيخ الصالح الولي الرباني، كان من أرباب القلوب والكرامات، وفي طول إقامته بالمدينة، يخرج إلى البرية بعد صلاة الصبح، فما يعرف

---

(٥)ابن فرحون، عبد الله بن محمد، **تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور وتعزية المجاور،** (المدينة المنورة: دار المدينة المنورة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ٢١؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة،** جـ١ (المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ٣٩٧.

(٦)ابن فرحون، ١٨٣؛ السخاوي، جـ٦، ٣٠٦-٣٠٧. **تنبيه:** ترجم الحافظ ابن حجر في (الدرر الكامنة) لنفس هذا الشخص، ولكنه سماه: محمد بن أحمد بن عبد العزيز الجبرتي، وأرخ وفاته في نفس السنة، ووصفه بأنه: كان متولياً النظارة على الحرم الشريف، وبأنه: «كان مشكور السيرة». ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،** تحقيق سالم كرنكو الألماني وآخرين، جـ٣ (حيدر آباد الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، ٣٢٦.

(٧)ابن فرحون، ١٣٩؛ السخاوي، جـ٤، ٣٣٢-٣٣٣.

إلى قرب الغروب ولا يعلم أحد مكانه لكونه كل يوم في مكان، وقل أن كان يرى بالمدينة نهاراً هروباً من الاختلاط بالناس». وذكر أنه كانت بينه وبين الشيخ عبد الله بن أ سعد اليافعي مؤانسات ومزاورات في ظاهر المدينة[٨].

أحمد بن موسى بن علي الجبرتي (كان حيا سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م): قال عنه السخاوي: «رأيت بخطه على نسخة من (المشارق) للصاغاني، كاتبها مدني، و صف نفسه بأنه: نزيل جناب سيد المرسلين، وأنه ملكَها في سنة تسع وتسعين وسبعمائة، وكأنه كان نازلاً بالمدينة»[٩].

داود الجبرتي (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي): من المجاورين في المدينة المنورة، كان حافظاً لكتاب الله، صاحب دين، مات بالمدينة، ترجم له السخاوي[١٠].

إبراهيم الجبرتي (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي): أرخ له السخاوي، وو صفه بأنه كان شاباً صالحاً خيِّراً، من أرباب القلوب والدين، مات في رباط السّلامي، بقرب باب العجم[١١].

إبراهيم الجبرتي (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي): شخص آخر، غير السابق. ولد ببلده، وكان حنفيَّ المذهبا، و سكن مصر وقتاً، وعليه قرأ أمين الدين يحيى بن محمد الأقصرائي (ت ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) القرآنَ الكريم. ثم انتقل إلى المدينة المنورة، وتوطنها مع ابنيه عبد الكريم وعبد اللطيف وبقية أهله. لم تؤرخ وفاته[١٢].

عبد الكريم بن إبراهيم الجبرتي (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي): ابن الذي قبله، قال فيه السخاوي: «كان شاباً صالحاً، يعرف مذهبه مع مزيد التدين، من قدماء المجاورين»[١٣].

عبد اللطيف بن إبراهيم الجبرتي (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي): أخو الذي قبله، من المجاورين بالمدينة، سمع (صحيح البخاري) على الجمال محمد بن أحمد الكازروني المدني (ت ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م) في سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م[١٤].

---

(٨)السخاوي، جـ١ ٤٥٤.

(٩)السخاوي، جـ١ ٤٥٤.

(١٠)السخاوي، جـ٢ ٤٦٨.

(١١)السخاوي، جـ١، ٢٧٨.

(١٢)السخاوي، جـ١، ٢٧٨.

(١٣)السخاوي، جـ٤، ٤٢٠.

(١٤)السخاوي، جـ٤، ٤٢٢.

أبو الفتح بن عبد الكريم بن إبراهيم الجبرتي (حي سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م): قرأ الحديث، واشتغل بطلب العلم. وفي سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م: قرأ في (صحيح البخاري) على الجمال محمد بن أحمد الكازوروني المدني (ت ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م) [١٥].

محمد بن عبد اللطيف بن إبراهيم الجبرتي (ت ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م): حفيد السابق، ولد بالمدينة المنورة، وقرأ الفقه الحنفي في كتابي (الكنز) و(المنار)، وعرضهما على القاضيين بالمدينة: فتح الدين بن صالح، وعلي بن سعيد، وغيرهما[١٦].

أبو الفرج بن عبد اللطيف بن إبراهيم الجبرتي (حي ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): أخو السابق، ولد بالمدينة المنورة، ولازم بها عثمان الطرابلسي في الفقه، وبمصر الأمين الأقصرائي، وكان ينزل بمسجده، ترجم له السخاوي في حياته[١٧].

إ سماعيل بن محمد بن عبد اللطيف الجبرتي (حي سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): ولد بالمدينة المنورة سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م، وسار سيرة آبائه في طلب العلم، فحفظ كلاً من (الكنز) و(المنار)، وعرضهما على الطرابلسي، والشمس بن جلال، ولازمَه وبه انتفع، قال السخاوي: «و سمع عليَّ درو ساً في شرحي للألفية وغيره، ودخل مصر وكتب بخطه الكثير لنفسه وغيره، ولا بأس به»[١٨]. فهؤلاء سبعة أعلام من بيت واحد.

عبداللطيف بن إبراهيم بن حسين الجبرتي (ت ٨٩١هـ/ م): كان طَواشياً، من خُدّام الحرم النبوي، قال السخاوي: «ممن سمع مني بالمدينة، ومات بها»[١٩].

عثمان الجبرتي (ت قبل ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م): مدنيٌ شافعي؛ قرأ القرآن، وكان نائباً في إقراء خُدّام الحرم النبوي الشريف[٢٠].

---

(١٥)السخاوي، جـ١، ٢٧٨.

(١٦)السخاوي، جـ١، ٢٧٨.

(١٧)السخاوي، جـ١، ٢٧٨.

(١٨)السخاوي، جـ٥، ٤٦.

(١٩)السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التا سع**، جـ٤ (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت. مصوَّراً عن طبعة حسام الدين القدسي، القاهرة)، ٣٢١.

(٢٠)السخاوي، التحفة اللطيفة، جـ٥، ٤٦.

علي بن عثمان الجبرتي (ت ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م): ابن الذي قبله، كان مقرئاً لخدام الحرم النبوي، كأبيه[٢١].

أبو بكر بن أحمد بن عثمان الجبرتي (حي سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): من المجاورين بالمدينة، كان شافعي المذهب، لقي السخاوي بها وسمع منه، وذكره في (الضوء اللامع) وترجم له في حياته[٢٢].

حسن الجبرتي (ت ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م): ولد ببلده، وقدم المدينة المنورة سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م. وكان رجلاً صالحاً، وعالماً فاضلاً، اشتغل بالتدريس بالمسجد النبوي إلى أن توفي[٢٣].

محمد صالح بن حسن الجبرتي (ت ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م): ولد بالمدينة المنورة، وتولى عدة وظائف ومهام عسكرية وإدارية زمن الدولة العثمانية. منها توليه أمانة بندَر ينبع، «ثم انتقل إلى وجاق القلعة السلطانية، ثم أخرج من المدينة فسار إلى مكة المكرمة، وأقام بها مدة. ثم سافر إلى الديار الرومية، وإلى مصر، وتوفي بها». قال عنه المؤرخ الأنصاري: «كان رجلاً كاملاً عاقلاً متكلماً»[٢٤].

عبد المجيد بن حسن الجبرتي (١٣٣٢هـ- ١٤١٨هـ/ ١٩١٣-١٩٩٨م): ولد ببلده من أسرة علوية النسب، وتعلم القرآن الكريم، ثم قدم مكة سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م وأقام بها ثلاث سنوات، قرأ فيها على الشيخ جمال المالكي، والسيد عبد العزيز المالكي. ثم انتقل إلى المدينة المنورة، فدرس على الشيخ عبد الرحمن الأنصاري، والشيخ عبد الرؤوف عبد الباقي، والشيخ أمين مرشد. والتحق سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م بمدرسة العلوم الشرعية. وعقب تخرجه عين مدرساً في مدرسة النجاح، ثم في مدرسة دار الأيتام . ثم أسس مدرسة في بلدة شقرا وتولى إدارتها. وفي سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م عين قاضياً في رابغ، ثم نقل بعدها إلى المدينة المنورة سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م. ثم عين بعد سنةٍ إماماً وخطيباً بالمسجد النبوي الشريف، رقي بعدها إلى قاضي تمييز في المحكمة الكبرى بالرياض، ثم أصبح رئيس تمييز، ثم عين في مجلس القضاء الأعلى وهيئة كبار العلماء. وفي سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م استعفى من منصبه، وظل في عضوية هيئة كبار العلماء إلى سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، وعاد خلال هذه المدة إماماً وخطيباً في الحرم النبوي. وتخرج على يديه عدد من العلماء. وتوفي بالمدينة المنورة[٢٥].

---

(٢١)السخاوي، التحفة اللطيفة، جـ٥، ٤٦.

(٢٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١١، ٢٠.

(٢٣)الأنصاري، ٣٥.

(٢٤)الأنصاري، ٣٥.

(٢٥)الزاحم، عبد الله بن محمد، **قضاة المدينة المنورة من عام ٩٦٣هـ إلى عام ١٤١٨هـ** جـ١ (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ٩٠-٩١؛ سالم، عطية محمد، **التراويح أكثر من ألف عام في مسجد النبي ﷺ** (القاهرة: مطبعة المدنيالي ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ٦٨، ٧٦-٧٧.

الجبرتيون في مكة المكرمة:

عبد الرحمن بن عبد الله الجبرتي (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م): وصفه الفاسي في (ذيل التقييد) بالمؤدب. كان من أهل العلم والرواية، سمع بدمشق على حافظها أبي الحجاج المزي (صحيح البخاري)، وعلى أبي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي كتاب (الشفا) للقاضي عياض، و(الأربعين البلدانية) للسِّلَفي. وبمكّة المكرمة على زين الدين أحمد بن محمد الطبري (جامع الترمذي)، و(سنن النسائي)، وعلى عبد الوهاب بن محمد الواسطي (جامع الترمذي)، وحدَّث. ومات بمكة[٢٦].

أبو بكر بن محمد الجبرتي (ت ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م): كان من العبّاد، ولقب بالمُعْتمر لكثرة اعتماره، وكان صاحب فوائد، معتقداً إلي جاور بمكة ثلاثين سنةً، ومات بها[٢٧].

أيوب بن إبراهيم الجبرتي (٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م): شيخ رباط ربيع بمكة، أقام بمكة المكرمة أربعين سنة، وكان قدمها وهو في نحو العشرين من عمره، قال السخاوي: «كان ذا حظ جيد من العبادة والخير وللناس فيه اعتقاد، ودخل القاهرة مراراً للاسترزاق وقُررتْ له صررٌ بأوقاف الحرمين، واستقر في مشيخة رباط ربيع سنين، إلى أن مات»[٢٨].

هرون الجبرتي (٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م): الشيخ الصالح خليفة الشيخ أحمد الأهدل. مات في شوال سنة سبع وثلاثين بمكة. أرخه ابن فهد[٢٩].

علي الجبرتي (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م): شيخ صالح، كان مجاوراً بمكة المكرمة، أرخه ابن فهد[٣٠].

آدم بن سعيد بن أبي بكر الجبرتي (ت ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م): ولد ببلده، ثم قدم مكة للاشتغال بها في طلب العلم على فضلائها والواردين عليها في الفقه وأصوله والعربية وغيرها، وكان صاحب طريقة جميلة أنيقة في

---

(٢٦)الفاسي، محمد بن أحمد إلي **ذيل التقييد في رواة السنن المسانيد**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، جـ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ٨٣.

(٢٧)ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، جـ٧ (حيدر آباد الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ٢٨٥.

(٢٨)الفاسي، محمد بن أحمد، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: فؤاد السيد، جـ٣ (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ٢، ٣٣٠-٣٣١.

(٢٩)النجم بن فهد، عمر بن محمد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جـ (مكة المكرمة: مركز إحياء التراث بجامعة أم القريالي ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، ٢٠٧.

(٣٠)النجم بن فهد، السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ٦٠.

التلاوة. قال السخاوي: « من شيوخه السراج معمر بن عبد القوي في العربية، وعبد النبي المغربي، وسمع عليَّ وأنا بمكة الكثيرَ من (الصحيح)، وغيره، بل حضر عندي بعض الدروس». مات بمكة المكرمة شاباً[٣١].

عبد الله بن محمد بن علي الجبرتي (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م): ولد ببلده، ثم قدم مكة المكرمة، وكان نزيلا في رباط ابن الزِّمِن بها. قال السخاوي: «كان صالحاً خيراً ممن حضر عندي في شرح الألفية وغيرهالي وحصّل (القول البديع)، بل كان فيما بلغني: يقرأ على الشرف عبد الحق السنباطي حينَ مجاورته في تقسيم (الإرشاد)» [٣٢].

علي أبو فروة الجبرتي (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م): شيخ من المجاورين بمكة المكرمة، ذكره الحافظ ابن فهد[٣٣].

محمد بن عثمان الجبرتي (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م): شيخ الجبرْت، ونزيل مكة المكرمة. كان شافعي المذهب، طالب علم، ذا فضيلة. لازم البرهانَ بن ظهيرة، وقرأ عليه في (تقاسيمه)، وأدب ولده أبا السعود ابن ظهيرة، أرخه ابن فهد[٣٤].

عمر بن أحمد بن محمود الجبرتي (حي ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): من المجاورين بمكة المكرمة، لقي الحافظ السخاوي بها، وسمع عليه[٣٥].

عبد الله الجبرتي (القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي): من شيوخ أحمد بن عبد الله باعنتر الحضرمي ثم الطائفي (ت ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) [٣٦].

---

(٣١)السخاوي، الضوء اللامع،التميمي، تقي الدين بن عبد القادر، **الطبقات السنية في تراجم الحنفية،** تحقيق عبد الفتاح الحلو، جـ١ (القاهرة: المركز الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ١٩٦.

(٣٢)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٥، ٨٥.

(٣٣)النجم بن فهد، السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ٦٠.

(٣٤)السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، ١٢٠؛ النجم بن فهد، جـ٤، ٤٩٩؛ المعلمي، عبد الله بن عبدالرحمن، **أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري،** جـ١ (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلاميالي ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ٣٣٦.

(٣٥)السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، ٧٣.

(٣٦)المحبي، محمد بن فضل الله، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**الي جـ١ (القاهرة: المطبعة الوهبية، ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م)، ٣٨٨.

بشرى بن هاشم الجبرتي (ت ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م): ولد ببلده، وقدم مكة المكرمة مجاوراً بها، وتصدر للتدريس في الحرم المكي الشريف، وكانت له حلقة فيه[٣٧]. من شيوخه: أحمد بن عليّ الدمهوجي (ت ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) سمع منه حديث الأولية، وأول (صحيح البخاري) وأجازه. وقد تتلمذ على المترجَم عدد من طلبة العلم، منهم الشيخ محمد بن عبد الله بالسودان (ت ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م)، لازمه في مكة المكرمة مدة، وقرأ عليه في «شرح لب الأصول»الي وخاتمة (فتح الوهاب)، و(شرح إيساغوجي)، كلها لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي، وحصل على الإجازة منه في ١٧ محرم سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م. كما روى عنه جماعة، منهم السيد أحمد دحلان المكي، والشيخ علي بن عبدالقادر باحسين الحضرمي. من آثاره العلمية: (مجموعة إجازات) ذكرها الكتاني. توفي بمكة المكرمة، ودفن بمقبرة المعلاة[٣٨].

حبيب بن أحمد الحبشي الجبرتي (القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي): ولد ببلده، وقدم مكة المكرمة على الأستاذ السيد محمد بن علي السنوسي (ت ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م) زمن إقامته به، فأخذ عنه و صحبه وأخلص في صحبته، قال عنه الدهلوي: «ولا زال على أكمل حال متمسكا بالسنة، سائراً على منهج سيد الخلق في الأقوال والأفعال على أكمل حال، إلى أن لقي وجه ربه الكريم المتعال»، ولم تؤرخ سنة وفاته[٣٩].

محمد نور الجبرتي (ت ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م): ولد ببلده، وقدم مكة صغيراً، وطلب العلم وتفقه على السيد محمد حسين الكتبي الحنفي، والشيخ جمال شيخ عمر الحنفي، ولازم السيد أحمد دحلان وقرأ عليه المعقولات حتى نجب. ثم تصدر للتدريس في المسجد الحرام وكان يحث الصغار على طلب العلم، ويلزمهم بالحضور عنده أو عند غيره من مدرسي حلقات الحرم الشريف. ولم يزل على صلاح وعبادة إلى أن توفي بمكة المكرمة[٤٠].

---

(٣٧)طاشكندي، عباس صالح، ...، **موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة**، جـ٥ (جدة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)،٥٠.

(٣٨)أبو الخير مرداد، عبد الله محمد، **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**، تحقيق: محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، ط٢ (جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ١٤٢؛ الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والسلسلات**، اعتناء: إحسان عباس، جـ١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ٢٣١؛ المعلمي، جـ١، ٣٣٤؛ الحبشي، عيدروس بن عمر، **عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية**، تحقيق محمد بن أبي بكر باذيب، جـ١ (الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٨.

(٣٩)الدهلوي، عبد الستار بن عبد الوهاب، **فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**، تحقيق: عبد الملك بن دهيشالي جـ١ (مكة المكرمة: عبد الملك بن دهيشالي ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ٤٤٦.

(٤٠)أبو الخير مرداد، ٤١٦؛ المعلمي، جـ١، ٣٣٦.

يوسف الجبرتي (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م): ولد ببلده، وقدم مكة المشرفة صغيراً، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم وبعض المتون. وتفقه في المذهب الحنفي على الشيخ جمال بن شيخ عمر الحنفي، وقرأ المعقولات على السيد أحمد زيني دحلان، وحضر دروسه في عدة فنون. وبعد أن أجازه السيد أحمد دحلان وأذن له بالتدريس، عقد حلقته في المسجد الحرام، وانتفع به الطلاب. ثم إنه بعد ذلك سافر إلى الجهة الجاوية،ي وتولى القضاء بها على مذهب الإمام الشافعي السائد في تلك الجهات، وتحول من مذهبه الحنفي إلى الشافعي، ولم يزل بها إلى أن توفي. وصفه مرداد بأنه كان صالحاً فقيهاً، حاذقاً أديباً[٤١].

خليل الجبرتي (القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي): ولد ببلده، وقدم مكة المكرمة صغيراً صحبة أبيه بعد سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م. وقرأ على الشيخ جمال شيخ عمر الحنفي في الفقه والحديث والتفسير والتصوف، ثم انتقل إلى حلقة المفتي عبد الرحمن سراج مفتي الأحناف. ثم أجيز بالتدريس، فتصدر في حلقة في المسجد الحرام وكان أكثر اعتنائه بعلم الفقه. وكان موصوفاً بالصلاح والفضل والمواظبة على الجماعة. وكان يؤخر صلاة العصر إلى بلوغ الظل مثليه ويصلي جماعة مع العلامة عبد الله مرداد عقب جماعة الحرم. توفي بمكة ودفن بالمعلاة إلي ولم تؤرخ وفاته[٤٢].

علي الجبرتي (القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي): ولد ببلده وحفظ بها القرآن الكريم، ثم قدم المدينة المنورة، وانتظم في حلقات العلماء في الحرم النبوي الشريف، وامتدت مجاورته إلى ١٣ سنة، اجتمع فيها بكثير من الأفاضل وأهل العلم. وفي سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، قدم إلى مكة المكرمة، وانتظم في حلقة العلامة محمد سعيد بابصيل (ت ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م) قال مرداد: «وكنت أراه يحضر درس الشيخ محمد سعيد بابصيل في المسجد الحرام في (صحيح البخاري)، وفي (النسائي)». وأثنى عليه، ووصفه بالعالم الفاضل الصالح العابد، وأنه صاحب خمول، قليل الكلام. وذكر أنه كان يجتمع به في خلوته الكائنة في رباط الميمن بزقاق جبل أبي قبيس، واستفاد منه. توفي بمكة ودفن بالمعلاة، ولم تؤرخ وفاته[٤٣].

---

(٤١)أبو الخير مرداد، ٥١٩؛ المعلمي، جـ١، ٣٣٧.

(٤٢)أبو الخير مرداد،١٨٩-١٩٠؛ الدهلوي، جـ١الي ٥٢٣؛ المعلمي، جـ١، ٣٣٤-٣٣٥.

(٤٣)الدهلوي، جـ١١٣٣،٢؛ أبو الخير مرداد، ٣٥٢؛ المعلمي، جـ١، ٣٣٥.

محمد مزمل الجبرتي (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م): ولد ببلده، وقدم مكة المكرمة صغيراً، وجاور بها وانقطع لطلب العلم، فقرأ على الشيخ حسن طيب، والشيخ عبد القادر شمس، والعلامة عبد الله مرداد وعليه أكثر قراءته. كان مغرماً بعلم الفقه، قرأ على شيخه مرداد (شرح العيني) مع (الكنز) مع (حاشية القلعي على الكنز)، وفي (الدر المختار) للحصفكي، وحواشيه، و(الأشباه والنظائر)، وغيرها. وتصدر للتدريس في المسجد الحرام سنين عديدة. وكان مواظبا على دروسه، مستقيماً صالحاً، توفي بمكة في شهر محرم ودفن بالمعلاة(٤٤).

الجبرت في مصر:

رواق الجبرت، وعبد الرحمن الجبرتي هم أشهر آثار الجبرت في مصر . وكان أصل هذا الرواق في الشام تحول بعدها إلى القاهرة، بعد ذياع صيت الأزهر الشريف وا شتهاره . وتواجد الجبرت في مصر قبل دخول الفرنسيس، حيث سكن بعضهم في حي الشرقية بالزقازيق وفي بور سعيد وبولاق في القاهرة، وفي حي الأزهر . ولانتشار المدنية في مصر نجد أن القليل جدا منهم ينتسب أو يسمي بالجبرتي .

واشتهر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي بكتابه عجائب الآثار في التراجم والآثار . والمعروف اختصارا بتاريخ الجبرتي . والذي يعد أهم مصادر تاريخ مصر الحديث في فترة أواخر القرن الثامن عشر . يذكر الجبرتي أن جده السابع و سميُه عبد الرحمن، هاجر في أواخر القرن العا شر الهجري، من إقليم الجبرت ـــ الذي يقع، الغرب من ميناء زيلع ـــ هاجر، جدة ثم، مكة حيث جاور بها وحج مرارا . ثم جاور بالمدينة سنتين ق ضاها بالدراسة على من لقيهم من العلماء وكبار الشيوخ ومن المدينة ارتحل، مصر لتلقي العلم بالأزهر، فاستقر بها وتزوج وولد له وعلا شانه واتصل بالعلماء، أن اختير شيخا لرواق الجبرت.

الجبرت في العراق والشام :

وصل الجبرتيون قبل وبعد انهيار مملكة الجبرت، منطقتي العراق والشام لأغراض التجارة واكتساب العلم، وكان لهم رواق في كل هذه الأماكن. إلا أن أخبارهم وتاريخهم في هذه المواقع قليل وغير مدون.

(٤٤)أبو الخير مرداد، ٤٨٢؛ الدهلوي، جـ٢ـ، ١٦٣١.

■ الجبرت في السودان

كان للجبرت راية في جيوش المهدية منذ بداية الثورة واستمرت طوال عهد المهدية تنتقل من النور ودفقرا، عمر أحمد خوجلي وغيرهما . (محمد سعيد القدال، ١٩٧٣م) .



عمدة الجبرت بالسودان محمد الحسن إبراهيم الجبرتي

بدأت علاقة الجبرت مع مناطق غرب الحبشة ، بالعلاقة الدينية، فبعد توسع دولة الجبرت وهزيمتها لدولة النصاري الأكسومية في الحبشة، وخلال مطاردتها ومحاولات فرض سلطتها على المساحات الحبشية، بلغت حدودها الغربية منطقة التاكة، ولا تزال الآثار التي تشير، ذلك باقية حتى الآن. وامتدت حدودها الجنوبية الغربية، أن جاورت دولة الفونج آنذاك والذين يعود أصلهم إليها . ولما علم الإمام احمد بأنهم مسلمون عاهدهم وأعاد جيشه ووجهه نحو الجنوب الحبشي .

أما المناطق التي تجاور النيل فقد ا ستمرت عبرها الهجرات العلمية، الأزهر الشريف، الذي فيه رواقهم الخاص، ولم تنقطع حتى منتصف القرن العشرين . فقد كانت دار ممر أحيانا ودار مستقر في أوقات أخرى . كما أن هذا الطريق كان نفسه الذي سلكه نصاري الحبشة ومصر في تواصلهم الديني حتى العصر الحديث. حيث كان حكام مصر يضغطون على نصاراهم من الأقباط عندما تصلهم الأخبار بظلم ملوك الحبشة للجبرت وانتصارهم عليهم .

وفـي القـرنيـن السـابقين بعـد تغول نصـاري الحبشة وتمـكنهم من الجبرت في القـرن الأفريقي، بدؤا حمـلات للتخلص الكامل من الإسلام والمسلمـين، وكـان التنصيـر هو المحاولة الأولى لذلك، فهـربت قـــري وقبائـــل الجبرت من طريق الحملات العسكرية التنصيرية، وحاولت مجموعات منها الابـــتعاد عن أيدي السلطان النصراني . وسلك الكثـير منهم مجاري الأنهار كالقـاش ونهـر عطبرة ونهـر سيتـيت ونهـر النيـل الأزرق . إضافة إلى الطرق التجـارية المشهـورة في تلك الفتـرة والتي تـقصد مدن السـودان القـديم أو تعـبره، مصر وغيرها .

وكان الجبرت الذين اســتقروا في الســودان على الطرق المحازية لمجاري الأنهار المائية يناوشـــون ويختطفون الرهبان والقساوسة الأحباش الذين كانوا يقصدون مصر ولبنان و سوريا لتنصيب رؤسائهم، واضطر ذلك الأحباش، التعاون مع البجة لتأمين رحلاتهم الدينية حتى مصر .

انتشــر الجبرت في الســودان القديم منذ انهيار دولة الجبرت ومقتل الإمام احمد إبراهيم الغازي . واســتقر الكثير منهم مع القبائل التي سكنوا معها أو جاوروها . وبما أن مصطلح الجبرت يقصد به الإسلام، لم يكن هنالك حاجة في التعريف به وسط القبائل والجماعات المسلمة في السودان. وهذا ما دعى وعمل على ذوبان المجتمعات الجبرتية المهاجرة . إلا أن بعض الأسر احتفظت باسم الجبرتي كاسم للأسرة لفترات طويلة، ولعدم التواصل افتقد الاسم لعدم تضمينه كاملا في الأوراق الثبوتية الحديثة .

المجموعات الجبرتية في السودان:

انتشــرت مجموعات قبائل الجبرت في ربوع الســودان المحازية للمجاري المائية القادمة من الحبشــة، وأخرى ابتعدت قليلا عنه لتجاور من ســبقها في الموطن . إلا أنها لم تخالط خلال حركتها داخل الســودان سوي المسلمين . وطاب لها المقام بين المسلمين ومعظمهم من الأصول العربية مما سهل عليهم التمازج والانصهار والذوبان .

مجموعة قبائل الحلنقة:

هي من أقدم المجموعات البشــرية التي اســتوطنت منطقة التاكا جوار جبل التاكا وإقليمه الذي كان ضمن ارضي دولة الجبرت في عهد الإمام احمد إبراهيم الغازي . و سميت فيما بعد بمدينة كسلا، وأصبحت مقر مدير المديرية الشرقية بعد الفتح التركي في العام ١٨٤١م أيام الخديوي إسماعيل باشا . (محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان، ممالك البجا قبائلها وتاريخها، ج٢الي ط ١٩٩٢الي مكتب أبكس القاهرة).

ينتسب معظم الحلنقة إلى قبيلة هوازن في الجزيرة العربية، ويذكر مؤرخوهم أنهم هاجرو إلى إفريقيا في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فرارا من ظلم واليه علي العراق الحجاج بن يوسف. بعد عبورهم للبحر الأحمر، الشاطئ الغربي منه، نصبو خيامهم حول جبل (قدم) جنوبي با ضع (مصوع) . ثم انقسموا، جزئين، توجه جزء منهم بمحاذاة ساحل البحر الأحمر شمالا . واتجه الجزء الثاني، داخل الحبشة حيث الرخاء والماء والكلأ . وكانوا أهل خيل يحملون معهم السياط الكرابيج . فسماهم الأحباش الحلانقي، نسبة، حملهم السياط، والتي تسمي بالجعزية الحبشية حلانقي، فعرفوا بالحلنقي منذ ذلك الحين.

عند وصول الحلنقي التي الحبشة، كانت ممالك الطراز الإسلامي في صراع بينها وبين النصاري الحبشة. ولما كان النصاري أقوياء في مواقع استيطان الحلنقي، ولغرابتهم وقلة عددهم استضعفهم النصاري وأجبروهم علي دفع الإتاوة، حتى بلغ بالنصاري طلب أن تكون الإتاوة من نوع البنات للا سترقاق . ولما بلغ الامر بهم هذا الحد، قرروا الابتعاد عن سلطان نصاري الحبشة، لأنهم كانوا في قلة و ضعف، لا يستطيعون المقاومة . وتتبعوا في حركتهم للابتعاد عن منطقة سلطان النصاري مجاري المياه المتجهة غربا، واستطاعت خلال رحلتها ان تفتح بعض مجاري المياه التي كانت تتسرب بين الكهوف، وعالجوه بإضرام النار في شحوم الأبقار على الصخور، ثم إلقاء الصخور الكبيرة عليها مما فتتها و سهل تحريكها وفتح لهم ممرا سلكوه مع المياه حتى استقروا غرب جبل كسلا علي سفحه في منطقة تسمي اويتلا، التي كان بها جيوش الإمام احمد الغازي، حيث دفن فيها ٩٩ وتسعون ولياً من المجاهدين الجبرت . واختلطت هنالك بالقبائل المحيطة من بقايا الجبرت وبادية البلو والهدندوة . وتفرقت بعض أفخاذها بين مدينة كسلا ومنطقة مقلي (مكلي) شمال كسلا، ومنطقة أبريد التي تبعد خمس ساعات عن كسلا، ومجموعة أخرى توغلت شمال كسلا على بعد يوم في منطقة تسمي (الدباب).

ويقول ج. سبنسر ترمنجهام في كتابه الإ سلام في السودان ص. ٢٣ (كانت الحلنقة التي تعيش في منطقة كسلا قبيلة هامة، ولكن نتيجة للانقسامات والخلافات وسنوات من النزاع مع الهدنوة والأحباش والمهديين ضعفت، وهي مستقرة الآن تقريبا . ويفترض أنها جاءت من منطقة (سرايي) في شمال الحبشة، كما تحتوي البداوية التي يتحدثونها على الكثير من الكلمات الأمهرية والتجرنية والبداوية).

وقد عرف الحلنقي كعادة الجبرت بصفاء السريرة والتمسك بأهداب الدين وظهر فيهم كثير من العلماء والأولياء، وهم يكرمون من وفد إليهم من أهل الدين، ويألفون ذوى التقوي والصلاح . واحترف الحلنقي الزراعة والرعي وهم أصحاب خيل وفروسية، هابتهم القبائل المجاورة مع قلة عددهم، وقد كانوا أعداء للهدندوة أصدقاء لبني عامر والشكرية .

انغلق الحلنقي على أنفسهم ولم يختلطوا بالقبائل الأخرى حفاظا علي أصولهم أن تتلاشى وصيانة لنسبهم أن يضمحل، وقد كانوا كذلك حتى القريب، إلا المدنية غلبت عليهم وأخذوا في التصاهر شيئا فشيء .

تكونت عشائر حلنقية من التصاهر والاختلاط وكانت أبرزها هي:

١- الأشراف:

وينتمون إلى رجل شـريف يسـمى الشـيخ حامد أري، قدم من الحجاز كغيره من رجال الدين والدعوة، وتزوج منهم وولد . وتعرف سلالته بآل شيخ العيال. ولم تزل منهم بقية تسمى (شيخ العيال إندوه) وإندوه لفظة جعزية حبشـية تعني (آل فلان) وما يزال الجبرت والأحباش في أرتريا وأثيوبيا يسـتخدمونها فيقولون (إندا كبيري، مثلا) .

٢- العبدلاب:

كان منهم ملوك الحلنقي ، زمن الفتح الأول (كان آخر ملوكهم هو الشيخ عوض مسمار) وأسرة مسمار هذه مشهورة تتواجد حتى الآن في المرتفعات الحبشية في شقيها الارتري والإثيوبي . وينتسبون الى (الجبرت) والعبدلاب أهل طاقية ويستمدون زعامتهم من السلطنة الزرقاء (مملكة الفونج) التي اتصلوا بها لقتال كفار الحبشة. ويلقب زعيمهم (مانجل) ووجهاؤهم (أرباب) . ولم تزل منهم بقية إلى الآن تعرف بـــ(هدأ إندوه) وتعني بآل شـيخ العرب . إلا أن زعامة القبيلة بعد الفتح الأول كانت موضـع نزاع مسـتديم بينهم وبين آل الشيخ عبد الله المعروف بأبي الرايات . واستمر النزاع هذا حتى قيام المهدية .

٣- الرباطاب:

هؤلاء هم أبناء الشيخ عبد الله المشعور بابو الرايات، ومقامه معروف بجهة (الدباب) وينتسب إلى فرع الشـنجراب من قبيلة الرباطاب . ويعرفون بآل الشـيخ (شـيخ إندوه) وهم قبل زمن الفتح الأول أهل دين لا شأن لهم بالزعامة، ولكن بعد الفتح تناولو الزعامة وكانت متنقلة بينهم وبين هدأ إندوه إلى قيام المهدية.

وصـارت،هم وحدهم الزعامة أخيرا منذ الفتح الأخير عام ١٨٨٩م، الآن والناظر هو الشـيخ الوقور من أحفاد جعفر علي بك شكيلاي .

٤- الزيلعيون :

ينتسبون إلى فقيه اسمه الشيخ احمد الزيلعي، قدم من بلدة زيلع القائمة على ساحل البحر الأحمر من بلاد الصومال، وتعرف ذريته بآل الفقيه، ومن مميزاتهم في القبيلة ألا يقطع أمرا دون مشورتهم سواء كان في أمور

الدين أو أمور المجتمع . ولهم مسجد تعقد فيه مجالس الشورى يعرف بـــ (الله بنسياب) وتعني مسجد الراجين الله . ولا تزال لهم هذه الميزة حتى الآن . أما السواد الأعظم من القبيلة فهم سلالة أولئك الهوازنيون الرحل .

الحلنقة الجبرت والحبشة :

امتدت سلطة السلطنة الزرقاء على مجموعة الحلنقة، وكان أول ناظر وفد على ملك سنار هو الشيخ عبد الله سيد أور(ابن سعيد) . توجه بعدها إلى أربجي عاصمة العبدلاب، وفيها ذكر للشيخ عجيب المانجلك بن الشيخ عبد الله جماع، وذكر له كثرة غزو رؤوس الأحباش لمدينة كسلا وضواحيها . وكان الأحباش النصاري هم الخصم العنيد . فأرسل معه جيشا بقيادة أحد أقاربه ويدعي أحمد مالك، الذي حال وصوله إلى كسلا وجد الأحباش بقيادة الرأس كاسا وقد جاؤو لنهب مواشـي الجبرت الحلنقة . فانهزم الأحباش وغنم المسلمون وقتل الرأس كاسا.

وممن صاهر بني عامر والسادة آل الشيخ حامد نافعوتاي، آل الفقيه يعقوب ابن مالك بن عبد الله، ومنهم ذرية محمد عثمان بن الفقيه يعقوب في مسيام وعناقر وغيرها في مناطق حماسين وسرايي بارتريا وأخري في عقيتاي، و هؤلاء أمهم من العجيلاب(*).

مجموعة القراري و الخواويض:

سميت بعض المجموعات الجبرتية من ذرية الحلنقي من قِبل من استضافتها من القبائل أو القرى القبلية مثل الخواويض . وهم كما ذكر الشيخ المرحوم الدكتور مجذوب الخليفة (والي الخرطوم في فترة سابقة) أنهم هاجروا في فترة التنصير الأولى من هرر، و صلو، منطقة الجعليين بمحاذاة النيل . وكانت مياه النيل حينها قليلة يمكن خوضها في تلك المنطقة، فخاضت المجموعة النيل واستقرت في كبوشية وطيبة الخواض، وأصبح أهل القرى ينادونهم بالخواويض، نسبة لعبورهم المياه خوضا . فتغير تسميتهم من الجبرت، الخواويض، ولم يعترضوا كما ذكرنا لأنهم وسط المسلمين ولا يحتاجون إلى اسم الجبرتي الذي يميزهم عن النصاري. وهم كما ذكر الشيخ عثمان حمد الله في (كتابه سهم الأرحام)، يتصل نسبهم بسيدنا عثمان بن عفان

(*)من المصادر السودانية النادرة لتاريخ الحلنقة بالسودان، ما نشره فضيلة القاضي احمد عثمان في صحيفة حضارة السودان العدد١٠٠٨ الصادرة في ٩/ ٩/ ١٩٣١م . والمذكور في كتاب تاريخ شرق السودان لممالك البجة قبائلها وتاريخها لمحمد صالح ضرار (الجزء الثاني) الصادر في ١٩٩٢م.

وهم قر شيون أمويون وجدهم هو الشيخ محمد المشهور بالقراي العجمي (العقامي بالقاف المصرمية، كما

ينطقها أهل تقراي وتعني صاحب اللسان غير العربي) التاكي ابن البركة الشيخ إسماعيل المتوفي ببغداد، ابن الشيخ سليمان الحلنقي نسبة لأمه (وهي حلنقية)، ويعتبر الأستاذ العالم العامل الشيخ محمد المتوفي في أواخر القرن العاشـر الهجري والمدفون بقوز الفقراء من صـالحي الصـوفية، ولهم ذرية ولهم ذرية طيبة بأراضي مابين بربر والخرطوم بحري علي ضفتي نهر النيل(*) .

مجموعات قبائل البلو وإمارة عدل والإمارات التي خلفت دولة الجبرت:

تكونت إمارة البلو من بعض القبائل العربية التي شـملتها دولة الجبرت في القرون الوسـطى الهجرية. وبعد تمكن نصاري الحبشة من سلطان معظم أراضي الممالك الإسلامية نشأت ممالك صغيرة مثل مملكة البلو ومملكة عدل وغيرها، وهذه ممالك لأفراد من الجبرتة أخذوا ينتسبون لأ سمائهم المحلية كالصومال والعفر والأمهرا وغيرهم . وتشـمل مجموعة البلو الجبرتية المجموعات المسـلمة من قبائل البني عامر والحباب المتأخرتين ومن كانوا على الإسـلام منهم قبل مجيء السـادة المراغنة إلى المنطقة وأسـلمتهم للمجموعات الأخرى.

المجموعة الجبرتية:

المهاجرين من الجبرت في آخر الحملات التنصـيرية في عهد الهالك (يوهانس١٨٨٥م) احتفظ أغلبهم باسم الجبرتي أو الجبر كما تسميهم قبائل شرق السودان . وكثير من هذه المجموعات الجبرتية المهاجرة في هذه الفترة اختلطت بقبائل شـرق السـودان وغرب إرتريا من البني عامر والهدندوة، وانصـهرت فيها وتغير نسبها أيضا، فسموا أحيانا بالأ شراف وأخرى بـــ (عد معلم) وعد شيخ وعد لعاليت نسبة إلى قدومهم من المناطق العالية، وقبائل حماسـين وغيرها من النسـب، أسـماء الصـفات الحميدة . أما في قبائل الهدنووة فقد عرف اغلبهم بالأشـراف، كما وجد فرع قبائل الجبرتاب ضـمن الهدندوة، ولعلاقة البجا عموما بالجبرت تاريخ كبير يجري البحث فيه خلال العلا قة التي عر فت بين قبا ئل الارومو الجبرتية وآ ثار ها الكثيرة والمذكورة في التاريخ الشـفوي والجغرافي في أراضـي البجا (البدو) .وممن جاء في الهجرات الأخيرة أسـرة عمدة الجبرت في منطقة كسـلا التي هاجرت في العام ١٨٨٥م واختلطت ببني عامر إلا أنها احتفظت باسـم الجبرتي حتى في مستنداتها الثبوتية المستحدثة آنذاك.

(*)كتاب سهم الأرحام، عثمان حمد الله، بدون تاريخ.

يعتبر كل العرب المسلمين الذين استقروا بالحبشة وتحركو منها إلى السودان خلال قيام دول الطراز الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشـر منه مجموعات جبرتية، وذلك لعموم الاسـم على مسـلمي شرق إفريقيا خلال تلكم الفترة . فمنهم من بقي على اسم الجبرتي وعرف به، ومنهم من دار به الزمان وتسمى بغير ذلك، ولأضير في ذلك . فمعني الاسم جبرتي مرادف للإسلام، وبذلك يكون كل مسلم جبرتي وكل جبرتي مسلم . ويخص بذلك مسلمي شرق إفريقيا .

التداخل والتصاهر مع المجتمع السوداني:

أدى سلوك وعادة الجبرت في طريقة زواجهم من أي مسلم منضبط السلوك، إلى مصاهرة القبائل العربية لهم، وأكثرها قبائل البني عامر والحباب والهدندوة، ثم قبائل الجعلية . وقبائل السودان الأخرى، حتى زنوج الدينكا والشلك ومجموعات غرب إفريقيا من الهوسا والفلاتة.

وقد وجدنا الكثير من قادة ومشاهير السودان في منطقة أم درمان والخرطوم و شمال السودان ممن ولدو من أمهات جبرتيات . وهم يفخرون بذلك.



معالم الجبرت في السودان

قباب شيوخ الجبرت :

من المعالم والمواقع التي تبقت من تاريخ الجبرت في السـودان والتي تحمل اسم الجبرت وجود قبة للشيخ الجبرتي قرب منطقة كنور شمال مدينة بربر . كما توجد مقابر للجبرت تعود لعهد الإمام احمد الغازي شـرق جبال توتيل بكسـلا جوار قرية ود شـريفي وفي منطقة اويتلا حيث يروي عن وجود ٩٩ قبرا للأولياء من الجبرت .

جزيرة الشيخ عبد الله الجبرتي : (سواكن الشيخ الجبرتي)

أما أكثر المعالم المشهورة والباقية فهي جزيرة الشيخ عبد الله الجبرتي بسواكن، والتي أشار إليها الكاتب صالح ضرار بصورة فوتوغرافية في كتابه سواكن وقد ضاع معظم تاريخ شـيخها عبد الله الجبرتي واختلط نسـبه بالارتيقة وغيرهم من القبائل التي كانت تسكن سواكن، وقد أرشدنا للبحث في ذلك ذكر قبته في سواكن وقد تهدمت .

قري ومدن الجبرت

منطقة أويتلا :

ويذكر في تاريخ المنطقة أن بها ٩٩ رجلا صـالحا أولياء لله من الجبرت مدفونين. وهو الموقع الذي استضـاف الجبرت الحلنقي واطمأنوا لها بعد هروبهم من الأحباش وسـكنوا جوار الأولياء ومنها بدأت حياتهم الجديدة بعيدا عن سلطان النصاري . وفي فيضانات سابقة في منتصف القرن العشرين نبشت المياه بعض القبور فوجدوا أجساد الأولياء الصالحين الجبرت سالمة، وتدخل شيوخ وسادة من المراغنة ساكني الختمية، وأعادوا الأجساد الطاهرة إلى قبورها . وتوافد الناس يتبركون ويدعون لهم بالرحمة.

قرية جبرت:

في منطقة ريفي كسلا جوار قرية حفرت التي يسكنها الحلنقة، وهي ما تزال تحتفظ بهذا الاسم حتى الآن ويسكنها خليط من الأفراد من كل القبائل وهي مشهورة بذلك.

منطقة مقلي (مكلي):

تقع شمال مدينة كسلا والتي ا شتهرت با سم التاجر المعروف إبراهيم مقلي الذي هاجر إليها وكان يتردد على منطقة مقلي ويجلب تجارته منها . وعرفت بمكلي نقلا عن الانجليزية، ورغبة في تحوير الاســم للابتعاد عن الاسم الحبشي.

مدينة وقر:

شمال دلتا القاش وقد سماها المهاجرون الجبرت على اسم منطقتهم في المرتفعات الحبشية (عد وقري). (عمدة الجبرت) .

مدينة أروما:

والتي تعني بلغة الجبرت المنطقة الخضراء الجميلة . أو نهاية المطاف للنهر (الدلتا) .

ديم النور:

بمدينة القضــارف والذي ســمي باســم النور ود فقرا الجبرتي، أمير الجبرت والضــباينة والتكارير في عهد المهدية، في مناطق القلابات وتبارك الله والجيرة والتومات التي كان يسكنها الجبرت آنذاك.

القلابات والقضارف الجيرة والتومات وتبارك الله:

كلها مواقع اســتوطنها الجبرت قبل الثورة المهدية أثناء ابتعادهم عن الأحباش في القرن التاســع عشــر الميلادي، ومنها تحركو لحربهم مع المهدية حتى قطعوا رؤوس يوهنس ملك الحبشة واربعين من قادته .

هناك فرع من قبيله الهدندوه في شرق السودان تسمى الجبرتاب وتوجد في ريفي كسلا تحديدا في منطقه تهداي وتلكوك ودر ستا وهم أ صحاب كلمه ورأي ويعرفون بالا ستقامة، ويرجع نسبهم إلى أن شيخ حافظ لكتاب الله كان قد قصد الحج فاخذ من مناطقهم طريقا متوجها إلى مدينه طوكر حتى يصل إلى ميناء سواكن ليلتحق بالحجيج هناك ويســمى هذا الشــيخ عبد الرحمن ســعيد عبد الوهاب الجبرتي وعند رجوعه مكث في تلك المناطق وتزوج منهم وله من الأبناء سبعه، خمسه أولاد وبنتين وقد تصاهرا أبنائه مع قبيلة السمردواب والنوراب في بورتســودان حتى أصــبحوا جزء مهم من قبيلة الهدندوه وأصــبحوا أصــحاب رأي وحتى هذه اللحظة هم الذين يعلمون باقي أخوتهم الهدندوه أمور دينهم .

في كتابه عن دولة الفونج وأصل الفونج ذكر الكاتب (يو سف فضل حسن) أن أصل الفونج من بني أمية ممن هاجر إلى الحبشة هربا من الدولة العباسية التي بطشت بهم . و بذلك يحتسب الفونج ضمن الجبرت وقد عاصرو الصراع المسلم مع نصاري الحبشة، ولم تمتد إليهم يد الأحباش لبعد دولتهم بعض الشيء ولقوتها. ولجوار دولة الفونج لدول الطراز الإسلامي . ولعلاقاتهم بالحبشة تاريخ مجهول يستغرب عدم البحث فيه كفاية ضمن بحوث من كتبوا لتلك الفترة !



أعلام الجبرت في السودان

لم يشتـــهر أعلام الجبرت في الســـودان باســـم الجبرتي إلا نادرا، إلا أننا نجد المعا صرين من أعلام الجبرت المعروفين بأنهم جبرت، ورغم ذلك لا يتسمون بذلك لما سـبق أن شـرحناه من ارتباط الاسـم بالإسـلام، ولابتعاد فكرة القبلية والجهوية عن الجبرت في الأوســـاط الإســـلامية . وفي الآونة الأخيرة ظهرت تسمية الجبرتي تظهر كثيرا إلى بعد أن عم التصنيف القبلي علي أفراد المجتمعات في الســـودان، أصـبح الكثير من أفراد الجبرت يضـعون نسـب الجبرتي في نهاية أسمائهم.

النور أو نور ود فقرا الجبرتي:

هو من قادة الدولة المهدية في شـرق الســودان، ولما زاد بطش الحبشـــي يوهنس ضـــد المســـلمين في منطقة تقراي الإثيوبية وفرض عليهم التنصـــير أو الهجرة أو الموت، ثار وزحف بأهله إلى منطقة

القضارف والقلابات وتبارك الله والجيرة وغيرها في شرق السودان الحالي . وتوجه، الشيخ عبد الله الجبرتي في ســـواكن وطلب منه الدعم لمحاربة النصـــاري أعداء الله لما فعلوا بالمســـلمين فوجهه الشـــيخ عبد الله الجبرتي، ملك اليمن، ولما بلغ ملك اليمن ذلك رد عليهم بأن شعبه لم يألف الصحراء ولا يستطيع أن يقاتل فيها، لذلك ســيمدهم بكل حاجتهم من الســـلاح والعتاد، وكان ذلك بعد عودته من اليمن، كانت الثورة المهدبة قد ذاع صـــيتها في أرجاء الســـودان، فطلب منه الشـــيخ عبد الله الجبرتي أن يذهب ويبايع المهدي ويجاهد معه كفار الحبشـــة . وذهب النور ود فقراء للإمام المهدي ويبايعه واعترف بمهديته في قدير. وكان يســكن وأهله الجبرت في منطقة تبارك الله والجيرة والتومات والقلابات والقضـــارف . فأمّره الإمام المهدي (عليه السلام) على أهله الجبرت و سكان المنطقة من الضبابنة والتكارير . وكلفه بمحاربة الأحباش والدفاع عن حدود الدولة المهدية مع الأحباش . وقام القائد النور ودفقرا الجبرتي بمناوشـــة الأحباش وردهم عن الحدود، أن اســـتشـــهد في إحدى المعارك، فورثه عمر أحمد خوجلي، ولما قوي الأحباش على المجاهدين الجبرت وإخوانهم في المنطقة وكان بينهم تباين في الآراء وقد خذل ورفض بعض من قادة المهدية في الشـــرق نصرة النور ودفقرا الجبرتي، لعموم الاختلاف بين القادة آنذاك .

الجبرت سفراء المهدية، الحبشة :

أوفد الخليفة وفد للتفاوض مع الحبشـة بقيادة محمد عثمان حاج خالد وعبد الرحمن الجبرتي وبشـري الجبرتي وبلغوا ر سالة الخليفة للملك الحبشي . ولما رفض الأحباش التعاون ووقف العداء، أر سل الخليفة عبد الله التعايشـي القائد يونس ود الدكيم على المنطقة على راس جيش كبير، وكان جيش الأحباش جرارا يساوي عشرة أضعاف جيش المهدية، لجمعه واستنفاره لكل القرى التي مر بها، مما أكثر عدد جيشه .

استغل المجاهدين الأنصـار الجبرت بقيادة يونس الدكيم فرصـة العدد الضـخم لجيش الحبشـة وعدم معرفتهم بعـضهم البعض، فاخترقوا الـصفوف ليلا، وباتوا عند خيمة الملك الحبـشي يوهانس، وفي الـصباح وقبل بداية المعارك دخل احدهم الخيمة وذبح الملك وقطع رأسـه، ثم صـاح بقية الجبرت بلغة الأحباش منتشـرين بينهم، بان قد قتل الملك يوهانس، ففر الأحباش وانهزموا، وزحف الأنصـار على الأحباش حتى غندر وهدموا قلعتها، وأحضـروا للخليفة رأس يوهانس في أم درمان ومعه رأس أربعين من قادته. (عمدة الجبرت)

ولما أراد يونس الدكيم العودة إلى أم درمان أمر مجموعة من تجار الجبرت ومجاهديهم أن يسـيروا معه إلى أم درمان ليقابلوا الخليفة التعايشي . ولما بلغوا أم درمان غدر بهم يونس الدكيم، وأخبر الخليفة أن هؤلاء هم اسري من الحبشة لينال الحظوة والتكريم من الخليفة التعايشي، فأودعهم الخليفة السجن.

تمكن الجبرت من الاتصـال بأحد الحراس واخبروه بما فعله بهم يونس ود الدكيم، وكلفوه بتوصـيل ر سالتهم، الخليفة . ولما علم الخليفة ذلك، أطلق سراحهم وأكرمهم . فعاد منهم من عاد، القلابات وتبارك الله وبقى منهم جماعة بجوار الخليفة يجاهدون أعداء الله . (القدال، المهدية والحبشـة). وكان لهم شـهرة و أحياء سكنية معروفة بأم درمان تعتبر من أعرق الأحياء

اللواء الخواض محمد احمد :

وزير الدفاع السوداني المولود بكبوشية بمركز شندي في ١/ ١/ ١٩١٦م أكمل تعليمه الأولي والأوسط في أم درمان والتحق بكلية غردون في ١٩٣٢م .

الخبرات العلمية والعملية:

- التحق بالكلية الحربية كطالب حربي وفي ١/ ١/ ١٩٣٩م تخرج فيها برتبة ملازم ثاني.

- تدرج في الوظائف العسكرية إلى أن ترقى إلى رتبة القائم قام في ١٠/ ١١/ ١٩٥٤م ثم إلى رتبة الأميرالاي في ٢٤/ ٢/ ١٩٥٨م وعلى رتبة اللواء في ١٩٦١م.

- خدم في سلاح الـ سواري بـ شندي وظل يعمل به ٩ سنوات ومن هناك إلى القيادة الغربية ثم إلى الـ شرقية ودرسة المشاة ورئاسة الجيش والقيادة الجنوبية.

- أوفد في بعثة تدريبية لانجلترا في عام ١٩٥٠م وتحصل على درجات عليا في الفنون العسكرية كما أنه نال شهادة الأركان حرب السودانية.

- عمل كمدير لسلاح أسلحة الجيش ثم نقل إلى مدرسة المشاة قائدا لها وإلى الكلية الحربية وظل بها حتى اختير عضوا بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة في ١٨/ ١١/ ١٩٥٨م.

- في مارس ١٩٥٩م عاد إلى خدمة الجيش في القيادة الشرقية ومنها إلى رئاسة الجيش.

- اختير كقائد عام للجيش السوداني برتبة فريق في ديسمبر ١٩٦٤م.

إنجازاته :

- اشترك في حملة ارتريا وموقعة كرن كما عمل في شمال إفريقيا بطبرق وطرابلس.

الجوائز:

- يحمل نيشان الخدمة الطويلة الممتازة للضباط.
- ميدالية ٣٩/ ١٩٤٥.
- ميدالية الذكرى الحسنة.
- ميدالية خدمة السودان العامة

الشيخ حامد محمد الهادي:

من أعيان مدينة كسلا، وأعيان الجبرت في السودان، وهو شيخ وعالم فاضل، وصديق شخصي للشيخ علي بيتاي شيخ خلاوي شرق السودان، وكان قبل لقائه به قد ذكر الشيخ علي بيتاي لأحد أصحابه من شيوخ النابتاب انه سيحضر له جملا كريما ووصفه له بصفات حميدة . فاجتهد الشيخ في البحث حتى وجد جملا رأي

فيه ما فهمه من الشيخ علي بيتاي، فاشتراه واحضره له، فقال له الشيخ بيتاي ليس هذا هو ما قصدت، لكن اصبر وستأتي به إنشاء الله .

وفي مدينة كسلا التقى الشيخ محمد بالشيخ حامد في صلاة بالمسجد، وذكر له انه من خلاوي الشيخ علي بيتاي ووصفها له بمدينة القرآن . فأعجب الشيخ حامد بذلك وطلب منه زيارتها . ولما وصلوا إليها بعد رحلة شاقة بو سائل ذلك الزمان، قام الشيخ علي بيتاي وا ستقبلهم ورحب بهم كثيرا وأكرمهم . ثم تحدث، صاحبه وقال له لقد وفقت في إحضاره، حينها علم الشيخ محمد من هو الرجل الذي جاء به . و سر الشيخ حامد مما رأي في مدينة القرآن من جموع حافظة للقران وتالية له إناء الليل والنهار، نساء ورجال من مختلف ألوان البشر ومختلف القبائل والأجناس .

منذ ذلك الحين في سبعينيات القرن الفائت، قرر الشيخ حامد أن تكون كل خلاوي شرق السودان همه ومقصده، فقدم لها جميعا الإضاءة الحديثة بالجنريترات وأهداهم الطواحين للحبوب. وما يزال يواصلهم حتى الآن، ولا يوجد من لا يعرفه ويشكره من شيوخ خلاوي شرق السودان. حتى انه أوفد ثلاثة من أبنائه للدراسة فيها من بينهم كاتب هذه السطور، فحفظ أكبرهم القران والفقه فيها، ورجع الصغار، المدارس.

أما خلاوي منطقة خشم القربة والتي يغلب عليها قبائل البني عامر، والتي كان على رأسها الشيخ عمر، فلم تكن بعيدة عن كرم الشيخ حامد واهتمامه، وقد قدم لها الإضاءة الحديثة وحقق مطالبها لفترة طويلة .

ولما كان للسادة الختمية المراغنة مكانة في مجتمع شرق السودان فقد ظل الشيخ حامد مصاحبا لهم خليفة و شيخا عالما يحبونه ويعترفون به . حتى اختاروه إماما للعيدين في ضريح السيد الحسن الميرغني . فصلي بهم لسنوات عديدة وجدد في منهجهم للدعوة واستحبوا ذلك .

ظلت إدارة الشؤون الدينية في مدينة كسلا تطلب تعاونه ومشاركته طيلة الزمان، إلا انه كان يعتذر عن مباشرة المشاركة لكثرة أسفاره والتزاماته الخارجية . فقد كانت له مساهمات ومعارف وعضوية ببعض المؤسسات الدينية خارج السودان .

في العام ١٩٨٨ عندما أصابت الفيضانات معظم مدن السودان، استقطب الشيخ حامد الدعم من الشيخ احمد إدريس نصر الدين المليونير الجبرتي في ايطاليا والقائم بأعمال السفارة الكويتية في إيطاليا، والذي قدر بما يزيد عن ثمانمائة ألف دولار دعما لإخوانه المسلمين في السودان، سلمها الشيخ حامد للحكومة السودانية حينها يدا بيد، وردت الحكومة السودانية بمنح الشيخ أحمد نصر الدين الجنسية السودانية، عرفانا

منها بعطائه للبلاد . ولم تقتصر مساهمات الشيخ أحمد نصر الدين في هذه المناسبة، فقد كان من داعمي ومؤيدي الحركة الإسلامية السودانية (الجبهة الإسلامية القومية) وما بعدها، وكثيرا ما استضاف قادتها في أوروبا وساهم في حركتهم هناك . كما هو عضو داعم دائم لمنظمة الدعوة الإسلامية، وصاحب مقرب للمشير سوار الذهب رئيس جمهورية السودان السابق ورئيس مجلس إدارة منظمة الدعوة الإسلامية .

محمد الحسن إبراهيم الجبرتي:

عمدة الجبرت في السودان أستاذ وتاجر معروف بسوق مدينة كسلا، له مساهمات متعددة ودور كبير في نهضة المجتمع الجبرتي في شرق السودان، وله دور كبير في تعليم أبناء الجبرت داخل وخارج السودان، كما له الفضل الكبير في ربط المجتمع الجبرتي الكبير ببعضه البعض . ترأس وشارك في كل الأعمال الخاصة بالجبرت في مناطق شرق السودان وله عشرة أخوة .

ذكر أن جده وسبعة من الشباب الجبرت وصلوا، كسلا في ١٨٨٢م واستقروا بها وعملوا في التجارة وخياطة الملابس، و كانوا ولا يزالون مقصدا لكل المهاجرين الجبرت، المنطقة . وعليهم تعتمد السلطات السودانية في التعامل مع كل الجبرت. إضافة، مشاركاته في العمل السياسي والاجتماعي والثقافي في مدينة كسلا. وهو كريم يقصده كثير ممن يعرفون تاريخ أجداده من القبائل الأخرى.

الشيخ عبد الجليل بشير:

نائب عمدة الجبرت، من أعيان الجبرت في مدينة كسلا، وهو تاجر معروف، وكريم مغيث للملهوف، يقصده الكثير من أهل كسلا، كما له إسهاماته الكثيرة الكبيرة في دعم خلاوي القران الخاصة بالجبرت والعامة، كما له فضل كبير دعم تعليم أبناء الجبرت في شرق السودان .

خليفة الخلفاء إبراهيم احمد الجبرتي :

والد العمدة محمد الحسن، ولد بحي الميرغنية في كسلا في ١٩١٦م جاء والده، كسلا في ١٨٨٢م ونال الخلافة من السيد احمد الميرغني، فكان محبا لشيوخه حتى أصبح خليفة الخلفاء في عهد السيد الحسن الميرغني . عمل تاجرا بكسلا وعرف بحبه للمجتمع وحب لمجتمع في كسلا له، وكان كريما خدوما لايكل من ضيوفه ولا يمل .

الشيخ محمد الخليفة احمد طويل:

من رواد النشاط الرياضي بكسلا، لعب في النادي الميرغني الرياضي ثم عمل حكما لكرة القدم، تبعه ابنه نذار الخليفة، الذي برز في كرة القدم حتى استقطبه نادي المريخ العاصمي انتقل بعده إلى أمريكا حيث اختاره الله هنالك.

الحاج داود الكتبي:

قدم إلى كسلا في العام ١٨٨٢ م. من أوائل من تعاملوا مع الكتاب جلبا وتوزيعا، حتى طغي اسم الكتبي عليه وكان انصاري التوجه . انشأ مكتبة كسلا الوطنية . وكانت زوجته من المحس، وبذلك كان بيته عامرا بالضيوف الجبرت والمحس، مع اختلاط الرطانتين في منزل واحد .

الخليفة الحاج إبراهيم داوود الكتبي:

هو ابن الحاج داوود الكتبي، خلف والده في إدارة المكتبة، وله ركن يجتمع فيه مثقفي كسلا ومعلميها . قاد حركة النهضة الثقافية والمسرحية، حيث عمل سكرتيرا للجنة المؤسسة لمسرح تاجوج .

الخليفة حاج أمان:

دخل، السودان عام ١٨٨٨م وأنشأ مكتبة دار اليوم في كسلا وكانت من أوائل المكتبات في مدينة كسلا حينها . كان من خلفاء الطريقة الختمية . وخلفه ابنه ناصر حاج أمان في إدارة المكتبة .

الشيخ محمد علي سعيد بيان :

من مواليد مدينة سنار، عمل مديرا أو مسؤولا للشؤون الدينية بالخرطوم في عهد الرئيس جعفر محمد نميري، وكان يسكن منطقة الخرطوم بحري . وله تفسير للقرآن الكريم في راديوا هنا أم درمان ومكتوب بعنوان البرهان في تفسير القرآن . ما تزال ذريته في الخرطوم بحري حتى الآن .

الشيخ إبراهيم محمد الحسن:

من قادة ومؤ سسي جماعة أنصار السنة المحمدية في السودان، شارك في الكثير من الأعمال السياسية والدينية، وبفضله انتشرت الجماعة في السودان، و شاركت في نشر الدعوة الوهابية وأرشدت الناس، منهج السلف، وساهمت في بناء المساجد والخلاوي ومراكز التعليم الديني على منهج الوهابية في كل أنحاء السودان.

الدكتور عبد الله نور إبراهيم الجبرتي:

شـيخ الجبرت بالخرطوم، وهو أسـتاذ جامعي من جامعة النيلين، وقد أسـس وأدار جامعة السـودان المفتوحة بولاية البحر الأحمر، عمل أمينا للشـؤون العلمية بجامعة الأمير عثمان دقنة ثم نائبا لعميدها . خدم في احتياطي القوات المسلحة في كل من جنوب وجنوب شرق وشرق السودان ، وتبوأ مواقع قيادية حينها .

له مشاركات علمية محلية وإقليمية ودولية في مجالات الجغرافيا السيا سية والاقتصادية والتنمية . يعمل مستشارا لصندوق أعمار شرق السودان، في مجال المنظمات المانحة .

الشيخ ضياء الدين عبد الرحمن عبد الله:

شيخ ضمن عمودية الجبرت في كسلا، من أعيان الجبرت في مدينة كسلا، ومن قادة ومؤ سسي الحركة الإ سلامية في منطقة شرق السودان . له مشاركات ومساهمات فكرية واجتماعية و سيا سية . وهو من شيوخ الإدارة الأهلية للجبرت في مدينة كسلا .

الشيخ سعيد محمد إدريس عكاز:

من أعيان مدينة كسلا مؤ سس مكتبة سعيد بأم درمان في العام ١٩٦٧م جوار المسجد الكبير . انتقل إلى كسلا في العام ١٩٨٩م وعمل بالتجارة . وهو داعية وعضو إدارة المسجد الكبير بكسلا منذ ذاك الوقت .

الشيخ عبد الرحيم يوسف:

أول شـيخ منتخب للجبرت في كسـلا، وهو من أعيان الجبرت، وفي عهده تمت ترقية القبيلة، عمودية في نهاية العام ٢٠٠٩م، وهذا ما يميز قبيلة الجبرت في السـودان، إذ أنها تقوم بانتخاب شـيوخها وعمدتها دوريا، مقدمة بذلك نموذجا حديثا مواكبا لنظام إدارة منظمات المجتمع المدني الحديث في الإدارة الأهلية بشـرق السودان.

إن أعيان وأعلام الجبرت في السـودان أكثر من أن يحصـوا من ضـباط في الجيش والشـرطة والإدارات الحكومية الأخرى والتجارة وغيرها من المشاركات الر سمية والاجتماعية والدينية، وقد اقتصر ذكرنا لهذه المجموعة كنموذج للأجيال المتتالية خلال القرن السابق وحتى العصر الحا ضر . كما اكتفينا بذكر الشيوخ القائمين على أمر الإدارة الأهلية للجبرت، لأنهم نماذج منتخبة من الجماهير . وبذلك نتمنى أن نكون قد وفقنا في اختيارهم . ومن لم نذكرهم هنا ممن لهم ذكر وفضل وشهرة نرجو ان نوفق في سردهم جميعا ما أمكن في طبعة أخرى شاملة بإذن الله، ولهم منا العتبي حتى يرضوا .

يضاف، ذلكم كل تاريخ وأعلام قبائل الحلنقي والخواويض وديم التقراي (القراي) وعد شيخ وعد معلم وعد لعاليت من الحباب والبني عامر، وجزيرة الشيخ عبد الله الجبرتي بسواكن وقباب شيوخ الجبرت المنتشرة في أصقاع السودان.

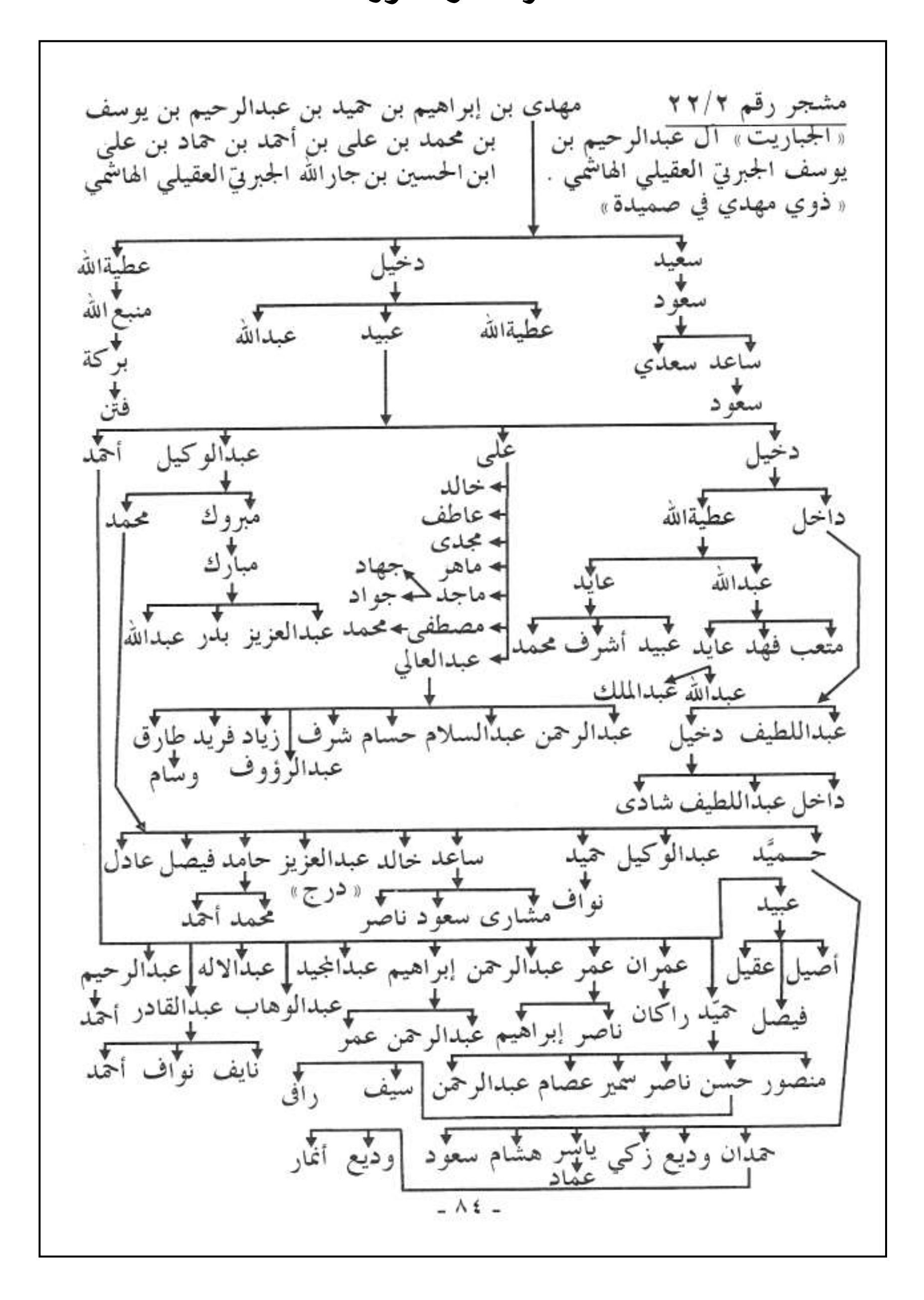
خارطة انتشار الجبرت في السودان

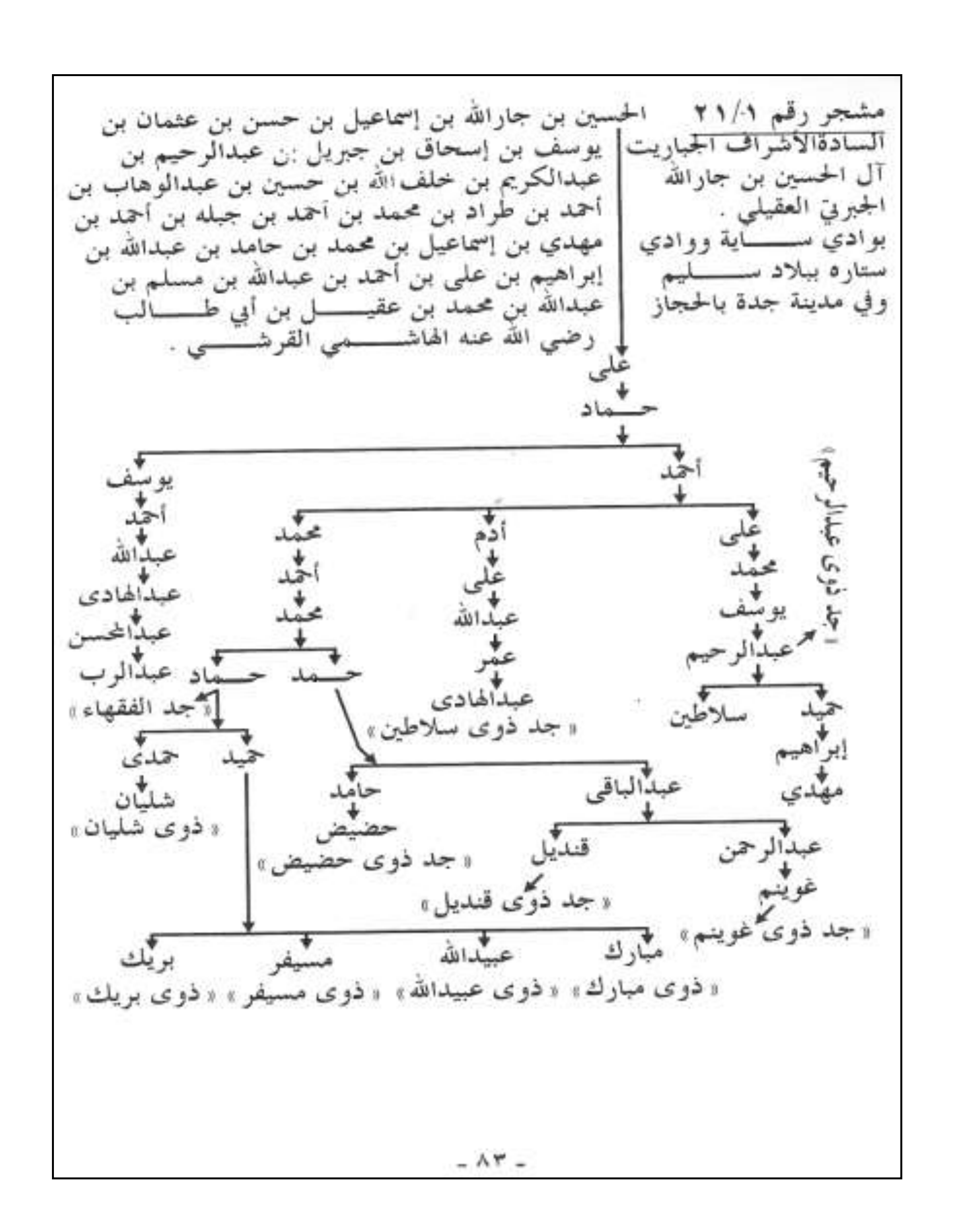
يمكننا مما سبق من تاريخ ووقائع أن نضع خارطة جغرافية لانتشار الجبرت في السودان محددة انتشارهم في كل من شرق السودان الممتد من شمال ولاية النيل الأزرق، البحر الأحمر، ووسط السودان وشماله بمحاذاة نهر النيل وكل وفروعه امتدادا حتى الإسكندرية في مصر.

خاتمة

ختاما نتمنى أن يكون كل ما ورد وذكر في هذه المخطوطة من سيرة وتاريخ مقصده التعاون علي البر والتقوى، وليس تكريما لمسلم علي آخر، أن أكرمكم إن الله أتقاكم. كما حاولنا تقليص الصفحات وسرد المهم والاهم من تاريخ الجبرت الذي وجدنا له من المراجع المئات. ونرجو أن لا يكون اقتضابنا مخلا أو منقصا لما هو مطلوب من معلومة للقارئ . ونتمنى أن يوفقنا الله لتوفير نسخ أخري أكثر شمولا وتنقيحا.

إن تاريخ الجبرت في السودان ليس له من الأهمية مكان أن لم يكن له دور في الدعوة إلى الله ونشر رسالة نبيه محمد (ص) ونتمنى أن يوا صل خلفهم ما بدأه أ سلافهم من تركهم للتعصب والقبلية والجهوية حتى يكون المسلمين في السودان امة واحدة كما قال النبي ﷺ: (إن الله قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) . لا يفرق بين أفرادها إلا التقوى وخدمة الإسلام والمسلمين.


مشجر رقم ٢٢/٢
« الجباريت » آل عبدالرحيم بن يوسف الجبرتي العقيلي الهاشمي . « ذوي مهدي في صميدة »
مهدي بن إبراهيم بن حميد بن عبدالرحيم بن يوسف بن محمد بن علي بن أحمد بن حماد بن علي ابن الحسين بن جارالله الجبرتي العقيلي الهاشمي
سعيد
دخيل
عطيةالله
سعود
ساعد سعدي
سعود
عطيةالله عبيد عبدالله
منبع الله
بركة
فتن
دخيل
علي
عبدالوكيل
أحمد
داخل
عطيةالله
عبدالله
عايد
متعب فهد عايد عبيد أشرف محمد
عبدالله عبدالملك
عبداللطيف دخيل
داخل عبداللطيف شادي
خالد
عاطف
مجدي
ماهر
ماجد
جهاد
جواد
مصطفى
محمد
عبدالعالي
مبروك
محمد
مبارك
عبدالعزيز بدر عبدالله
عبدالرحمن عبدالسلام حسام شرف زياد فريد طارق
عبدالرؤوف
وسام
حميّد
عبدالوكيل حميد
نواف
ساعد خالد عبدالعزيز حامد فيصل عادل
« درج »
مشاري سعود ناصر
محمد أحمد
عبيد
أصيل عقيل
فيصل حميّد راكان
عمران عمر عبدالرحمن إبراهيم عبدالمجيد عبدالاله عبدالرحيم
ناصر إبراهيم
عبدالرحمن عمر
عبدالوهاب عبدالقادر أحمد
نايف نواف أحمد
منصور حسن ناصر سمير عصام عبدالرحمن سيف
رافي
حمدان وديع زكي ياسر هشام سعود وديع أثمار
عماد
- ٨٤ -


مشجر رقم ١/٢١
السادة الأشراف الجباريت
آل الحسين بن جارالله
الجبرتي العقيلي .
بوادي سـاية ووادي
ستاره ببلاد سـليم
وفي مدينة جدة بالحجاز
الحسين بن جارالله بن إسماعيل بن حسن بن عثمان بن
يوسف بن إسحاق بن جبريل بن عبدالرحيم بن
عبدالكريم بن خلف الله بن حسين بن عبدالوهاب بن
أحمد بن طراد بن محمد بن أحمد بن جبله بن أحمد بن
مهدي بن إسماعيل بن محمد بن حامد بن عبدالله بن
إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبدالله بن مسلم بن
عبدالله بن محمد بن عقيـل بن أبي طـالب
رضي الله عنه الهاشـمي القرشـي .
علي
حماد
أحمد
يوسف
علي
أدم
محمد
محمد
علي
أحمد
أحمد
يوسف
عبدالله
محمد
عبدالله
عبدالهادى
عبدالرحيم
« جد ذوى عبدالرحيم »
عمر
عبدالحسن
عبدالرب
حماد
حمد
عبدالهادى
« جد ذوى سلاطين »
حميد
سلاطين
« جد الفقهاء »
حمدى
حميد
إبراهيم
حامد
عبدالباقي
مهدي
شليان
« ذوى شليان »
حضيض
« جد ذوى حضيض »
قنديل
عبدالرحمن
« جد ذوى قنديل »
غوينم
« جد ذوى غوينم »
مبارك
عبيدالله
مسيفر
بريك
« ذوى مبارك »
« ذوى عبيدالله »
« ذوى مسيفر »
« ذوى بريك »
- ٨٣ -





والي الخرطوم،من أبرز قيادات الحركة الإسلامية السودانية



الشيخ محمد برهان أدروب نائب شيخ الجبرتة بالخرطوم السيد وزير الداخلية الباش مهندس إبراهيم محمود وبعض شيوخ قبائل شرق السودان، بعد الإفطار الجماعي بنادي ضباط القوات المسلحة بالخرطوم رمضان ٢٠١١م



من اليمين ناظر ديار بكر، شيخ الجبرت، الأستاذ أبو علي أكلاب، نائب شيخ الجبرت بالخرطوم، ناظر الهدندوة أحمد ترك



صورة تجمع قيادات الإدارة الأهلية بشرق السودان في الدورة التأهيلية ٢٠١١م يتوسطهم الشيخ عبد الله الجبرتي



من اليمين الشيخ محمد برهان نائب شيخ الجبرت، ناظر عموم البشاريين، الأستاذ احمد موسي ضرار، الدكتور عبد الله نور الجبرتي شيخ الجبرت بالخرطوم، بمناسبة ختام الدورة التأهيلية للإدارة الأهلية ٢٠١١م .



صورة من داخل قاعة التدريب أثناء الدورة التاهيلية، ويظهر الأستاذ منيب القيادي بجبهة الشرق واقفا أثناء تعليقه علي بعض النقاط .



صورة لمنصة مقدمي أوراق ندوة السودانيون الجبرت



محمد الحسن الجبرتي عمدة الجبرت يتوسط عضو مجلس عمودية الجبرت الشيخ سعيد عكاظ يمينه والشيخ أبو علي مجذوب من كبار زعماء البجا بشرق السودان، أثناء الندوة



صورة لبعض الصحفيين والأكاديميين والمواطنين حضور الندوة

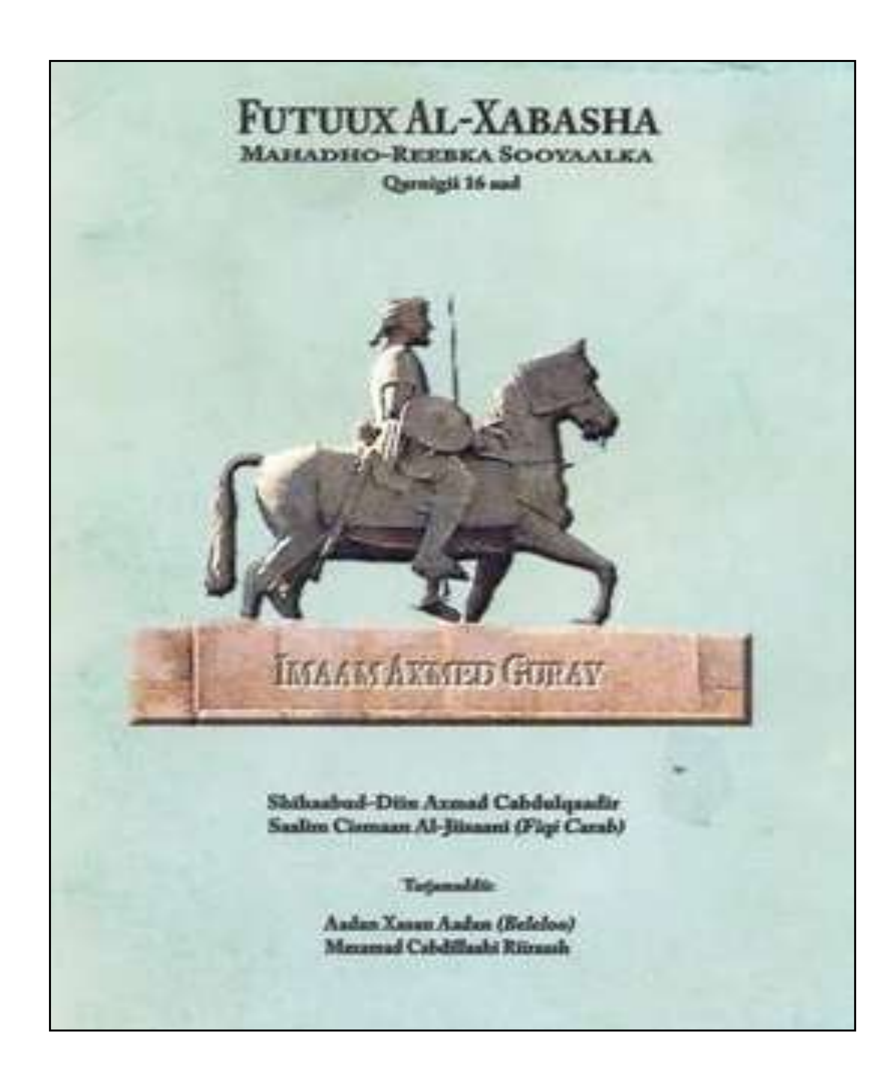


الأول عن فتوح الحبشة

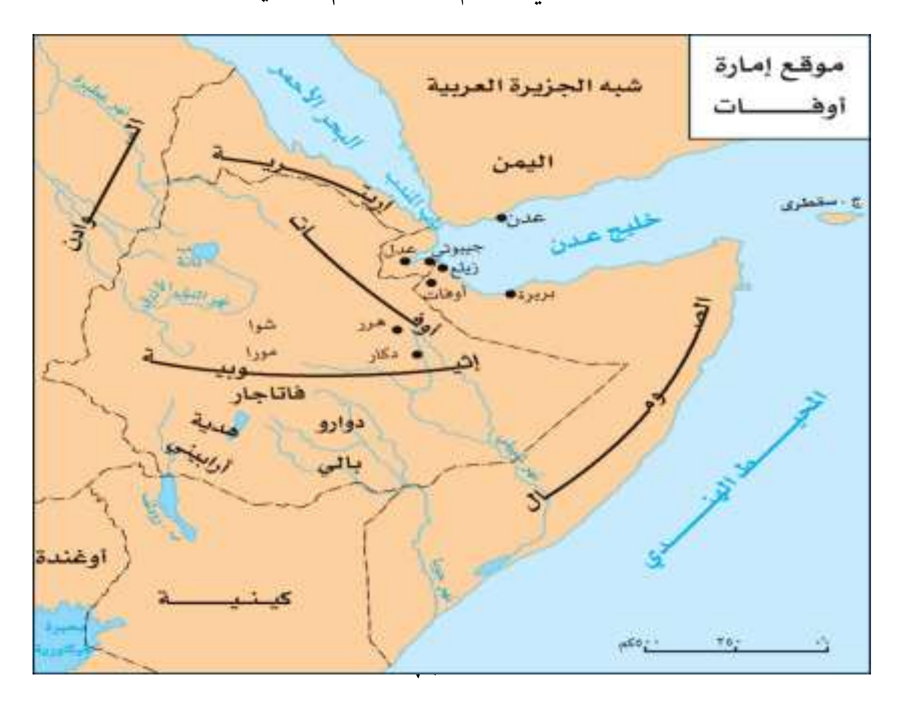
الإمام المسلمين

السلطان أحمد بن ابرهيم

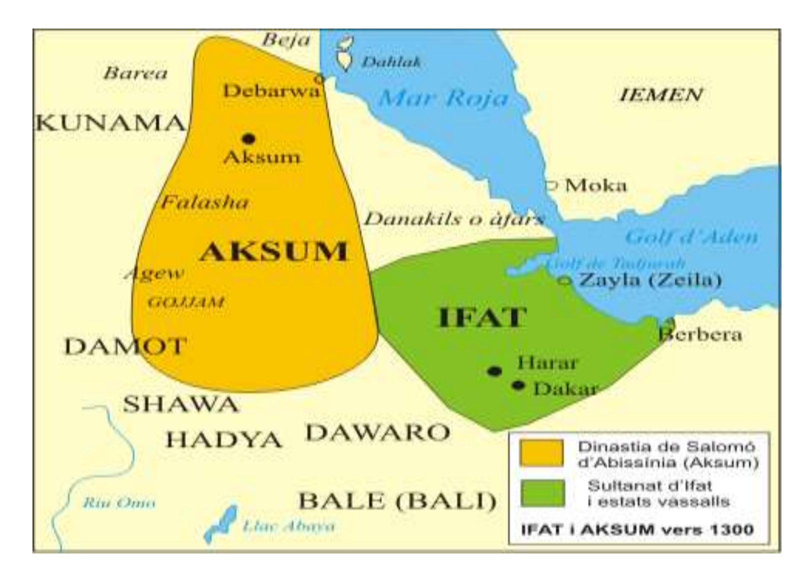
كتاب مخطوط باليد عن سيرة تاريخ الإمام أحمد إبراهيم الغازي المجاهد



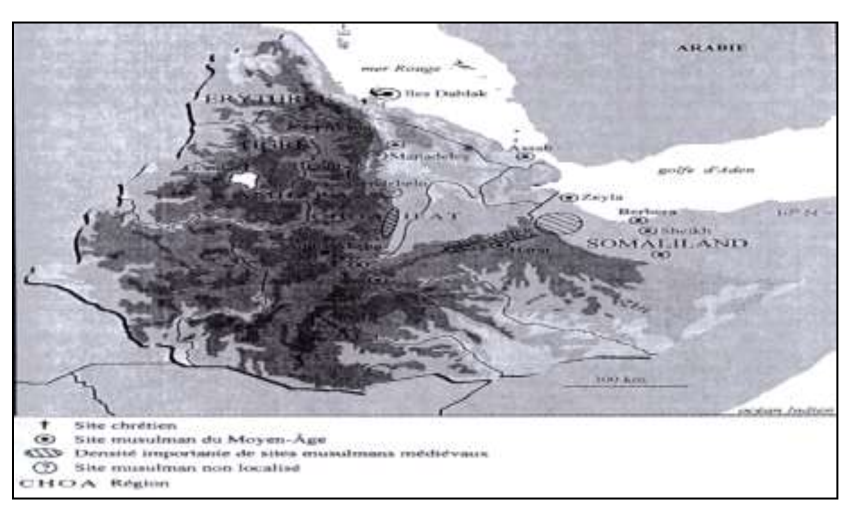
صورة للكتاب التعريفي للإمام احمد إبراهيم الغازي باللغة الصومالية



خريطة توضح موقع مملكة إيفات الجبرتية







خريطة فرنسية حديثة لما بعد احتلال وتخطيط الحدود الدولة الارترية الوليدة ويظهر فيها باقيا حتى ظهور الدول الحديثة اسم وموقع دولة أيفات



تمثال الإمام احمد إبراهيم الغازي قائد سلطان دولة الجبرت كان في وسط ساحة مدرسة الإمام أحمد الثانوية بالعاصمة الصومالية





صورة للأستاذ عبد الرحمن طه في عاصمة إقليم إيفات علي اليمين ومع شيخ من الجبرت الإيفاتين علي اليسار



نموذج لكتابة اللغة الجعزية بالحرف العربي في توقيت الصلوات في أحد مساجد إيفات



صورة في العام يناير ٢٠١٤م لكتاب عليه نسب مالكه المخزومي في منطقة إيفات جبرت



صورة ٢٠١٤م لمصحف يعود تاريخه لما يزيد علي ٤٠٠ سنة موروث أبا عن جد لمالكه القاطن في إيفات جبرت



صورة في ٢٠١٤م للباحث مع الشيخ محمد سعيد المخزومي صاحب وريث كتب النسب والمصاحف في منطقة إيفات ، وعلي قمة الجبل في اعلي الصورة مسجد يعود تاريخ بناءه إلي العام ١١١هجرية به آثار مختلفة

مجموعة أ برز المراجع:

١- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن : تنويرالغبش في فضل السودان والحبش ـ تحقيق محمد بركات ـ الخرطوم ـ دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر ١٩٩٣م .

٢- احمد بن علي بن عبد القادرابن محمد المقريزي : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإ سلام ـ سنة١٤٧٢م ـ مطبعة التأليف بمصر ـ ١٨٩٥م

٣- بدرية يونس عبد الرحمن : مملكة إيفات جبرت ـــ منشورات معهد البحوث والدرا سات الإفريقية ـ الخرطوم ـ جامعة أفريقيا العالمية ـ ٢٠٠٦م

٤- جلال الدين السيوطي : رفع شأن الحبشان .

٥- شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تصدير فؤاد سزكين ـ منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ـ ألمانيا الاتحادية ـ ١٩٨٨م .

٦- عبد الله نور إبراهيم الجبرتي : مشكلات حدود السودان الشرقية، دراسة في الجغرافيا السياسية . بحث ماجستير غير منشور . جامعة النيلين ٢٠٠٣م .

٧- عبد القادر حقوس محمد : الجبرت والجبرتيون ـ مطبعة القاهرة ـ ١٩٩١م

٨- عمر المشري : بلاد القرن الأفريقي ـــ شعبة التثقيف والأعلام والتعبئة ـــ طرابلس ـــ الجماهيرية العظمي ـ ١٩٩٨م .

٩- محمد الطيب ابن يو سف اليو سف : أثيوبيا العروبة والإ سلام عبر التاريخ ـــ المطبعة المكية ـــ مكة المكرمة ـ ١٩٩٦م

١٠- محمد سعيد القدال : المهدية و والحبشة ـــ دار التأليف والترجمة والنشر ـــ جامعة الخرطوم ـ ١٩٧٣م .

١١- محمد صالح ضرار : تاريخ سواكن والبحر الأحمر . الدار السودانية للكتب .١٩٨٨م

١١- محمود لوبينت : المختصر في تاريخ الجبر ـ عواتي دوت كوم ـ ٢٠٠٤م

١٢- **يس أبرَّا** : تاريخ الجبرتة في إرتريا ـ بدون موقع ـ ١٩٨٩م

١٣- **يوسف فضل حسن** : أصل الفونج ـ دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم . ١٤/ دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب . دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم ـ ١٩٧٥م.

١٥- **السيف والنار** : سلاطين باشا .

١٦- **مكي شبيكة** : السودان عبر القرون . القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦م .

١٧- **صلاح عمر الصادق** : قباب شرق السودان دار عزة للنشر والتوزيع ٢٠٠٨م

المجلات العلمية :

١- منشورات مركز البحوث والدرا سات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم. منشورات مؤتمر الإسلام في إفريقيا . ٢٠٠٦م

المقابلات :

١- **محمد الحسن إبراهيم الجبرتي** . عمدة الجبرتة بمدينة كسلا ١٠/ ٩/ ٢٠١١م .

٢- **الدكتور مجذوب الخليفة** . وزير الزراعة السوداني ووالي الخرطوم سابقاً ٢٠٠٥م .

٣- **البروفيسور حسن مكي** . مدير جامعة إفريقيا العالمية . ٢٠٠٦م

٤- **بروفيسور فيصل موسي** . رئيس قسم التاريخ كلية الآداب جامعة النيلين .٢٠٠٥م .

٥- **الأ ستاذ الدكتور سيف الإ سلام بدوي** . أ ستاذ التاريخ المتخ صص في شرق إفريقيا مركز درا سات حوض النيل، جامعة النيلين . ٢٠٠٥م .



الجبرت وبلادهم في المصادر العربية - خلفية تاريخية



د. أحمد إلياس حسين
كلية التربية - جامعة الخرطوم
مارس ٢٠١٢

تهدف هذه المساهمة إلي إعطاء خلفية تاريخية عن الجبرت وبلادهم، و سيتم ذلك عبر تسليط بعض الضوء على هذا الموضوع من خلال تتبع ما ورد في بعض المصادر العربية عن الجبرت والزيلع وبلادهم وما ورد في المصادر عن ثروات بلادهم الزراعية والحيوانية ووسائل التعامل بينهم، وفي النهاية ترد بعض النماذج لترجمات المصادر العربية للجبرت. وقد تم الاعتماد بصورة أساسية في مصادر الدراسة على ما ورد في المكتبة الشاملة بموقع الوراق والتي تم الرجوع إليها عام ٢٠٠٥ أي قبل التغير ا الذي طرأ على الموقع مؤخراً. وسنبدأ بمقدمة مختصرة عن علاقة منطقة القرن الأفريقي قبل و إبان القرون المبكرة للإسلام .

الصلات القديمة بين بلاد العرب و القرن الأفريقي:

أدى الموقع الجغرافي للقرن الأفريقي إلي جوار الركن الجنوبي الغربي لبلاد العرب إلي ربط المنطقتين بروابط قوية ودائمة عبر باب المندب وخليج عدن منذ العصور القديمة. وأدت تلك الصلات التجارية والبشرية القديمة بين القرن الأفريقي وبلاد العرب إلي تلاقح الأعراق والحضارات حتى أصبح القرن الأفريقي امتداداً عرقياً وحضارياً لبلاد العرب الجنوبية.

ويحدثنا التاريخ عن الهجرات العربية المبكرة من الجزيرة العربية إلي شــرق أفريقيا منذ قرون كثيرة قبل الإسلام، وكيف أصبحت سواحل شرق أفريقيا من بين المراكز التجارية الهامة والنشطة في حركة التجارة مع بلاد العرب ومناطق شرقي البحر المتوسط. وقد ازدادت تلك الصلات عمقاً بعد ظهور الإسلام.

فقد بدأت صلات المسلمين بالمنطقة في السنة الخامسة للبعثة (٨ ق هـ) عندما هاجر بعض المسلمين إلي الحبشــة فراراً بدينهم من قريش في مكة. ويرى الجبرتي أن هجرة أصــحاب رســول الله ﷺ كانت إلي بلاد الجبرت، وأن النجاشي الذي استقبل المسلمين وأعلن إسلامه كان حاكم منطقة جبرت[٤٥].

وبعد انتشار الإ سلام ازداد ارتباط المسلمين بمنطقة القرن الأفريقي ليس فقط من أجل نشر الإ سلام بل لأســباب كثيرة ومتنوعة مثل اضــطراب الأوضــاع الســياســية التي تعرض لها المســلمون في عصــر الخلافة الراشدة والعصر الأموي وما صاحبها من هجرات الكثير من القبائل والجماعات العربية والفارسية إلي شرق أفريقيا. وإلى جانب ذلك فقد وصــلت إلي المنطقة أعداد كبيرة من العرب من أجل التجارة أو البحث عن مناطق تتوفر فيها ظروف الاستقرار.

ومن جانب آخر فقد أدت حركة التجارة العالمية النشــطة بين المحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر المتوســط وتمتع شــرق أفريقيا بوفرة الســلع المطلوبة في المنطقة، وأدى كل ذلك إلي قيام الكثير من المراكز والمدن والإمارات على ساحل شرق أفريقيا منذ القرن الأول الهجري الإسلامي.

ومن أهم تلك المراكز و الإمارات بدءاً من الشمال مقديشو وبرافا ولامو ومالندي وزنجبار وكلوا وسفالة التي تقع جنوب نهر الزامبيزي في دولة موزمبيق. كما قامت على ســاحل القرن الأفريقي ومناطقه الداخلية عدداً من المراكز والمدن التجارية والثقافية انتظمت فيما عرف في المصادر العربية ببلاد الطراز الإسلامي.

ووضــح القلقشــندي ســبب إطلاق هذا الاســم عليها وحدد موقعها وامتدادها فقال عند الحديث عن مسلمي الحبشة:

(٤٥) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ٢٢٣.

«وهي البلاد المقابلة لبر اليمن على أعالي بحر القلزم، وما يتصــل به من بحر الهند، ويعبر عنها بالطراز الإســلامي لأنها على جانب البحر كالطراز له. وقال في مســالك الأبصــار: وهي البلاد التي يقال لها بمصــر والشــام بلاد الزيلع. قال: والزيلع هي قرية من قراها، وجزيرة من جزائرها، غلب عليها اســمها. قال الشــيخ عبد المؤمن الزيلعي الفقيه: وطولها براً وبحراً خاصاً بها نحو شهرين، وعرضها يمتد أكثر من ذلك»[٤٦].

فبلاد الطراز الإسلامي تبدأ من أعالي البحر الأحمر المتاخمة لباب المندب شمالاً وتمتد جنوباً على سواحل المحيط الهندي لمسافة تقرب من الشهرين، وتمتد عرضاً نحو الداخل نحو أكثر من شهرين. فامتداد بلاد الطراز الإســلامي نحو الداخل أكثر منه على الســاحل، وربما من أجل هذا الامتداد الواســع أطلق عليه القلقشندي في مكان آخر «إقليم الطراز»[٤٧].

ووضح القلقشندي سبب تسميتها بالطراز ، فهي «على جانب البحر كالطراز له» أي تلك المدن و المراكز بما تمتعت به من الازدهار التجاري والتقدم العلمي أصــبحت كالأنوار التي تضــيء الشــاطئ ة تزينه، فهي للســاحل بمثابة الطراز للثياب. وأشــار القلقشــندي أن بلاد الطراز الإســلامي تعرف في مصــر والشــام ببلاد الزيلع، ووضح أن ذلك خطأ لأن «الزيلع إنما هي قرية من قراها».

ومعنى القرية في مؤلفات التراث يختلف عن مفهومها في وقتنا الحاضــر، فالقرية في المؤلفات التاريخية والجغرافية العربية القديمة لها دلالات واسعة بكثير من القرية في مفهومنا الحالي.

فقد ذكر ياقوت الحموي أن القرية قد تعني الإقليم الكبير «يســمون كل قرية كبيرة جامعة إقليماً»[٤٨] و قد ورد في القرآن الكريم ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [٤٩] والقريتين هنا قصــد بها مكة والطائف. فالقلقشندي يعني – في تعبيرنا الحالي – أن الزيلع مدينة من مدن بلاد الطراز الإسلامي.

بلاد الجَبَرت

ربطت المصــادر العربية جبرت بكل من الزيلع ووفات أو أوفات وعدل. قال الجبرتي: «و بلاد الجبرت هي بلاد الزيلع بأراضي الحبشة»[٥٠].

---

(٤٦) القلقشندي، صبح الأعشي، ج٢، ص ٢٣١.

(٤٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٢٤.

(٤٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٨.

(٤٩) الزخرف، الآية ٣١.

(٥٠) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ٢٢٣.

وعن زيلع قال ياقوت : «زيلع : بفتح أوله و سكون ثانيه و فتح اللام وآخره عين مهملة. هم جيل من السودان في طرف أرض الحبشة وهم مسلمون وأرضهم تعرف بالزيلع، وقال ابن الحائك ومن جزائر اليمن جزيرة زيلع فيها سوق يجلب إليه المعزى من بلاد الحبشة فتشترى جلودها ويرمى بأكثر مسائحها في البحر وزيلع بالعين المهملة قرية على ساحل البحر»(٥١).

وذكر ابن بطوطة أن بلاد الزيلع « صحراء مسيرة شهرين، أولها زيلع، وآخرها مقد شو» (٥٢)، وقد أطلق الدريسي على المدينة اسم زالغ حيث قال:

ومن مدينة جنبيتة إلي مدينة زالغ على الساحل من ارض الحبشة نحو من أربع عشرة مرحلة ومدينة زالغ على ساحل البحر الملح المتصل بالقلزم وقعر هذا البحر أقاصير كله متصلة إلي باب المندب لا تعبره المراكب الكبار وربما تجا سرت عليه المراكب الصغار فتتخطفها الرياح فتتلفها ومن زالغ إلي ساحل اليمن ثلاثة مجار مقدرة الجري»(٥٣).

وعن وفات نقل القلقشندي عن أبو الفداء:

« **قال في تقويم البلدان** : بالواو المفتوحة والفاء ثم ألف وتاء مثناة فوق في الآخر، والعامة تسميها أوفات. ويقال لها أيضاً جبرة بفتح الجيم والباء الموحدة والراء المهملة ثم هاء في الآخر، والنسبة إلي جبرة جبرتي». وعند حديثه عن ممالك الحبشة ذكر القلقشندي : « لهم سبع ممالك، كل مملكة منفردة بملك ، وبها الجوامع والمساجد ينادى فيها بالآذان ، وتقام بها الجمع والجماعات ، وهم مع ذلك تحت أمر صاحب أمحرا ملك الحبشة يختار لولاية ممالكهم من شاء لتوليته ولا يردون ويصدرون إلا عن أمره ، وهي: مملكة أوفات والزيلع ومملكة دوارو ومملكة أرابيني ومملكة هدية ومملكة شرحا ومملكة بالي ومملكة دارة»(٥٤).

فما هي العلاقة بين بلاد جبرت وبين الزيلع ووفات وعدل؟ أرى أنه بناء على النصوص أعلاه فإن بلاد جبرت كانت تطلق على مناطق الزيلع ومملكتي وفات وعدل. فالجبرتي الذي ينتمي إلي بلاد جبرت يمكن اعتباره أكثر المؤلفين معرفة ببلاد جبرت وضح أن للاد الجبرت هي بلاد الزيلع.

---

(٥١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤١٢.

(٥٢) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ١٩.

(٥٣) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص ١١.

(٥٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٣٣١ وج٣، ص ٢٦٨.

وقد رأينا أعلاه أن القلقشندي تناول مسلمي الحبشة تحت اسم « بلاد الطراز الإسلامي» وذكر أن هذه البلاد تعرف في مصر والشام ببلاد الزيلع ، فبلاد الزيلع وفقاً لهذا المفهوم تشمل كل بلاد الطراز الإسلامي، وعندما يقول الجبرتي – الذي كان عائشا في مصر – أن « بلاد الجبرت هي بلاد الزيلع بأراضي الحبشة» يعني أن إطلاق اسم بلاد الزيلع على مسلمي الحبشة كان سائداً منذ عصر العمري في القرن الثامن الهجري(١٤م) كما نقل عنه القلقشندي وحتى عصر الجبرتي في القرن الثاني عشر الهجري(١٨م).

ويؤيد ذلك ما تردد في المصادر العربية عن ألقاب الكثير من علماء الجبرت التي حملت اللقبين «الجبرتي والزيلعي». فقد ذكر السخاوي في الترجمة رقم ٢٦٧٠:

«عبد العزيز الجبرتي: واشتهر قديماً بالزيلعي. والد محمد الآتي، كان شجاعاً مهاباً، يحفظ القرآن، جهوري الصوت ، صار له في المدينة أملاك نفيسة من دور ونخيل، وكأنه اتصل بالناصر محمد بن قلاوون فأنعم عليه ومات ، قال ابن صالح وكأنه الذي ذكره ابن فرحون في مقدمة تاريخه بأنه كان تلاءً للقرآن يجلس سحراً بالمسجد مستنداً لبعض الأحجار الموضوعة علماً للقاضي و نحوه و جعل ابن فرحون فعله هذا دليلاً على جواز وضع الحجر ، و قد مضى العز»[٥٥].

وذكر الخزرجي في حوادث سنة ٧١٠هـ :

«وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عبد الرزاق بن محمد الجبرتي الزيلعي ويقال أنه شريف النسب. وكان فقيها فاضلاً من أهل المروءة والدين محباً في السعي في قضاء حوائج الأصحاب راغباً في ذلك. ودرس بالناجية في مدينة تعز وتفقه بمحمد عباس و علي بن أحمد الجنيد. وكانت وفاته في صفر من السنة المذكورة. ويروى أنه لما حمل نعشه و ساروا به نحو المقبرة جاء طائر من الهواء فدخل في أكفانه و لم يُرَ بعد ذلك اليوم و الله أعلم»[٥٦].

وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١١٨٨هـ :

«ومات في هذه السنة الإمام العلامة والتحرير الفهامة حامل لواء العلوم على كاهل فضله ومحرر دقائق المنطوق والمفهوم بتحريره ونقله ، من تكحلت بحبره عيون الفتوى وتشنفت المسامع بما عنه يروى، وارتفع من حضيض التقليد إلي ذرا الفضائل ، وسابق في حلبة العلوم فحاز قصب الفواضل ، الروض النضير

(٥٥) السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ص ٤٤٨.

(٥٦) علي بن الحسين الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج١، ص ١٥٧.

الذي ليس له في سائر العلوم نظير وهو في فقه النعمان الجامع الكبير، عمدة الأنام وفيلسوف الإسلام ، سيدي

ووالدي بدر الملة والدين أبي التدائي حسن بن برهان الدين إبراهيم ابن الشيخ نور الدين علي بن الولي الصالح شمس الدين محمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحمن الزيلعي الجبرتي العقيلي الحنفي»[٥٧].

ثم نأتي إلي أبي الفداء الذي كان معاصر اللعمري في مصر في القرن الثامن الهجري والذي أضاف – كما نقل القلقشندي – أن مملكة وفات أو أوفات التي قامت في منتصف القرن السابع الهجري (١٣م):

« يقال لها أيضاً جَبَرَة بفتح الجيم و الباء الموحدة والراء المهملة ثم هاء في الآخر ، والنسبة إلي جبرة جبرتي». وتقع مدينة وفات [٥٨] عاصمة المملكة كما ذكر القلقشندي على بعد عشرين مرحلة غربي مدينة زيلع التي كانت تابعة لمملكة وفات. وقد ضمت مملكة وفات مناطق جنوب إرتيريا وجيبوتي والصومال الشمالي الحالية، وامتدت في الداخل إلي منطقة هرر. فكل هذه المناطق وفقاً لما ذكره العمري عرفت ببلاد جبرت ، وهذا هو ما ذكره الجبرتي في الفقرة أعلاه.

ومن المعروف في تاريخ مملكة وفات أنه بعد أن انتابها الضعف في أواخر القرن الثامن الهجري (١٤م) تحولت الأ سرة الحاكمة في وفات إلي منطقة عدل على الـ ساحل – بالقرب من جيبوتي الحالية – حيث عرفت باسم مملكة عدل. وظلت عاصمة المملكة على الساحل حتى بداية القرن التاسع الهجري (١٥م) حيث تحولت العاصمة إلي منطقة هرر في الداخل وعرفت المملكة باسم مملكة هرر. ويلاحظ أن الأسرة الحاكمة لهذه الممالك عرفت باسم مؤسسها «ولصمع» ويكتب أيضاً ولسمع وولشمع، وقد تلقب ملوك هذه الأسر بلقب الجبرتي. فقد ذكر المقريزي في حوادث عام ٨١٧هـ « ثار جمال الدين ابن الملك سعد الدين بن محمد بن أحمد بن علي بن ولصمع الجبرتي » على ملك الحبشة . وذكر في حوادث عام ٨٤٠هـ « وببلاد الحبشة الحطى الكافر، ويحاربه ملك المسلمين شهاب الدين أحمد بدلاي ابن سعد أبي البركات محمد بن أحمد بن علي بن صبر الدين محمد بن ولخوي بن منصور بن عمر بن ولسمع الجبرتي»[٥٩].

---

(٥٧) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ٢٢٣.

(٥٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٣٣١.

(٥٩) المقريزي، السلوك لمعرفة دولة الملوك، ج٣، ص ٣٤١ و٣٩٠.

كما أشار أبو المحاسن بن تغري بردي إلي ملك هرر بصاحب جبرت في حوادث عام ٨٥٦هـــ عندما تحدث عن قدوم نائب جدة إلي القاهرة فقال : « ثم قدم الأمير جانبك الظاهري نائب جدة وصـحبته قصـاد الحبشـة من المسلمين من صاحب جبرت في يوم الخميس ثامن شعبان ، وعمل السلطان الموكب بالحوش السلطاني»(٦٠).

سكان بلاد الجَبَرت:

أطلقت المصـادر العربية على كل سـكان أفريقيا جنوب الصـحراء بما في ذلك سـكان السـودان وأرتيريا وأثيوبيا اسـم السـودان أي السـود، وأطلقت على بلادهم اسـم بلاد السـودان أو بلاد السـواد. قال ياقوت الحموي: «الزيلع جيل من السـودان» (٦١) و قال الخزرجي عن بلاد جبرت: «وهي ناحية من نواحي بلاد السواد»(٦٢).

وذكر الجبرتي أن الجبرت « ينتسـبون إلي سـيدنا أسـلم بن عقيل بن أبي طالب» وفي ترجمته للإمام العلامة أبي التدائي (ت ١١٨٨هــــ) قال عنه: «الجبرتي العقيلي الحنفي» (٦٣) وفي ترجمته للفقيه محمد عمر (ت ٣٣٦هـ) وسمه الخزرجي «بالجبرتي بلداً القرشي نسباً»(٦٤).

وقد أورد ياقوت بعض التفاصيل عن عاداتهم فقال :

«ولهم سنة عجيبة مع كونهم إلي الإبطاء منسوبين وفي أهله معدودين و هم طوائف يسكنون البرية في بيوت يصنعونها من حشيش قال: فإذا أحب أحدهم امرأة وأراد التزوج بها ولم يكن له كفواً لها عمد إلي بقرة من بقر أبي تلك المرأة ولا تكون البقرة إلا حبلى فيقطع من ذنبها شـيئاً من الشـعر ويطلقها في السـرح، ثم يهرب في طلب من يقطع ذكره من الناس. فإن رجع الراعي وأخبره والد الجارية أو من يكون ولياً لها من أهلها فيخرجون في طلبه فإن ظفروا به قتلوه وكفوا أمره. وأن لم يظفروا به مضـى على وجهه يلتمس من يقطع ذَكَره ويجيئهم. فإن ولدت البقرة ولم يجيء بالذكر بطل أمره، و لا يرجع أبداً إلي قومه بل يمضـي هاجاً حيث لا يعرفون له خبراً، فإنه أن رجع إليهم قتلوه. وأن قطع ذَكَر رجل وجاءهم به تملك الجارية ولا يسعهم أبداً أن

---

(٦٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٤، ص ٣٠٤.

(٦١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤١٢.

(٦٢) الخرزجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص ١٥.

(٦٣) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ٢٢٣.

(٦٤) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص ٢٦.

يمنعوه ولو كانت من كانت. قال: وأكثر من ترى من هذه البلاد من الطائفة المعروفة بالزيلع السودان إنما هم من الذين التمسوا قطع الذكر فأعجزهم فإذا حصلوا في بلاد المغرب التمسوا القرآن و الزهد كما تراهم».

ويبدو من الصعب الحكم على مثل هذه الروايات خاصة وأن المصادر العربية دأبت على تدوين الكثير من الأخبار ذات الطابع الأسطوري، و ليس من الضروري كما ذكروا – مذل الطبري في مقدمة تاريخه – أن يكون كل ما ورد من روايات صحيحة. فقد وصف أحد كتاب التراث كتابات زملائه بأن «الخبر عن جمل طار أحب إليهم من الخبر عن جمل سار»[٦٥].

وذكر القلقشندي أن الجبرت وجميع حكام بلاد الطراز الإسلامي خاضعين للحَطي ملك الحبش، قال: «وجميع ملوك هذه الممالك وأن توارثوها لا يستقل منهم بملك إلا من أقامه سلطان أمحرا، وإذا مات منهم ملكوا من أهله رجال قصدوا جميعهم سلطان أمحرا، وتقربوا إليه جهد الطاقة، فيختار منهم رجالاً يوليه، فإذا ولاه سمع البقية له وأطاعوا، فهم له كالنواب، وأمرهم راجع إليه. ثم كلهم متفقون على تعظيم صاحب أوفات، منقادون إليه»[٦٦].

وأضاف بعض المعلومات عن حروب بعض ممالك الطراز الإسلامي في بعض الأحيان للخروج من سيطرته، لكل محاولاتهم رغم نجاح بعضها المؤقت كانت تنتهي بالفشل لعدم اتحادهم وتوحيد كلمتهم ضد ملك الحبشة.

موارد بلاد الجبرت :

كما تناولت المصادر العربية بعض موارد بلاد الجبرت، فقد أورد القلقشندي[٦٧] بعض التفاصيل عن الثروات الزراعية والحيوانية وأنشطة السكان في التجارة وصيد اللؤلؤ، وبين وسائل المعلومات والمكاييل. ونورد فيما يلي بعضها مما أورده:

«عندهم من المواشي العراب، والبغال، والحمير، والبقر، والغنم بكثرة، أما المعز فقليل عندهم. ومن الوحش: البقر، والحمر، والغزلان، والمها، والإبل، والكركدن، والفهد و الأسد، والضبعة العرجاء، وتسمى عندهم من مرعفيف، وعندهم جواميس برية تصاد كما تقدم إقليم مالي. وعندهم من الطيور الدواجن

(٦٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤١٢ .

(٦٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٣٣٤.

(٦٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٣٣١ و٣٣٣.

الدجاج، ولكن لا رغبة لهم في أكله استقذاراً له: لأكله القمامات والزبالات، و دجاج الحبش يصيدونه ويأكلونه، وهو عندهم مستطاب».

«وعندهم من الحبوب الحنطة، والشعير، والذرة، والطافي: وهو حب نحو الخردل أحمر اللون على ما تقدم ذكره في الكلام على القسم الأول من بلاد الحبشة».

«وعندهم الخردل أيضاً. وعندهم من الفواكه العنب الأسود على قلة، والموز، والرمان الحامض، والتوت الأسود على قلة فيه، والجميز بكثرة. وعندهم من المحمضات: الأترج، والليمون، والقليل من النارنج. وعندهم تين بري، وخوخ بري، ولكنهم لا يأكلون الخوخ دون التين. وعندهم فواكه أخرى لا تعرف بمصر والشام والعراق، منها شجر يسمى كشباد، ثمره أحمر على صفة البسر، وهو حلو ماوي، وشجر يسمى كوشي، ثمر مستدير كالبرقوق، ولونه أصفر خلوقي كالمشمش، وهو مز ماوي، وشجر يسمى طانة، ثمره أصغر من البسر، وفي وسطه شبه النوى، وهو حلو صادق الحلاوة ونواه يأكل معه لعدم صلابته. وشجر اسمه أوجاق – بفتح الواو والجيم- ثمره أكبر من حب الفلفل وطعمه شبيه به في الحرافة مع بعض حلاوة. وعندهم شجر جان المقدم ذكره في القسم الأول من بلاد الحبشة، وهو الذي يؤكل عندهم للذكاء والفطنة، و لكنه يقل النوم والنكاح على ما تقدم ذكره هناك. وعندهم من أنواع المقاثيء البطيخ الأخضر ، والخيار، والقرع. ومن الخضروات اللوبيا، والكرنب، و الباذنجان، و الشمار، والصعتر. أما الملوخيا فإنها تطلع عندهم برية».

أما معاملاتهم فعلى ثلاثة أنواع. منها هو بالأغراض مقايضة: تباع البقر بالغنم ونحو ذلك، ومنها ما هو بالدنانير والدراهم كمصر والشام ونحوهما، وهو ووفات وأعمالها خاصة. قال في مسالك الأبصار: وليس بأوفات سكة تضرب بل معاملاتهم بدنانير مصر ودراهما الواصلة إليهم صحبة التجار. وذلك أنه لو ضرب أحد منهم سكة في بلاده لم ترج في بلد غيره. ومنها ما هو بالحكنات ، جمع حكنه – بفتح الحاء المهملة و ضم الكاف والنون- كما ضبطه في مسالك الأبصار: وهي قطع حديد في طول الإبرة، ولكنها أعرض منها بحيث تكون في عرض ثلاث ابر، يتعامل بها في سائر هذه البلاد سوى ما تقدم ذكره. قال: و ليس لهذه الحكنه عندهم سعر مضبوط بل تباع البقرة الجيدة بسبعة آلاف حكنه، والشاة الجيدة بثلاثة آلاف حكنة وتكال غلتهم بكليل اسمه الرابعية، بمقدار ويبة من الكيل المصري، وزنة أرطالهم اثنتا عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم بصنجة مصر. وأما الأسعار فكلها رخية حتى قال في مسالك الأبصار: أنه يباع بالدرهم الواحد منهم عندهم من الحنطة بمقدار حمل بغل، والشعير لا قيمة له. وعلى هذا فقس».

وأضاف ياقوت:

«وأكثر معيشة أهل البربر من الصيد وعندهم نوع من الخشب يطبخونه ويستخرجون منه ماءً يعقدونه حتى يبقى كأنه الزفت فإذا أكل الرجل منه يضره فإن جرح موضعاً بمقدار غرز الأبوة وترك أهلك صاحبه وذلك أن الدم يهرب من ذلك السم حتى يصل إلي القلب ويجتمع فيه فيفجره فإذا أراد أحد اختباره جرح برأس الإبرة ساقه فإذا سال منه الدم قرب ذلك السم منه فإنه يعود طالباً لموضعه فإن لم يبادره بقطعه من أوله وإلا قتله وهو من العجائب وهم يجعلون منه قليلاً في رأس السهم ويتوارون في بعض الأشجار فإذا مرت بهم سباع الوحوش كالفيل والكركدن والزراف والنمر يرشقونه بذلك السهم فإذا خالط دمه مات لوقته فيأخذون من الفيل أنيابه والكركدن قرونه ومن الزراف والنمر جلده و الله أعلم»(٦٨).

وعن النشاط التجاري ذكر الإدريسي أن: «والمدينة زالغ صغيرة القطر كثيرة الناس والمسافرون إليها كثير وأكثر مراكب القلزم تصل إلي هذه المدينة بأنواع من التجارات التي يتصرف بها في بلاد الحبشة و يخرج منها الرقيق والفضة وأما الذهب فهو فيها قليل وشرب أهلها من الآبار ولباسهم الأزر ومقندرات القطن»(٦٩).

تراجم بعض فقهاء و مشايخ الجبرت:

ترجمة المصادر العربية لعدد كبير من فقهاء ومشايخ الجبرت نورد فيما يلي نماذج من تلك التراجم.

قال ابن فرحون: هو الشيخ الصالح الولي الرباني، كان من أرباب القلوب والكرامات، وفي طول إقامته بالمدينة، يخرج إلي البرية بعد صلاة الصبح، فما يعرف إلي قرب الغروب ولا يعلم أحد مكانه لكونه كل يوم في مكان، وقل أن كان يرى بالمدينة نهاراً هروباً من الاختلاط بالناس، ويخبر أحياناً بالمغيبات، وكان يقول لبعض من يأنس به ويحبه: يا فلان ألا تعطيني كذا، فيخرج الرجل بقوله: فإذا أعطاه شيئاً امتنع وقال: إلي وقت آخر أن شاء الله، ويؤنس أصحابه بأنواع ذلك، وكان رحمه الله يقول: إنه من ذرية النجا شي الذي كان في الزمن السابق وانه من بيت الملك ببلاده، فخرج عن ذلك وصار إلي صحبة الصالحين ، وكان بينه وبين العفيف اليافعي شيا خات في ظاهر المدينة، ويحكى أنه اتفق له معه في كرا مات، وذكره المجد فقال: المجذوب المسلوب، المعدود من أحياء القلوب وأصحاب الأمم المغلوب والأولياء الربانيين والكبراء الحقانيين، ولا يجالس إلا في الصحاري ولا يجانس إلا في البراري، ولا يجري ما طيمانه إلا في ألطف

(٦٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤١٢.

(٦٩) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١١.

المجاري، كان يخرج من المدينة فيغيب نهاراً ويجرب لونه وحرارة، وتنسيق نهاره وعراره، يهرب عن الاختلاط بالأناس ويعزب عن آفاق ذوي النوق إلي مستقر عرش ذوي الاستئناس، لا يخبر بالنهار أحد شأنه، ولا يعرف لو جهد الجاهد مكانه، وكان يقول: قد جعل الله في الخلطة استيحائي وثبت للتوحد والفرد والعزة والتجرد قلبي وجاهي، وكان رحمه الله من بيت الملك وفي ذرية النجاشي»[٧٠].

«محمد بن عبد العزيز: الشمس الجبرتي، الماضي أبوه وابنه عبد العزيز، قال ابن فرحون: انه كان على بر وصدقة وإحسان إلي الناس، وإيثار للفقراء من رؤساء المدينة وأجاويدها ذا همة علية، ومروءة سنية ممن يرجع إليه في الرأي، صحب بعد والده أمراء مصر وأخصه به منهم: الملك نائب السلطنة، فأحسنوا إليه ووالوه لما وجدوا فيه من الديانة والخدمة وحفظ المروءة، وكان يقضي حوائج الناس بما هو في يده وربما هو عند غيره، ويسعى في تحصيله ولو برهن من حلي عياله، كراهة أن يرجع سائله خائباً، واشتهر بالذكر الجميل، وولي شهادة الحرم الشريف والنظر على جميع ما يأتيه من الحواصل، مما ينشأ فيه من العمارات وعلى الميضات التي على باب السلام إنشاء المنصور قلاوون الصالحي في سنة ست وثمانين و ستمائة، بل كان إليه المرجع في جميع الآراء الصادرة عن شيوخ الحرم، وملك الأملاك الحفيلة من النخيل والدور، قل من نال من أبناء المجاورين مثله، مات في ربيع الأول سنة خمس و ستين و سبعمائة «يعني قبل العفيف عبد الله بن محمد بن أحمد المطري بثمانية أيام» رحمهما الله، وخلف أولاداً نجباء: كعبد العزيز المشار إليه وتبعه المجد بالعبارة الرشيقة و الإشارة الوثيقة، وزاد أنه كان في بنية من قام فيما ذكر وزاداً، وكاد واقتصر ابن صالح على قوله: إنه كان يشهد في الحرم، وخلف ثلاثة ذكور وابنتين»[٧١].

«وفي هذه السنة (٦٣٦هـــ) توفي الفقيه الصالح محمد عمر بن مو سى بن عبد الله الجبرتي بلداً القر شي نسباً. وكان فقيهاً كبير القدر شهير الذكر عالماً عاملاً. أخذ عن جماعة في موا ضع شتى. وكان أخذه بعدن عن الفقيه إبراهيم العريطي ثم لما طلع الجبال أخذ عن جماعة منهم عبد الله بن عبد الرحمن الرهي وغيره وكان صاحب كرامات ومكا شفات. درس في مسجد السنة مدة طويلة. فتفقه به جماعة من الأكابر ومن الأ صاغر. ومن جملة من أخذ عنه من المشاهير عمر بن سعيد العقيبي وغيره. ولا يعرف له شيخ غيره في الفقه خاصة.

وحكى بعض تلامذته. قال كنت أتولى خدمة الفقيه محمد بن عمر فخرجنا معه يوماً إلي الغيل لا غسل له ثيابه بحضرة. فبينا أنا وهو كذلك إذ أقبل فقيه من أهل المشرق يقال له الخضر وهو يمشي حافياً ونعله في

---

(٧٠) السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ص ٤٢٧.

(٧١) نفس المصدر، ج٢، ص ١٧٨.

يده. فلما رآه الفقيه تبسم. وقال لي يا فقيه هذا فلان قد جاء يريد السلام علي. قلت فما حمله على المشي حافياً. قال كراهة أن يطأ على ما بناه فخر الدين بن رسول. وعن قريب يبني بنو رسول محلة ويقعد فيها مدرساً. ثم وصل الفقيه الخضر المذكور إلي عند الفقيه محمد بن عمر المذكور. وتسالما مسالمة مرضية. ثم تباحثا ساعة في بعض مسائل الفقه. ثم توادعا وعاد الخضر في طريقه التي جاء منها. ثم لم تظل المدة حتى بني بنو رسول المدارس وطلبوا الفقيه الخضر ورتبوه مدرساً في المدرسة الرائية. ثم أن الفقيه محمد بن عمر انتقل من جبلة إلي قرية من مستشار الجند يقال لها الحمراء. فأقام فيها مدة ثم انتقل إلي وادي عميدة فسكن في قرية يقال لها الطفر. وكان كثير الاجتماع بابن ناصر والفقيه حسين العدبني. والإقامة معهما بقرية الذنبتين. فتوفي بها في السنة المذكورة. وحضر الفقيه عمر بن سعيد دفنه في جماعة من أصحابه رحمه الله تعالى»[٧٢].

«وفي هذه السنة (٨٢٦هـ): اشتد غضب متملك الحبشة وهو أبرم – و يقال له إسحاق بن داوود بن سيف أرعد- بسبب غلق كنيسة قمامة بالقدس، وقتل عامة من في بلاده من الرجال المسلمين، واسترق نسائهم وأولادهم، وعذبهم عذاباً شديداً، وهدم ما في مملكته من المساجد، وركب إلي بلاد جبرت فقاتلهم وقتل عامة من فيهم، وسبى نسائهم وذراريهم، وهدم مساجدهم، فكانت في المسلمين ملحمة عظيمة جداً لا يحصى عدد من قتل فيها»[٧٣].

***

السلوك لمعرفة دول الملوك - (ج٣/ص٣٤٠) عام ٨١٢هـ:

في عام ٨١٢هـ «وكان ببلاد الحبشة بلاء لا يمكن وصفه، وذلك أنا أدركنا ملكها داوود بن سيف أرعد بن قسطنطين – ويقال له الحطي- ملك أمحرة ، وهو وهم نصارى يعقوبية فلما مات في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة، قام من بعده ابنه تدرس بن داوود فلم تطل مدته، ومات. فملك بعده أخوه أبرم، ويقال له اسحق بن داوود بن سيف أرعد، وفخم أمره، وذلك أن بعض مماليك الأمير بزلار نائب الشام ترقى في الخدم، وعرف بألطنبغا مغرق، حتى باشر ولاية قوص من بلاد الصعيد، ثم فر إلي الحبشة واتصل بالحطي هذا، وعلم أتباعه لعب الرمح، ورمي النشاب وغير ذلك من أدوات الحروب، ثم لحق بالطي أيضاً بعض

(٧٢) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ٢٦.

(٧٣) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ص ٢٧٧.

المماليك الجراكسة – وكان زرد كاشا – فعل له زرد خاناه ملوكية، وتوجه إليه مع ذلك رجل من كتاب مصر الأقباط النصارى – يقال له فخر الدولة– فرتب له مملكته، وجبى الأموال وجند له الجنود حتى كثر ترفه بحيث أخبرني من شاهده وقد ركب في موكب جليل وفي يده صليب من ياقوت أحمر قد قبض عليه ووضع يده على فخذه، فصار يبين ويظهر لهذا الصليب الياقوت طرفان كبيران من قبضته، فشرهت نفسه إلي أخذ ممالك الإسلام لكثرة ما وصف له هؤلاء من محاسنها، فبعث بالتوريزي التاجر ليدعو الفرنج للقيام معه، وأوقع بمن في مملكته من المسلمين، فقتل منهم وأسر وسبى عالماً عظيماً. وكان ممن أسر منصوراً ومحمداً، ولدى سعد الدين محمد بن أحمد علي بن ولصمع الجبرتي – ملك المسلمين بالحبشة– فعاجله الله بنقمته، وهلك في شهر ذي القعدة، فأقيم بعده ابنه أندراس بن اسحق، فهلك لأربعة أشهر، فأقيم بعده عمه حزبناي بن داوود بن سيف أرعد، فهلك في شهر رمضان سنة ٣٤، فأقيم بعده ابن أخيه سلمون بن اسحق بن داوود بن سيف أرعد، فكانت على أمحرة أربعة ملوك في أقل من سنة[٧٤].

(٧٤) نفس المصدر، ج٣ ص ٣٤٠.

المراجــع:

١. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة ج١

٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ج ٤.

٣. الأدريسي، نزهة المشتاق ج١.

٤. الجبرتي، عجائب الآثار ج١.

٥. الخزرجي، العقود اللؤلؤية ج١.

٦. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج١.

٧. السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ج ١.

٨. القلقشندي، صبح الأعشى ج ٢.

٩. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٣.

١٠. علي بن الحسين الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ج ١.

١١. ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٢.

■ الجبرت والدور التاريخي والحضاري في منطقة القرن الأفريقي والسودان



البروفيسور : السر سيد أحمد العراقي

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الآداب - قسم التاريخ

١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م (فبراير)

أدت الهجرات العربية الإسلامية إلى بلاد القرن الأفريقي دوراً هاماً في تشكيل تاريخ تلك المنطقة اقتصادياً وسياسياً ودينياً، وغير ذلك من العوامل الأخرى المرتبطة بالعامل التاريخي، ذلك أن المراكز والإمارات التي أنشأها العرب المسلمون، ساهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي إلى سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي الإفريقية، وعلى الأخص السودان وإريتريا وأثيوبيا والصومال ، ومن ثم إلى الداخل.

لكل ذلك وما عداه من الأسباب. فقد رأينا أنه لا بد من الإسهام لتسليط الضوء على الدور العربي الإسلامي، وما لعبه في تلك المنطقة بكتابة موضوع عن الجبرت ودورهم الهام والمؤثر والفعال في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية وإثراء مراكزها بالمعرفة والعلوم الإسلامية.

لم تكن سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي مجهولة لدى شعوب العالم الخارجي منذ أقدم العصور، فقد كشفت البحوث التاريخية والأثرية عن وجود صلات قديمة ومستمرة بين هذه السواحل وشعوب العالم الأخرى، ليس فقط الشعوب القريبة جغرافياً، ولكن أيضاً الشعوب البعيدة مثل الهنود والصينيين. وقد اهتم العرب كذلك بالدراسات الجغرافية والفلكية والطبيعية والتجارية. وأشهر الرواد العرب الذين تحدثوا عن الساحل الشرقي لإفريقيا من الناحية العملية والنظرية هم : ياقوت الحموي والمسعودي و الإدريسي وابن بطوطة والقلقشندي والمقريزي وأبو الفداء وابن حوقل وشهاب الدين بن أحمد (عرب فقيه) وغيرهم.

ويقول بعض المؤرخين : إن أولى الغزوات أو الهجرات أو الاتصال بسواحل السودان والقرن الإفريقي، أياً كان نوع هذا الاتصال إنما جاء من آسيا، وليس من أوربا، وكان عامل القرب الجغرافي من العوامل الأولى التي ساعدت على هذا الاتصال، كذلك ساعدهم في المحيط الهندي نظام الرياح المو سمية الجنوبية الغربية من خليج عمان وسواحل الجزيرة نحو الساحل الإفريقي ورحلة الربيع، حيث تدفعهم الرياح الموسمية نحو الشمال الشرقي إلى سواحل الجزيرة وساحل الهند حتى بلاد الشرق الأقصى [٧٥].

وظهر تقدم العرب في فنون الملاحة وما تقتضيه من معارف أهمها معرفة الطرق البحرية الآمنة ونظام سير الرياح ومواقيتها ومواقع البلاد والجزر واختراع الآلات التي تساعدهم مثل البوصلة والإبرة المغنطيسية فضلاً عن ر سم الخرائط[٧٦]. والعرب الذين ا شتهروا بصناعة السفن هم عرب الجنوب في الجزيرة العربية، ولا سيما عرب عمان. وقد عرف عرب عمان بمهارتهم في صناعة السفن وتفوقهم في أعمال الملاحة، وسارت سفنهم في المحيط الهندي حتى وصلت سواحل شرقي إفريقيا[٧٧].

فالثابت أن العرب هم أهم الشعوب التي اتصلت بمنطقة القرن الإفريقي والسودان، وسواحل شرقي إفريقيا والداخل بصفة عامة، وأبقاهم أثراً في تلك البقعة من القارة. و ساعد على ذلك عامل القرب الجغرافي، إلا أنهم ينفردون دون غيرهم بأنهم أقرب هذه الشعوب إلى شرقي السودان وداخله وبلاد إريتريا وأثيوبيا والصومال، فهم يواجهون هذه البلاد، الأمر الذي ساعد على كثرة التردد بين سواحل شبه الجزيرة العربية وبلاد سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي.

---

(٧٥) Copland, R, East Africa and its Invaders, P.seg., Oxford ١٩٣٨ – March ,Z.A. and Kings north , G.w ., An Introduction to History of East Africa, P.٨.London ١٩٦٦. حوراني ، جورج فاضلو ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ص ٢٤، القاهرة ١٩٥٨.

(٧٦)حوراني ، نفس المصدر ، ص٢٣

(٧٧) Reach ,R., History of East Africa P.١٨, New York ١٩٦١- Seoff , W.H, Somalia , Travels and trade, (the Perl plus of the Erythraen Sed),Hammer mogadiscio,١٩١٢., P.٣٧.

نشط العرب في الاتصال بالسواحل الإفريقية زمن دول معين و سبأ وحمير وكان لهذه الدول نشاط كبير في الحركة التجارية البحرية والبرية، وتمكنت من السيطرة على تجارة العالم القديم في المحيط الهندي والبحر الأحمر والشواطئ الأفريقية على وجه العموم. كذلك كان لعرب الحجاز دور كبير، وقد نوه القرآن الكريم برحلات قريش التجارية، وكان عرب الحجاز قد تمكنوا من السيطرة على ناصية التجارة بعد تدهور دول الجنوب منذ القرن السادس الميلادي(٧٨).

بدأت الدعوة الإسلامية مرحلتها الأولى منذ عبر العرب إلى ساحل البحر الأحمر، الذي لم يكن مجهولاً لديهم. فقد عبروا البحر الأحمر إلى الساحل الآخر من البحر قروناً عديدة قبل الإسلام، فقد كانت الهجرات العربية تعبر البحر الأحمر إلى الساحل الآخر من قبالة جدة أو عبر باب المندب، ومن ثم إلى إثيوبيا وإريتريا ومنها إلى جهة السودان الشرقي. إلا أن هذه الهجرات ازدادت بعد ظهور الإ سلام لأ سباب دينية و سيا سية، فضلاً عن العامل الاقتصادي الذي كان بارزاً في جميع الهجرات.

و قد تلقى الساحل الغربي للبحر الأحمر البواكير الأولى من أفواج الدعوة الإسلامية منذ دخل العرب المسلمون بلاد السودان الشمالي من مصر عبر النيل، ومن الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر، فتدفقت الهجرات العربية الإسلامية، ثم امتدت إلى الداخل حتى وصلت أرض التاكا، وذلك منذ القرن الأول الهجري، وكان الغرض الأ سا سي من هذا الانتشار الوا سع هو الدعوة إلى الله ابتغاء مر ضاته وحسن الثواب ... ثم التجارة والبحث عن الذهب والزمرد في هذه البلاد، بعد بحثهم المستفيض عن خيرات المنطقة وخاصة الذهب في وادي العلاقي، وكان الدعاة والتجار هم الذين حملوا لواء الدعوة.

لذلك يمكن القول أن العرب هم أهم الأمم التي اتصلت ببلاد السودان الشرقي وسواحل بلاد القرن الإفريقي وداخله منذ القدم، وأبقاهم أثراُ في تلك البقعة، وكان ذلك قبل فجر الإسلام بقرون عديدة- كما سبق القول – فبالإ ضافة إلى عامل القرب الجغرافي ونظام الرياح المو سمية، فهنالك العامل الأ سا سي الذي دفع العرب لارتياد سواحل البحر الأحمر الغربية، وبعض أجزاء المنطقة الداخلية، وهي الأهمية الاقتصادية وما فيها من سلع وثروات، هذا فضلاً عن دور العرب في نشر الدعوة والحضارة الإ سلامية في هذه المنطقة التي تعاقبت عليها هجرات عربية إسلامية كان لها الفضل الكبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية. وكان

(٧٨)حتى فيليب ، تاريخ العرب ، ص ٦٦ ـــ ٧٣ ، القاهرة ١٩٦٦ . حسن إبراهيم حسن ،تاريخ الإ سلام السيا سي جـــ ١ ص ٢٨ ، القاهرة ١٩٦٤.

للجبرت وهجراتهم المتلاحقة من الجزيرة العربية النصيب الأوفي في هذا الدور الحضاري والثقافي الهام على طول هذه المنطقة الممتدة من ســواكن وعيذاب وزيلع وهرر إلى أرض التاكا وإريتريا وأثيوبيا حتى الداخل الصومالي وسواحله(٧٩).

وكما سبق القول، فإن الدعاة والتجار هم الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية، ثم أخذ الفقهاء – من بعد – ورجال الصوفية يشرحون الدعوة للناس في شرقي السودان وإريتريا وداخل أثيوبيا الحالي بين قبائل البجة وعلى رأســهم الهدندوة والبني عامر والحلنقة .. وكانت أقوام من هوازن وربيعة وجهينة وبني الكنز وجبرت والحداربة (الحضارمة) هي التي ظهر من بطنها علماء جهابذة وفقهاء، وبفضلهم حظيت علوم الدين بنصيب وافر من العناية والخدمة، وقد عني أهلها بكتاب الله حفظاً وتجويداً وتفســيراً. فقد كان حظهم منها كبيراً، وكان نصــيب اللغة العربية جزيلاً وافراً. وازدهرت العربية وعلومها على أيديهم، وتركت أثرها القوي في المنطقة إلى يومنا هذا. و صارت سواكن وزيلع وهرر ومن بعد ذلك كسلا و سنكات، وبعد ازدهار الطريقة الختمية، صــارت هذه المناطق كعبة المعرفة، ويأتي إليها طلاب العلم من الأماكن النائية لشــهرة علماء هذه البلاد وتفقهم في الدين، وقد حملت مساجد شرقي السودان وإريتريا وإثيوبيا والصومال منذ عصر الإسلام الأول أسماء الخلفاء الراشدين، كما انتشر في تلك البلاد شيوخ الصوفية ومنها الختمية (الميرغنية) والقادرية والأحمدية والرفاعية وغيرها (٨٠).

وبازدهار الإسلام كدين ودولة، أستمر تدفق المجموعات الضخمة من دعاة الإسلام من العرب وغيرهم لإنشاء مراكز إسلامية ثابتة، ونشر الإسلام بين الأحباش والإريتريين والصوماليين والدناقل والجالا والبانتو والبجة وغيرهم. وقد حمل دعاة الإسلام إلى هذه البلاد حضارة ذات مظاهر ثلاثة:

١. طابع الحضارة العربية من حرية العقيدة. وحرية الفكر وعدم الجمود .
٢. ثقافة عربية إسلامية جامعة شاملة لمختلف العلوم والفنون.
٣. الدين الإسلامي نفسه الذي يتلائم مع كل زمان ومكان.

(٧٩) Budge, E.A. W. A History of Ehiopia , Nubia , And Abyssinia, vol .١,PP. ١٢٠, London ١٩٢٨. طرخان ، إبراهيم على ، الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطي ص ٢٩، القاهرة ١٩٥٩ .

(٨٠) Stigand ,C.N. The Land of Zing , P. Loy sag , London ١٩١٣ – Reusch , OP . Cit, P . ١٨٥ ارنولد ، توماس ، الدعوة إلي الإسلام (ترجمة) ص ٢٨٧ القاهرة ١٩٤٧

هكذا كان المهاجرون العرب – ومن بينهم الجبرت- يحملون طابعاً يتمثل في عقائدهم و مذاهبهم التي سادت في بلادهم ، نتيجة لظهور الإسلام وما تلاه من نشوء الفرق والمذاهب الواحدة تلو الأخرى، لنشر الدعوة، وتحكمت في ذلك عوامل اقتصادية أو سياسية أو دينية أو اجتماعية، إذ أنها جميعاً لم تصل في وقت واحد.

التطور التاريخي لانتشار وازدهار الدعوة الإسلامية

بدأت الدعوة للدين الإ سلامي بالحبشة كأول بلد في إفريقيا يدخله المسلمون، وذلك منذ السنين الأولى للبعثة النبوية بمكة المكرمة. ويمكن أن يؤرخ لدخول الإ سلام في الحبشة بهجرة المسلمين الأولى، وإظهار النجا شي أرماخ (أ صحمة) للإ سلام، ثم كثر توافد المسلمين بعد ذلك للأهداف التجارية بعد أن دانت لهم بلاد العرب، وأضحوا يتحكمون في طرق القوافل داخل الجزيرة العربية ولا سيما بين عدن وصنعاء، كما أ سهموا بنشاط كبير في التجارة الشرقية بين مصر والهند عن طريق البحر الأحمر. وعبرت مجموعات قليلة من تجار العرب إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر، كما اخترق عدد من هؤلاء الحدود الحبشية، وأسسوا لهم مراكز استقرار بالتدريج، بل أن العرب المسلمين استطاعوا بنشاطهم أن يتحكموا في ميناء عدوليس (Adulis) ، وهو ثغر الحبشة ، فأدي ذلك إلى حرمان الحبشة منه، وإلى قطع الصلات بالعالم الخارجي إلا عبر طريقهم، فلم يعد هناك مخرج للمنتجات الحبشية، مما أدى في نهاية الأمر إلى القضاء على تجارة الحبشة الخارجية وإلى قلة عدد التجار الأجانب من غير العرب بدولة أكسوم[٨١].

وفي ظل ظروف متعددة أخذت مملكة أكسوم طريقها إلى الانحطاط، وفي نفس الوقت كان الإ سلام يسير بخطى واسعة من الساحل إلى الداخل، فاعتنقته القبائل التي تسكن شواطئ إريتريا، ثم انتشر بين بعض القبائل الناطقة بلغة التيجري (التقرى) ، وفي جزء من قبيلة البلين، وفي معظم البجة وكذلك في كل القبائل المنتشرة في المنطقة مثل الجبرت وقبيلة الدناقل (الدناكل). وتكونت على أثر ذلك مراكز ا ستقرار على طول الساحل الشرقي لإفريقيا امتدت من سواكن على ساحل البحر الأحمر إلى مقديشو ومركة وبراوة وزنجبار وكلوة على المحيط الهندي. وفي الداخل للحبشة امتزج المسلمون بالوطنيين و صاهروهم، فأخذ الإ سلام ينتشر تدريجياً، واعتنقته عناصر الساهو والعفر في شرقي الحبشة، كما أنه امتد إلى مناطق السيدامو و شوا الشرقية في جنوبي الحبشة[٨٢].

---

(٨١) Trimingham , Islam in Ethiopia , PP. ٥, ٧, ٣٢., Kemmerer, Abyssinie et la Mer Rouge, Le Cairo ١٩٢٩, P.٥٨ المغريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م ، الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، ص ٢٢ ، القاهرة ١٨٩٥

(٨٢)الغنائي ، أحمد الحفني ، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان ص ١٥ ، القاهرة ١٣٢١ هـ/ ١٩٠٢م .

وربما كان أول استيطان رسمي لبعض المناطق الهامة في البحر تجاه الساحل الإفريقي ما حدث عام (٨٣هـ) على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦هـ) (٦٨٥ – ٧٠٥م) . كان ذلك حين تعرضت سواحل جزيرة العرب وتجارة العرب لنهب القراصنة الأحباش، فقد سطا هؤلاء على مدينة جدة واستباحوها في ذلك العام، مما أدخل الرعب والفزع في قلوب سكان مكة المكرمة، وحينئذ ا ضطر الخليفة إلى العمل على الضرب على أيديهم بوسائل فعالة، وأستقر الرأي على احتلال مجموعة جزائر دهلك تجاه ميناء مصوع. وتتكون هذه المجموعة من عدة جزر أهمها : دهل وحراث وكيارى ودركة ونورة ونقرة وكمران، والأخيرة أكير هذه المجموعة. ورغم توطيد دعائم الاستيطان العربي الإسلامي واستقراره إلا أن هذا لم يحل دون تكرار هجمات القراصنة، من ذلك هجومهم على ثغر جدة عام ١٥٣هـ (٧٧٠م)، فاضطر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى إرسال جيش لتفريق شملهم[٨٣].

الإسلام والبجة :

أما منطقة البجة ، فقد كثر المسلمون في بلادهم ، وشجعهم على ذلك غنى منطقة البجة بمعادن الذهب والزمرد والفضة والنحاس والرصاص والحديد، وامتزج المسلمون بالبجاويين وصاهروهم ، وكان من نتيجة هذا دخول كثير من أهل البجة في الإسلام. وقد تزايد عدد المسلمين المهاجرين والمقيمين في منطقة المعادن بالبجة ، وأشهر القبائل العربية التي استقرت بها قوم من ربيعة وقحطان، إلا أن قبائل ربيعة كانت أقوى العناصر، حتى سادت وغلبت على من جاورها من العرب القحطانيين.

ومن المراكز التي تأسست في منطقة شوا الشرقية ملكة يحتمل أنها قامت حوالي نهاية القرن الثالث الهجري، ونهاية القرن التاسع الميلادي (٢٨٢هـ (٨٩٦م) بزعامة أسرة عربية تنتسب إلى قبيلة مخزوم القرشية ، وهي التي ينسب إليها خالد بن الوليد، ويقال أن أسلاف هذه الأسرة هاجروا عبر البحر الأحمر على عهد الخليفة عمر بن الخطاب برئاسة ود بن هشام لتستقر هنالك في منطقة من أخصب مناطقها وهي منطقة شوا. وتشير الروايات أن هذه الهجرة قد تزامنت مع هجرة أولاد عقيل بن أبي طالب إلى الحبشة، ومن هؤلاء ينحدر قبائل الجبرت[٨٤].(سيرد تفصيل ذلك)

---

(٨٣) Hasan , Yusrf Fadl , The Arabs and the Sudan , P.٥٩ sag., Khartoum ١٩٧٣.

(٨٤) Trimingham Ibid , P.٦٢

كذلك قامت مـشيخات إ سلامية أخرى في تلك المنطقة وما يليها شرقاً في عدل ومورا وهوبات وجيدايا، غير أن هذه جميعاً لم تعمر طويلاً نظراً للخلافات والتنافس فيما بينها، فضـلاً عن أن عنايتها كانت منصـبة على شئون التجارة، ولا سيما تجارة الرقيق، فسرعان ما طوتها أقوى الإمارات الإ سلامية في الوطن الحبش وهي إمارة أوفات الإسـلامية التي أسسـتها قبائل الجبرت التي تزعمت حركة الجهاد الإسـلامي في الحبشـة والتصدي للخطر المسيحي البرتقالي الذي كان يساند الحبشة المسيحية ويهدد السواحل والمقدسات الإسلامية[٨٥].

ولعل الفترة البارزة في التوسع الإسلامي في الحبشة، تقع بين القرنين العاشر والثاني عشر الميلاديين وهي فترة ازدهار مملكة أوفات الإسـلامية وشـيوخها من قبيلة الجبرت،وهذه فترة التوسـع المنظم للإسـلام ديناً ودولة من ناحية نشر العقيدة الإسلامية وتدعيم سلطان الممالك الإسلامية، ولو على حساب بعضها البعض، داخل البلاد الحبـشية، فمثلاً تحولت منطقة نهر جوبا للإ سلام حوالي عام ١١٠٨م، وامتد سلطان المـسلمين حتى منطقة البحيرات العظمي[٨٦]. فأصـبحت هذه الرقعة الإسـلامية الممتدة في جزء من إفريقيا الشـرقية تحيط بالحبـشة من الناحية الـشرقية، وتقابل اليمن في الجزيرة العربية، ومن أجل هذا الو ضع الجغرافي نعتها المؤرخون بمنطقة « الطراز الإ سلامي» لأنها على جانب البحر كالطراز له[٨٧]. وأ شتهر في هذا الطراز إمارات سبع أو ممالك هي: أوفات: دوارو، أرابين، هدية، شرخا، بالى، و دارة[٨٨].وهذه عدا المشيخات والإمارات العربية الإسـلامية في السـاحل الصـومالي. وقد أتسـم تكوين إمارات الطراز الإسـلامي في الحبشـة بالطابع الـسلمي التجاري أو الاقتـصادي بـصفة عامة، إذ أمتلك المـسلمون نا صية التجارة الداخلية والخارجية، ولم تكن في نشأتها وتوسعها عسكرية أو سياسية- في أول أمرها على الأقل- ويرجع ذلك إلى أن الحبشة هي موطن الهجرة الإسلامية الأولى، حيث أصاب المسلمون الدار والقرار، فلم تكن دار جهاد.

ثم أن هذه الممالك ارتبطت بالعالم الإسـلامي الخارجي، وتوطدت صـلتها به عن طريق التجارة والحج وانتقال طلاب العلم للدراسة في المدينة المنورة ودمشق والقاهرة. وصار لرواد الثقافة الإسلامية أروقة

---

(٨٥) Trimingham, Ibid ,P.٦٢

(٨٦) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، جـ٥ ، ص٣٢٢_ ٣٢٣.

(٨٧) العمري ، أبن فضل الله ، (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار ، جـ١، ص ١١_١٢، القاهرة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤.

(٨٨) أبن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٦٩م) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار جـ٢، ص٧٣، القاهرة ١٣٢٢هـ

خاصـة بهذه المراكز، فهناك رواق لهؤلاء بالأزهر يعرف برواق الجبرتية[٨٩]. وتعتبر سـلطنة أوفات أقوى سـلطنة إسـلامية قامت في الحبشـة بسـبب تحكمها في الطريق التجاري الذي يربط الداخل بميناء زيلع، وقد أسسها قوم من قريش من بني عبد الدار أو من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب- كما سبقت الإشارة – وسيجى تبيان ذلك في التفصيل عن الجبرت – ودورهم الحضاري.

تكونت إذن نتيجة لانتشار الإسلام في الحبشة عدة إمارات ومراكز أهمها سلطنة أوفات الإسلامية، وهي جميعها مسـتقلة داخلياً ولكنها تحارب ملك الحبشـة في أحيان كثيرة، وقد سـيطرت على ملوك الحبشـة عدة عوامل في صراعهم ضد المسلمين أهمها العامل السياسي والاقتصادي للحد من نشاط المسلمين التجاري والاستيلاء على بلادهم لتوسيع مملكتهم.

وثانياً العامل الديني، فالحبشة مسيحية متعصبة لمسيحيتها، لكن ربما كان أساس النزاع سياسياً أكثر منه دينياً. وليس هذا بغريب إذا علمنا أن الأرا ضي التي يـ سيطر عليها المـ سلمون في الحبـ شة تفوق في مـ ساحتها أرض مملكة الحبشة المسيحية. وأن هذه الرقعة الإسلامية كانت تحوطها من الجنوب والشرق، فضلاً عن إحاطة الإ سلام بها من ناحية الـ سودان من الـ شمال والغرب. وقد أدى هذا إلى عزل مملكة الحبـ شة عزلاً تاماً عن العالم الخارجي، ولا سـيما بعد استيلاء المسـلمين على ميناء عدل قرب مصـوع، وهو ثغر دولة أكسـوم ومخرج إثيوبيا الوحيد إلى البحر الأحمر مما أدي إلى تدهور أحوال الحبشـة. غير أنه لما وليت الأسـرة السـليمانية عرش الحبشـة عام ١٢٧٠م. وأول ملوكها هو يكونو أملاك (١٢٧٠ – ١٢٨٥) اتخذت هذه الأسـرة خطة حاسـمة لتدعيم سـلطان الحبشـة وتوسـيع ملكها على حسـاب جيرانها المسـلمين، وذلك أن السـليمانيين وجدوا المسـلمين يسـيطرون سـيطرة تامة على التجارة، كما أن الموانئ في أيديهم مما جعل الحبشـة وعلاقتها الخارجية تحت رحمة المسـلمين فذبلت المدن الحبشـية التي كانت مزدهرة ومنها مدينة أكسوم العاصمة التي فقدت أهميتها وحلت بالبلاد أزمات اقتصادية نتج عنها قحط ومجاعات وأوبئة[٩٠].

وعلى ذلك بدأ الـصراع بين المـسلمين والحبـشة المـسيحية، وتزعم الجبرت في سلطنة أوفات الإسلامية أقوى السـلطنات الإسـلامية بالحبشـة حركة الجهاد، التي أنضـوى تحت لوائها بعض الولايات الإسـلامية المجاورة، واستمر هذا الصراع بين المسلمين والحبشة المسيحية حتى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر،

---

(٨٩)صبح الأعشى، جـ٥، ص٣٣٢.

(٩٠)صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٣٣٣.

حيث ظهرت في الأفق قوى جديدة تتمثل في ظهور الأتراك العثمانيين، وقيام حركة الكشـف الجغرافي البرتغالي. فتقدم العثمانيون والبرتغاليون الذين قادوا حركة الكشف الجغرافي وسيطروا على سواحل إفريقيا الشرقية في المحيط

الهندي، فأصـبح كل يناصـر الفريق الذي يلتمس العون منه. كذلك دخلت أسـلحة جديدة لم يعرفها مسـلمو الحبشة أو الأحباش في نضالهم السابق. ووجد المسلمون في الحبشة عاملاً هاماً للارتباط بالعثمانيين الذي بسطوا سيطرتهم على سواكن وجزيرة زيلع، وأنشئوا علاقات مع المسلمين في مصوع التي يحتلها البرتغاليون وهو عامل الاتفاق في الدين، فضـلاً عن ترحيب العثمانيين بهذا الارتباط الديني بجانب الأهداف التجارية، وعلى هذا النحو أضحى النضال الإسلامي الحبشي داخل إفريقيا صدى للنضال العثماني البرتغالي أو النضال الأوربي في حوض البحر الأحمر ثم البحر الأبيض بعد ذلك.

عوامل انتشار الإسلام في الحبشة:

نشطت الدعوة للإسلام في الحبشة منذ ظهوره – كما سبق القول- فانتشر بين القبائل التي كان من أهمها الإريتريون الذي أصـبحوا من السـنيين على المذهب المالكي أو الشـافعي مع بعض الحنفية، وقد حمل المسلمون في إريتريا ثقافات متنوعة منها الحجازية ومنها المصرية التي أتتهم عن طريق اختلاطهم، وكذلك عن طريق الإريتريين الذين يتعلمون في رواق الجبرتي في الأزهر، ثم يعودون إلى بلادهم. وانتشـرت الطرق الصـوفية مثل الميرغنية ومركزها مصـوع وكرن ، والقادرية وهي منتشـرة بين القبائل البدوية، والسـمانية في جبرت، وكذلك الأحمدية والصالحية، وتقل الشاذلية والرفاعية والتيجانية.

أما أهم العوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام في أثيوبيا، فالمعروف أن الحبشة كلها تواجه جزيرة العرب، ولا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر، والملاحة في البحر الأحمر طول العام فلا تهب به زوابع وأعاصير، إلا بضعة أيام في السـنة، ولا تسـتمر هذه الرياح طويلاً. فقيام علاقات بين سـاحل البحر الأحمر أو بين الجزيرة العربية والبلاد الأفريقية الواقعة على سـاحله الغربي أمر طبيعي جداً منذ أقدم الأزمنة، ويكاد يكون السـاحل الشـرقي لإفريقيا، حيث استقروا وأدخلوا معهم حضارتهم وسيادتهم، يضاف إلى ذلك ظروف الحياة القاسية في جزيرة العرب، فهي بلد صـحراوي يعتمد أهله على الرعي ونقل التجارة، بينما كانت الحياة على السـاحل الغربي أنعم وأهدأ، وذلك لخصب الأرض وكثرة المطر، واشتغال عدد كبير من السكان بالزراعة[٩١].

(٩١)زاهر رياض ، الإسلام في أثيوبيا ،ص ٩٥ وما يليها القاهرة ، ١٩٦٤.

من ذلك نســتطيع أن ندرك أن الحبشــة كانت منذ أقدم الأزمنة المهجر الطبيعي لســكان الجزيرة العربية. أضــف إلى هذه العوامل، عامل آخر وهو كثرة الحروب في الجزيرة العربية التي كثيراً ما دفعت بالمغلوبين إلى حيث الأمان والحرية.

كذلك كانت الحبشة أحد الأسواق الهامة التي يقصدها العرب لحمل التجارة منها وإليها، فازدحم البحر الأحمر بالســفن التي تنقل تجارة الحبشــة إلى المراكز التجارية العربية وكانت اليمن أهمها، ومنها تنقل التجارة عبر الجزيرة العربية إلى الشام والعراق وفارس والهند.

وبفضل هجرة المسلمين إلى الحبشة زمن الرسول ﷺ والعلاقات التجارية التي كانت قائمة ومستمرة بين الحبشة وبين جزيرة العرب حمل المهاجرون والتجار الجدد إسلامهم معهم ، ومن ثم ابتدأ الإسلام يظهر في الحبشة ويتغلغل فيها بمقدار ما يتغلغل هؤلاء التجار، ويستقر فيها بمقدار ما يستقرون.

ثم تقدمت الحضــارة وازدهرت في الدولة الإســلامية تحت حكم الأمويين والعباســيين فنشــطت الحركة التجارية ونشــطت المراكز التجارية وازدحمت بالعرب النازلين فيها والذين توغلوا في الداخل في طلب مواد التجارة، فأخذ عدد المسلمين يزداد.

وثمة عامل مهم أدى إلى انتشار الإسلام في الحبشة وظهور الأمارات الإسلامية فيها، هو هذه السلسلة من الأحداث المتوالية المتعاقبة التي حدثت في الدولة الإسلامية سواء أكانت أحداثاً سياسية أو اقتصادية دعت الناس إلى الهجرة. وأول هذه الأحداث التي تعرضــت لها الدولة الإســلامية في بدء تكوينها هي حركة الردة. وكان اليمنيون والحضــارمة أول هؤلاء المهاجرين إلى الحبشــة نتيجة لحروب الردة ولم يرتدوا عنه مما يدل على أن ثورتهم لم تكن ضد الإسلام باعتباره ديناً من الأديان، ولكنها كانت ضد السيادة القرشية.

وفي أيام الأمويين هاجرت جماعات عربية كبيرة إلى ســاحل شــرقي أفريقيا أهمها جماعة الزيدية، الأمر الذي جعل الأمويين يستولون على جزر الدهلك لمراقبة الجماعات العربية التي قصدت الحبشة وغيرها فراراً من بطش بني أمية[٩٢].

ولما تمكن العباســيون من طرد الأمويين هاجر الأخيرون إلى مناطق مختلفة فاســتقرت جماعات منهم في بلاد النوبة وواصل بعضهم السير إلى أعالي النيل، وذهب آخرون إلى مصوع، واستقر أخوان لهم في الحبشة والصومال[٩٣].

(٩٢)أرنولد ، المرجع السابق ، ص٣٥٢.

(٩٣)ابن الأثير ، أبو الحسن على ، الكامل في التاريخ، جد٥، ص١٥٣ وما يليها.

وكانت الفتن التي انتشـرت خلال حكم العباسـيين كالصـراع بين الأمين والمأمون، والنزع بين الشـيعة والعبا سيين من جهة، والعبا سيين والخوارج من جهة أخرى فر صة لهجرة بعض القبائل العربية إلى الحبشة حيث الأمن والاستقرار بالإضافة إلى الخصب ووفرة الموارد.

وكانت الأحوال السيا سية في الحبشة عاملاً هاماً من عوامل الا ستقرار وانتشار الإسلام في جزء كبير من تلك البلاد. ونمت العلاقة بين مسلمي الحبشة والعوا صم الإسلامية الكبرى في ذلك الوقت. وبدأ مسلمو الحبشة في إرسال أبنائهم إلى المدينة ودمشق والقاهرة وغيرها لإتمام تعليمهم في الأزهر أو الجامع الأموي بدمشق والقاهرة وغيرها. وخصص قسم في الجامع الأموي بدمشق لأهل زيلع التي أصبحت من أهم المراكز التي دخلها الإسلام مما أدى إلى اعتناق سيدامو والبجة والدناقل للإسلام خلال فترة قصيرة. وقد توغل الإسلام في الداخل نحو شوا الجنوبية ومملكة سيدامو عن طريق المسالك الطبيعية التي تسلكها التجارة بين ثغري تجوير وزيلع.

وقد ساعدت انتشار الإسلام في الحبشة في بعض المناطق عوامل هامة منها انسحاب الحبشة ومعها المسيحية عن بعض المناطق السـاحلية والصـحراوية الجافة الحارة، ليحتلها المسـلمون، ومن نشـأت فيها الإمارات الإسلامية. وقد انضمت الشعوب الأفريقية إلى حركة الجهاد الإسلامية في الحبشة، واعتنقت الإسلام عن رضى وعقيدة،وقد رأت أن في الإسـلام دين المسـاواة والحرية، بالإضـافة إلى أنها رأت في الإسـلام منقذاً لها من الرق والوقوع في أيدي النخاسـين وتجار الرقيق. وأصـبح هؤلاء الأفريقيون بجانب العرب دعاة للدعوة الإسـلامية وحملة لواء الثقافة الإسلامية.

الجماعات العربية والإسلام في شرقي السودان:

يتضح مما رواه المؤرخون والجغرافيون أن بلاد شرقي السودان هي الأرض الممتدة في سواحل البحر الأحمر الغربية شـمالاً وجنوباً، وحتى داخلها في أرض التاكا وعاصـمتها الحالية كسـلا. ومما رواه هؤلاء المؤرخون والجغرافيون والرحالة أن حدود البجة الشـمالية والجنوبية غير واضـحة المعالم، لأن هؤلاء يتوغلون في أراضي مصر في الشمال، والحبشة في الجنوب. وقد اتصل العرب بشرقي السودان قبل الإسلام بقرون عديدة عبر البحر الأحمر، وعن طريق مصر عبر الصحراء الشرقية(٩٤).

(٩٤)زاهر رياض، نفس المرجع، ص ١٥١.

وهناك دلائل كثيرة تؤكد دخول جماعات عربية إسلامية كبيرة إلى شرقي السودان عبر طريق البحر الأحمر. ومن أبرز هذه الدلائل اتخاذ المسلمين منطقة جزر الدهلك وباضع منفى للمغضوب عليهم، مثل نفي الخليفة عمر بن الخطاب لأبي محجن الثقفي إلى باضع، ونفي هشام بن عبد الملك لعمر بن شرحبيل إلى الدهلك. كذلك فإن القاعدة التي أقامها المسلمون في وقت مبكر في جزر الدهلك ساعدت على حماية التجار والجماعات العربية و سهلت لهم العبور إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر ، وقد اكتشفت بهذه الجزر نقوش عربية يرجع تاريخها إلى منتصف القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) [٩٥].

ثم ميناء باضع – الذي يرجح أن العرب هم الذين أسسوه مليء بالجاليات الإسلامية كما أن اكتشاف كثير من شواهد القبور في جزيرة عبري (باضع) و في الجزر القريبة منها، دليل على أن العرب وصلوا هذه المناطق عن طريق البحر الأحمر مباشرة. ويؤكد دخول العرب هذه المنطقة عبر البحر الأحمر قيام مملكة دجن على خور القاس ، حيث كانت تقدم خدماتها للموانئ العربية في ساحل البحر الأحمر، وكان يحكم هذه المملكة عربي مسلم يعينه ملك علوة.

والمرجح أن هنالك جماعات من عرب هوازن عبرت البحر الأحمر واستقرت في أرض البجا، عرفت باسم الحلنقة (أو الحلانقة) [٩٦]، ويعتبر بول Paul أن هذه الجماعات أول من أ ستقر من العرب في أرض البجا. ومن الأدلة أيضاً خروج زعيم قفط إبراهيم القفطي إلى الحج عن طريق بلاد البجا في جماعة من أهله وأنصاره سنة ٢٠٤هـ - ٨١٩م، ورغم إن زعيم قفط لم ينجح في عبور البحر الأحمر لاعتداء البجة عليه، إلا أن محاولته تدل على أن العبور من أراضي البجا إلى الساحل الشرقي كان ممكناً. ثم هروب الصوفي العلوي. وهو إبراهيم بن يحيى بن عبد الله بن محمد ابن علي بن أبي طالب بعد هزيمته هو وأنصاره على يد العمري إلى الحجاز عن طريق عيذاب في حوالي سنة ٢٦٠هـ - ٨٧٣. وكل ذلك دليل على إمكانية عبور القبائل من شرقي السودان إلى غربي بلاد العرب. ومن الأدلة أيضاً رجوع قبيلة بني يونس إلى الحجاز عبر البحر الأحمر من عيذاب بعد النزاع الذي نشب بينها وبين بني بشر. ومن أقوى الأدلة على إمكانية عبور الساحل الغربي للبحر الأحمر ازدهار ميناء عيذاب ونشاطه الواسع في القرنين الحادي عشر والثاني عشر[٩٧].

---

(٩٥)حمدي السيد ، الصومال قديما وحديثاً، ص ٣٩٤، القاهرة ١٩٥٠.

(٩٦)الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ١٦٠ _ ١٩٠.

(٩٧)Stigand , C.N.,the Land of Zing, PP. ٢٩_ ٣٠. London ١٩١٣. Stigand ,Ibid, P.٣٠.

أما الطريق الثاني الذي سـلكته الجماعات العربية إلى شـرقي السـودان فهو طريق مصـر عبر الصـحراء الشرقية، فقد سلكته الهجرات العربية منذ الفتح العربي لمصر. وقد اهتمت الدولة الإسلامية منذ البداية

بشرقي السوداني (أراضي البجا) لأهمية المنطقة بالنسبة للتجارة بين مصر والحبشة وعدن والهند. فلذلك حرصت على تأمين سواحله لضمان وصول السفن إلى الموانئ المصرية، ومعاهدة عبيد الله بن الحباب سنة ٧٢٥م، والمعاهدات الأخرى التي استهدفت هذه الغاية[٩٨].

وقد ظلت موجات من هجرات القبائل العربية التي وفدت إلى مصـر منذ الفتح الإسـلامي تتجه نحو شـرقي السـودان، وكان وراء هجرات هؤلاء، البحث عن المعادن لاسـتغلالها والاسـتفادة منها، ومن هذه القبائل ربيعة وجهينة اللتين استقرتا في أرض المعدن، ثم انتشرتا في شرقي السودان، وأما قبيلة بني يونس فقد تولت الإشراف على ميناء عيذاب. ومن أبرز القبائل العربية التي وفدت إلى شرقي السودان أيضاً بطون من قيس التي جاءت عن طريق مصر، حيث استقرت في منطقة الحوض الشرقي، ومنها هاجر إلى الصعيد الأعلى وقد أشار اليعقوبي (كتاب البلدان) إلى عدة أماكن تقطنها بطون قيس في أرض المعدن. وقد كان الدافع لهجرة هؤلاء الأعراب إلى أرض المعدن ما نما إلى علمهم من أنباء عن المعادن التي تكثر في وادي العلاقي وسهولة الحصول عليها، خاصة بعد أن وجدوا الحماية من الدولة الإسلامية.

ومن العرب الذي وفدوا إلى شـرقي السـودان بنو هلال – وهؤلاء كما يقول المقريزي بطن من بني عامر وكان أهل بلاد الصـعيد كلها إلى عيذاب (كتاب البيان). وأشـار ماكما بكل[*] إلى أن الآراء تتفق على أن بنو هلال وفدوا إلى السـودان عن طريق الشـرق من بلاد العرب إلى كسـلا، ثم عبروا النيل الأبيض واتجهوا إلى غربي السـودان، ولكن يرجح أنهم كانوا في منطقة أسـوان أولاً ومنها دخلوا منطقة المعادن، وذلك يوضـح بجلاء أنهم دخلوا السـودان عن طريق مصـر. وعن طريق مصر دخلت السودان قريش واستقرت في شرقي السودان، وكذلك وفدت منها جماعات عن طريق البحر الأحمر مباشرة، ومن أشهر بطون قريش الذين وفدوا إلى شرقي السودان بنو طلحة وبنو الزبير وبنو شيبة وبنو مخزوم وبنو أمية وبنو زهرة وبنو سهم. كما أشار المسعودي في مروج الذهب إلى أن القيسية والمضرية وخلق من قريش دخلوا بلاد شرقي السودان من الحجاز. وتعتبر قبائل هوازن من أهم القبائل العربية التي انتشـرت في مسـاحة واسـعة من البحر الأحمر إلى منطقة التاكا، وعرفت تلك الجماعة باسم الحلانقة. وكما سبقت الإشارة إلى أن بول أشار إلى أن هؤلاء الحلنقة أو الحلانقة كانوا أول من

(٩٨)مروج الذهب ، جـ١ ،ص١٠٧ _ Reusch,Op.Cit.,P.٧٤

(*) History of the Arabs.

استقر من العرب المسلمين في أرض البجا. ويضاف إلى هذه القبائل العربية مجموعات عربية وصلت شرقي السودان، نذكر منها على سبيل المثال الكواهلة وبلي، والأخيرة من القبائل القحطانية التي وفدت إلى شرقي السودان واختلطت بالبجا، ويرجح قدومها إلى شرقي السودان بعد ظهور الإسلام عن طريق مصر والصحراء الشرقية، نضيف إلى هذه الجماعات قبائل جهينة وقبيلة رفاعة وهي من جهينة، وذكر المقريزي في (البيان) أن رفاعة بطن من سليم ويشير المؤرخون إلى أن منطقة شرقي السودان عند دخول المسلمين إليها كانت مقسمة إلى عدة إمارات وممالك صغيرة مستقلة وهي : مملكة البجا ومملكة بلقين ومملكة بازين ومملكة جادين ومملكة قطعة. وأشار اليعقوبي في (البلدان) إلى مملكة نفيس التي تمتد من حدود أسوان إلى خور بركات (بركة) وعاصمتها هجر[٩٩].

وقد ذكر كثير من المؤرخين من أمثال اليعقوبي والمسعودي والدمشقي إلى قبائل بجاوية كثيرة مثل الحداربة التي اختلطت وتصاهرت مع قبيلة ربيعة العربية، وحذق هؤلاء التجارة والملاحة. ومن القبائل البجاوية أيضاً أشار المؤرخون إلى الزنافج والبلو[١٠٠].

أما أهم التكوينات القبيلية التي إنتهت إليها قبائل البجا، فلا بد أن نشير إلى أنه نشأ عن انتشار العرب في أوطان البجا آثار عديدة- كما أشير – في النواحي البشرية – كان لها الأثر الكبير في تكوين المجموعات البجاوية اليوم- فهناك قبائل بجاوية تدعي الانتساب إلى بني كاهل مثل البشاريين والأمرأر والبني عامر[١٠١].

كما يعتبر الهدندوة من أكبر القبائل البجاوية حجماً ومن أقواها. وتحتل هذه القبيلة منطقة واسعة من الأرض تمتد من شمالي خط عرض التاسع عشر وإلى جنوب الخط الخامس عشر ويفتخر الهدندوة بانتمائهم إلى الأصول العربية، وأن شريفاً عربياً يدعى محمد هداب قدم من الحجاز وتزوج أميرة عربية من أحفاد ملك البجا شكاتيل. ويبدو أن هذه المصاهرة بين أم عربية وجد عربي جعلت الأثر العربي واضحاً في قبيلة الهدندوة، وأكسبتها المكانة ورفعت من شأنها.

---

(٩٩)حمدي السيد ، نفس المرجع، ص ٣٥٠.

(١٠٠)Triminghom , S., Islam in East Africa ,P.,٤,London, ١٩٦٤.

(١٠١)أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ص ١٦٠ ، القاهرة أنظر أيضاً: = Enrico Ceruli, art . Makdishu, (Encye. of Islam) vol .١١١.P.١٦٥ , London ١٩٣٤.

وهناك الأمرأر الذين تتداول الروايات بأنهم ينتســبون إلى قبيلة الكواهلة التي يرجع نســبها إلى الزبير بن العوام مثل البشاريين(١٠٢).

أ ما البنو عامر، فهم يحتلون الجزء الجنوبي من إقليم البجا وأو طانهم موز عة بين الســودان وأريتر يا. والجزء الذي يحتلونه في السودان يمتد من جنوب سواكن بنحو عشرين كيلومتراً حتى حدود إريتريا، وتشمل هذه المنطقة خور بر كة ودلتا طوكر، ويمكن اعتبار خور بر كة المحور ا لذي يلتف حو له البنو عامر في السودان وإريتريا. والبنوعامر كغيرهم من قبائل البجة التي ترجع بنسبها إلى الأ صول العربية، فتذكر رواياتهم أنهم ينتســبون إلى عامر بن كاهل الذي نزح من الجزيرة العربية وتزوج من البجا فأنجب (أمار) جد الأمرار والبني عامر. ومن الروايات المتداولة أيضــاً ما يدل على أن البني عامر دولة أو شــبه دولة ظهرت في القرن الرابع عشر الميلادي، ولكنها لم تكن تسمى دولة البني عامر بل كانت تسمى (مملكة البلو)، وخلف النابتاب البلو في حكم المملكة واستمرت المملكة تحت إدارتهم إلى أن أخضعها الفونج لسلطانهم. وقد سمح الفونج للدقلل من النابتاب بلبس الطاقية أم قرنين وأنابهم في حكم البني عامر.

ويعتبر النابتاب المحور الرئيسي لقبائل البني عامر، التي تنق سم إلى عدة قبائل تختلف في أ صولها وليس بينها أي ترابط رحمي وثيق مثل قبائل البجا الأخرى وتنقســم القبيلة من حيث اللغة إلى مجموعتين : مجموعة تتحدث لغة التقري الســامية، ومنها قبائل بيت معلا والخماســين في إريتريا، وقبائل العجيلات والأفلندا وابهدود والبجا أبداو، وهي قبائل أغلبها في السودان. ونجد أن العديد من قبائل البني عامر في السودان تتكلم اللغة العربية بجانب هاتين اللغتين. والحرفة الرئيسية للقبيلة الرعي والزراعة.

الحباب من القبائل البجاوية، وكانت هذه القبيلة تضــم إتحاداً قبلياً كبيراً مثل البني عامر وقد توزع أفراد القبيلة بين إريتريا والسودان، والجزء الأكبر يعيش في إريتريا اليوم، أما الجزء الذي يعيش في السودان، فيعيشون في منطقة طوكر وبورتسودان وكسلا، ويطلق على رئيس القبيلة ا سم (كنتباي) ويرجع أ صل الحباب كما يعتقدون إلى قبيلة بني مخزوم العربية. وتذكر الروايات المتبادلة بينهم أن فرعاً من بني مخزوم قدم من اليمن عن طريق باب المندب ونزل الحبشة عند منطقة كرن (في إريتريا اليوم)، وتبع بعضهم ساحل البحر الأحمر حتى وصل منطقة البلو بالقرب من طوكر. ويتوزع الجبرت بأعداد كبيرة في السودان وإريتريا، واشتهرت جماعات السودان باسم بني عامر جبرت، وهم موزعون في معظم بلاد شرقي السودان(١٠٣).

---

(١٠٢)أبن الأثير ، نفس المصدر، جـ٦ ـ ٧١ سيد أمين على ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٦ أرنولد ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٨٧ ـ عبد الرحمن زكي الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ، ص ٧٧ جـ١ ، القاهرة ١٩٦٥.

(١٠٣) Walker,J.,Encyc . of Islam, art .K ilwa, Vol .١١١., P.١١٦, London ١٩٣٤- Freeman And Grenville, the East African Coast, P.٣٦, London١٩٦٢.

أما الحلنقة فهم من القبائل البجاوية القديمة، بل يعتبرون من أقدم القبائل التي سـكنت أرض التاكا. وترجع قبائل الحلنقة أصـلهم إلى قبيلة هوازن العربية. ويقال أن هوازن هاجرت من الجزيرة العربية نتيجة لا ضطهاد الحجاج بن يو سف لهم، فعبرت البحر الأحمر إلى منطقة الدهلك، حيث ا ستقرت هناك قرنين من الزمان، ولكن لمضـايقة الأحباش لهم فرت مجموعة منهم إلى منطقة التاكا (كسـلا)، حيث عرفوا باسـم الحلنقة الحلانقة.

وقد ذكرت قبيلة الحلنقة منذ زمن السـلطان المملوكي في مصـر الناصـر محمد بن قلاوون (١٢٩٩-١٣٤٠م) الذي أرسـل حملة لمطاردة الأعراب، وقد وصـلت هذه الحملة حتى أرض التاكا، ودارت موقعة بينها وبين الحلنقة أسـفرت عن هزيمة الحلنقة. ويتحدث الحلنقة لغة بجاوية مليئة بالكلمات الأمهرية والتقرية، كم يتحدث أغلبهم اللغة العربية ويحترفون الزراعة ورعي الماشية[١٠٤].

ومن القبائل البجاوية قبيلة الأرتيقا، وتنتمي إلى محمد جمال الدين أحد أبناء باصـغار الذي يقال أنه هاجر من حـضرموت إلى سواكن فإعترفوا للأرتيقا بالإمارة وتولوا الـشؤون الإدارية في المدينة، ولم يكن للمندوب العثماني سـوى تحصـيل العوائد على الواردات. واسـتمر الأرتيقا حكاماً للسـودان ردحاً من الزمن في زمن العثمانيين، وهم يحترفون التجارة والزراعة وهم أكثر قبائل البجا انتشـاراً في أنحاء السـودان. وأهم الأماكن التي يقطنونها سـواكن وطوكر وبورتسـودان وسـنكات وكسـلا، ويتكلم الأرتيقا اللغتين البجاوية إلى جانب العربية. ويعتبر الأشراف في شرقي السودان من القبائل البجاوية، وهم ينتسبون للشريف محمد بن الحسين الذي وفد من مكة إلى سـواكن في القرن العاشـر الهجري، واسـتوطن بجانب الأرتيقا وتزوج من إحدى حفيدات محمد جمال الدين باصغار وأنجبت زوجته عدداً من الأولاد، كانوا نواة القبيلة التي انتشرت في قرى ومدن شرقي الـسودان مثل سواكن و سنكات وكـسلا وطوكر وبورتـسودان. وتحترف هذه القبيلة التجارة والزراعة والرعي، ويتحدثون اللغة البجاوية إلى جانب العربية. والجدير بالذكر أن مجموعة الأشـراف محافظة على نسـبها، ولها نقيب في سـواكن مهمته تسـجيل المواليد الجدد للقبيلة ولذلك لديهم أقدم وثيقة نسب في شرقي السودان[١٠٥].

---

(١٠٤) Reuch, OP. Cit., P. ١٠٢

(١٠٥) Guffy,J., Op.cit, P.٣٣ – Reusch,Ibid,P.٧٥

تعتبر مدينة كسلا جزءاً من منطقة البجا الذين تمتد أوطانهم في بادية الصحراء الشرقية ما بين النيل والبحر الأحمر، وهي المنطقة التي تكونت فيها ممالك البجا الخمس، والحلنقة أول قبائل البجا وصـولاً لمنطقة التاكا، التي أعطى بول paulتاريخاً لاستقرارها بمنطقة القاش في حوالي ٦٩٠م. ويعتقد هذا المؤرخ أن

الحلنقة أول قبيلة مسلمة دخلت السودان بعد الإ سلام، وتنسب القبيلة نفسها إلى ذرية أحمد الحلاق من بني سعد، وهي بطن من بطون قبيلة هوازن، وهؤلاء نزحوا من الجزيرة العربية في زمن خلافة عبد الملك بن مروان، ووصلوا إلى أرض الحبشة حيث استقروا بمرتفعات التقراي، وكانوا أهل خيل يحملون السياط، فلذ أطلق عليهم الأحباش لقب (هلنكة)، إلا أن وجود أقلية مسـلمة وسـط أغلبية مسـيحية لم يكن أمراً مقبولاً، فأمام تغول القبائل عليهم فروا بمحاذاة وادي مأرب (القاش) ، إلى أن وصـلوا إلى سـفح جبل التاكا، حيث أسـتقروا بمنطقة (فاكندا) جنوب شـرقي مدينة كسـلا، ومن ثم إمتدت قراهم حتى قرية مكلي بدلتا القاش، ومن ثم تعاظم نفوذ الحلنقة، خاصة في فترة دولة الفونج (١٥٠٤ – ١٨٢١م) حيث كانت لهم إمارة عرفت باسم مملكة الحلنقة. وفي أيام تفكك دولة الفونج كان للحلنقة من القوة التي مكنتهم من هزيمة حملة أرسـلها سـلطان الفونج عدلان الثاني، الأمر الذي أقنع الفونج بمصـاهرتهم، حيث تزوج زعيمهم عوض مسـمار إحدى أميرات الفونج، وظل حليفهم إلى أن وقعت المنطقة تحت النفوذ التركي المصري.

غير أن الحلنقة لم يكونوا الوحيدين الذين اسـتقروا في كسـلا أو أرض التاكا بوجه عام، إذ نزحت قبائل الهدندوة الرعوية في حركتها جنوباً وكانوا أكبر عدداً وأكثر قوة، ونسـبة لطبيعتهم الحربية المقاتلة أجبروا الحلنقة على التراجع إلى منطقتهم الأولى (فاكندا)، حيث بسط الهدندوة سيطرتهم على منطقة دلتا القاس وجزء من أطراف نهر عطبرة في العام ١٨٠٠ م (القرن التا سع عشر)، حيث أ صبحوا القوة الرئيسية بالمنطقة، ومن ثم أصـبح مقر زعامة قبيلة الهدندوة في (فلك) بشـرقي نهر القاش قبالة قرية وقر الحالية. كما أصـبح لقبيلة البني عامر وجود في كسلا وحول أطرافها وشرق خور القاش.

أما الجبرت فهي قبائل عربية هامة تنتمي إلى أ شراف الجزيرة العربية من آل البيت، ويعود نسبهم إلى عقيل بن أبي طالب، غطت هذه القبائل أجزاء واسـعة من بلاد القرن الأفريقي خاصـة أثيوبيا وإريتريا وشـرق السودان، وهم أ صحاب الدور الكبير في تأ سيس أ شهر الممالك الإ سلامية وهي أوفات أكبر إمارات دول الطراز الإسلامي، فكان مؤسسوها من زعماء الجبرت، كما كان لها دور هام في المنطقة، منها جهادهم ضد

الحركة الصــليبية في المنطقة بأســرها، يضــاف إلى ذلك امتدادهم الثقافي والعلمي على طول البلاد، وهم محور الدراســة ومحور الندوة ، واختلاطهم ومصــاهرتهم مع الجماعات والقبائل المنتشــرة في بلاد القرن الأفريقي حتى منطقة شرقي السودان بأسرها، وهي جديرة بأن نفرد لها حيزاً مقدراً(١٠٦) .

الجبرت عبر التاريخ:

الجبرت أو (الجبرته) ، ترجع أصــولهم إلي العنصــر العربي ، كما أجمعت على ذلك المصــادر والروايات، وهم موزعون ويوجدون ضــمن شــعوب ســبعة أقطار من العالم وهي إريتريا وإثيوبيا والســودان واليمن والـصومال و سلطنة عمان والمملكة العربية الـسعودية وبالرغم من أن كلمة (جبرتي) تحمل في ثناياها معاني متباينة ، فإن ما ذكره المؤرخ الغنائي (أحمد الحفني) في كتاب: (الجواهر الحســان في تاريخ الحبشــان)(١٠٧)، يشير إلي أن كلمة حبرت مشتقة من الكلمة العربية التي تعني فيها (أصلح وارضي وساعد وألزم) ، ومن ناحية الإيمان التقليدي الإثيوبي يقال أنها اشتقت من كلمة (غبرت) وتعني المتفاني في خدمة خالقة.

ولما كان الجبرته ممن ينا صرون الر سول ﷺ ، ويلتزمون بدينه، فإن كلمة الجبرتي تعني أيـضاً نافع يعول عليه ، وهذا يعني أصالة الكلمة ويجعلها مطابقة للمعني الأخر(١٠٨).

والثابت أن نجاشي الحبشة أرماح (أرماك الثاني) (أصحمة) قد أستقبل المهاجرين الأوائل من المسلمين استقبالا حسنا ، وتبادل الرسائل مع النبي ﷺ ، بل أرسل بعثة ملكية إلي الرسول ﷺ محملة بالهدايا ، ويشهد التاريخ بأنه عندما مثل إفراد البعثة أمام ر سول الإ سلام نبينا محمد ﷺ أ ستقبلهم بالبشا شة والترحاب البالغ ثم قال: (هؤلاء هم الجبرتي) أي هؤلاء هم النافعون الذين يعول عليهم(١٠٩).

وبما أن أســم الجبرته عام ، إلا أن يمكن تعريف الجبرته حســب مناطق أقامتهم حيث يقولون: جبرتي سرايا، وجبرته حماسين، وجبرت أكلي غوزاي ....الخ.

و بالرغم من الاختلاف في مناطق إقامتهم ، إلا أن الجبرت متحدون في العادات والتقاليد وأســلوب التحدث والظروف الاجتماعية(١١٠).

---

(١٠٦)حمدي السيد ، المرجع السابق ،ص ٣٤٦.

(*) أحمد حفني القضائي الأزهري ، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان (ق) ، القاهرة (بدون).

(١٠٨)حمدي السيد / المرجع نفسه ، ص ٣٢٦.

(١٠٩)حمدي السيد / المرجع نفسه.

(١١٠)انظر: عرب فقيه ، فتوح الحبشة ، ص ٧٥ وما بعدها .

وتؤكد مصادر التاريخ الإسلامي مثل سيرة أبن هشام ، وكتب الطبري وأبن الأثير والبلاذرى وأبن كثير ، على أن إعداداً كبيرة من أهل الحبشــة قد دخلوا في الإســلام في القرن الســابع الميلادي، عندما هاجر بعض المســلمين الأوائل من الجزيرة العربية إلي الجزء الشــمالي من البلاد الحبشــية ، وكان بينهم النجاشــي أرماح (أصحمه) نفسه ، وتروي كتب التاريخ بأن جعفراً بن أبي طالب قائد مجموعة المهاجرين المسلمين الأول قد أكد للر سول صلي الله عليه و سلم عندما عاد إلي المدينة المنورة بأن النجا شي أرماح الثاني قد أ سلم على يديه ونطق بالشهادتين ولما علم النبي صلي الله علية وسلم بوفاة النجاشي صلى عليه صلاة الغائب.

ولما كانت هذه الصلاة الخاصة لا تقام إلا لوفاة مسلم ، فإن هذا يؤكد بلا جدال حقيقة إسلام النجا شي أرماح وإيمانه، ومن ناحية آخري فقد أطلق نبينا محمد ﷺ على نجاشــي الحبشــة اســم أحمد الحبشــة ، ومنذ ذلك الوقت أصبح يوصف بين الشعوب الإسلامية في كافة أرجاء العالم بأحمد النجاشي[١١١].

لذلك يمكن القول بأن أول نور للإســلام بزغ على إفريقيا، كان في شــرقها، وأســتطاب المقام بمجموع المهاجرين الأوائل حتى عودتهم إلي مكة المكرمة أو المدينة المنورة بعد هجرة الرسول صلي الله علية وسلم، وأ صبحت الحبشة منذ ذلك الوقت مقصد المسلمين للا ستجمام والتجارة لجوها الطيب وأهلها العادلون الطيبون ويذكر التاريخ أن دولة إســلامية في شــرقي إفريقيا نشــأت في منطقة شــوا بالحبشــة، ولم يتوفر عنها من المعلومات ألا القليل وأكتشــفها العالم الإيطالي (شــيرولي، ١٩٣٦) عن طريق مخطوطة لمؤرخ مجهول عاصــر دولة شوا الإسلامية في الفترة من ٦٢٩ ـ ٦٨٨ هـ (١٢٣١ ـ ١٢٨٩ م) ، حيث ذكر أنها كانت موجودة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضــي الله عنه) ، وســقطت في تلك الفترة المذكورة بعد شــيخوختها والاضــطرابات الداخلية التي عجلت بنهايتها ، بالإضــافة إلي ضــربات مملكة إيفات (أوفات) جبرت ، والتي تمكنت من ضــم معظم أراضيها[١١٢].

---

(١١١)بدرية يونس عبد الرحمن ، مملكة إيفات كبري ممالك الطراز الإسلامي.

(١١٢)عبد الرحمن حسب الله ، العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان منذ ظهور الإسلام وحتى ظهور الفونج ٩١١هـ ـ ١٥٠٥م.

انتشـرت بعد ذلك دويلات عدة على السـاحل الغربي للبحر الأحمر ، وكان أشـهرها في مناطق الحبشـة (ممالك الطراز الإسلامي) ، والممالك العربية الإسلامية في ساحل شرقي أفريقيا في العصور الوسطي وكانت سلطنة أوفات اقوي وأكبر دول الطراز الإ سلامي في الحبشة ، وينسب إليها بالجبرتي ، وتعرف أيضا بمملكة إيفات جبرت، وقد قصـدها معظم المهاجرين من المسـلمين العرب، لسـعة بلدتها ووفرة خيراتها، إذ كانت تمثل مركزاً للتجارة ومنارة للعلم ، يفد إليها طلاب العلم وأصحاب التجارة، ويستقرون بها(١١٣).

أما أصـل الجبرت، فتثبت معظم المصـادر ، بأن أصـلهم يعود إلي المهاجرين العرب والمسـلمين الذين لجئوا إلي الحبشة ، أثناء فترات الصراع بين الدول الإ سلامية في الجزيرة العربية ، وينتسب بعضهم إلي قبائل خزيمة وينسبهم البعض الآخر إلي عقيل بن أبي طالب، ومنهم من يقول أنهم من سلالة عثمان بن عفان رضي الله عنهم.

وكل ذلك يؤكد أن نسـبهم يرجع إلي القبائل القرشـية، وأنهم عرب وليسـوا بأحباش والجبرت يتحدثون اللغة العربية بطلاقة، بجانب اللغات الحبشية في المنطقة ويكتبون بالحروف العربية والحبشية.

كان أشـهر ملوك إيفات جبرت هو عمر الملقب بولشـمع (عمر ولشـمع) الذي حكم لفترة طويلة ، أشـتهر خلالها بالصلاح والعدل، وحسنت سيرته لدي المسلمين عامة وخلف هذا الحاكم العادل بعد موته خمسة أبناء توارثوا ملك إيفات جبرت، وتمكنت إيفات في عهد الملك حق الدين، وهو من أحفاد الملك عمر، من الخروج على ملك الحبشة ومحاربته ، فتارة تكون لهم الغلبة وتارة عليهم(١١٤).

وصـلت مملكة إيفات جبرت قمة مجدها وازدهارها في زمن الإمام أحمد بن إبراهيم بن جرا (الجران أو قران) ، ومعناها الأعسـر أو الأشـول لأنه يسـتخدم اليسـري، الذي تولي أمر إيفات بعد فترات من الحرب والصراع مع ملك الحبشة، وقد أجتهد الأمام أحمد في جهاده ضد الحبشة وأحرز انتصارات باهرة في حروبه مع الحبشة المسيحية وتمكن في عهدة من ضم معظم الدويلات الصغيرة، وكانت مملكته تضم جموعا كبيرة من التقراى أو الأمحرة ومعظم القبائل الحبشية والصومالية الذين كان منهم، الأمر الذي جعل ملك الحبشة

(١١٣)أحمد جمعالة محمد، مملكة أوفات الإسـلامية في منطقة القرن الإفريقي وآثارها الحضـارية والثقافية (١٥٠٠-١٢٠٠م) رسـالة ماجستير ـ جامعة أم درمان الإسلامية ـ إشراف الدكتور/ السر سيد أحمد العراقي، كلية الآداب ـ قسم التاريخ ـ رمضان ١٠٤٥هـ/ مايو ١٩٨٥.

(١١٤)تهاني أحمد على كمبال، دول الطراز الإسلامي ،(رسالة دكتوراه).

يستنجد بالبرتغاليين الذين استولوا على ساحل شرقي أفريقيا ، وتمكنوا من القضاء على الإمارات الإسلامية فيه ، وذلك في أعقاب الكشف الجغرافي بقيادة فاسكوداجاما الذي أكتشف طريق رأس الرجاء الصالح، ثم هدد البرتغاليون سواحل البحر الأحمر الإ سلامية أيضاً بما فيها المقد سات الإ سلامية ، فتقدم الأتراك العثمانيون الذين أحسوا بأن عليهم واجباً دينياً مقدساً هو حماية المسلمين وأراضي الإسلام وسواحله من عبث البرتغاليين النصارى، وعلى ذلك تمكنت إيفات جبرت بمساعدة الدولة العثمانية من إحراز انتصارات متتالية علي الحبشة المسيحية، وتقضي على مملكة الامحرا الحبشية في عهد الإمام أحمد بن جرا.

استمرت سيطرة إيفات جبرت وسيادتها على منطقة شرقي إفريقيا ردحاً من الزمن ، وفرضت أسمها وسلطانها على جميع الممالك ، وعم أسم الجبرت على جميع مسلمي المنطقة ، بعد أن كان يخص أهل إيفات، وأرسلت إيفات من أسري الأحباش عبيداً ملئوا بلاد اليمن والحجاز ومصر والشام والعراق فكانت هذه القوة والهيمنة التي تمتعت بها مملكة إيفات جبرت ، سبباً في أن يستصرخ ملك الحبشة دول أوروبا وعلى رأ سها البرتغال كما سبق القول ، وقال ملك الحبشة للأوروبيين المسيحيين أنه في جزيرة من النصارى في محيط من المسلمين وقد كانت لملك الحبشة علاقات قوية مع الأوروبيين عبر الكنيسة القبطية في مصر ، والتي كانت تصلها أخبار المنطقة ، أولاً بأول وذلك للارتباط الديني الوثيق، فجاءت النجدة الأوروبية بالسلاح الناري، واتصلت جيوش النجدة بجيوش الحبشة التي كانت تستعد لذلك، وخاض المسلمون حروباً ضارية ضد السلاح الناري الذي تمكن من هزيمتهم، وأستشهد الإمام أحمد الذي كان يقود الجيوش بنفسه في المعركة الفاصلة لسقوط دولة إيفات جبرت[١١٥].

النشاط الاقتصادي للجبرت:

كانت التجارة ولا تزال هي الحرفة الرئيسية للجبرت ، إضافة إلي الزراعة وبعض الحرف الأخرى مثل النسيج والمعاملات الجمركية ، إذ كانت مملكة إيفات تتحكم في الطريق التجاري الذي يربط الداخل بزيلع على البحر الأحمر ، لذلك كانت أكثر الممالك ازدهارا، وكانت ممالك الطراز الإسلامي تتعامل بالمقايضة والبدل ، إلا مملكة إيفات فقد جرت فيها العملة المصرية بأنواعها[١١٦].

---

(١١٥)إشراف البروفيسور/ السر سيد أحمد العراقي ، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية (قسم التاريخ) ـ ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

(١١٦)مصطفي محمد مسعد، الإسلام والتوبة في العصور الوسطي.

الحياة الفكرية والثقافية:

أشتهر الجبرت بتمسكهم بدينهم وكانوا ولا يزالون فقهاء صالحين، وكان المذهب الغالب هو الشافعي، وتتداخل عاداتهم في جميع نواحي الحياة مع المنطقة التي يعيشـون فيها وهم معروفون إلي اليوم بالتقوى والورع والأمانة في المعاملة والهدوء في الطبع والإخلاص في العمل، وأنتشـر الجبرت بعاداتهم وثقافتهم في عدة دول أفريقية وعربية من أشـهرها الحبشـة (أثيوبيا الحالية) واريتريا والصـومال والسـودان واليمن والسعودية ومصر والعراق والشام(١١٧).

السودان:

وإلي السـودان وصـل المهاجرون الجبرت الهاربون بدينهم من سـلطان الحبشـة، متتبعين النيل الأزرق ونهر عطبرة وسيتيت في جنوب شرق وشرقي السودان وشماله، واختلطوا بالقبائل العربية السودانية وانتسبوا إليها، وتبدلت أسـماؤهم بألقاب أطلقها عليهم أهل المناطق التي نزلوا فيها، مثل (الخواويض) الذين ينتسبون إلى الجعليين، وتحالفت مجموعات منهم مع قبائل البني عامر الممتدة بين السودان وإريتريا.

شارك الجبرت مع الدولة المهدية ضد الحبشة وقتلوا يوهانس منليك (المنليك) ، الذي هربوا من بطشه وأ سسوا قرية تبارك الله ودخلوا مع جيوش المهدية إلي أم درمان ، وا ستقروا بها ، ومار سوا مهنتهم التجارة. ومن المناطق التي ينتشـر ويتواجد بها الجبرت في السـودان: تبارك الله ، والقلابات ، والقضـارف ، كسـلا ، ولهم قرية تسمي بأ سمهم في منطقة ريفي كسلا (جبرت) ، جوار قرية حفرت كما امتدوا إلي مناطق الهدندوة في هيا ، ويسمون فيها بالأ شراف، ثم مدينة سواكن والتي فيها قبة حتي الآن لأحد مشايخهم. أما في شمالي السـودان، فقد اسـتقرت منهم جماعات كبيرة في بلاد الجعليين في مناطق ود الحبشـي وديم القراى (تعني المقري وهو جبرتي) ومنطقة وقبائل الخواويض، الذين عرفوا بهذا الا سم لخو ضهم نهر عطبرة حتى و صلوا لهذه المنطقة كما يوجد قبر و ضريح لأحد م شايخ الجبرت في شمالي منطقة (كنور) التي تقع شمالي مدينة بربر(١١٨)

---

(١١٧)عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان.

(١١٨)السر سيد أحمد العراقي ، كسلا ـ التاريخ والحضارة.

أ ستطيع القول بأن الجبرت كغيرهم من القبائل العربية التي هاجرت إلي الحب شة وال صومال وال سودان، حملوا معهم دينهم ولغتهم ، وكانوا يختلطون بالسكان، وينقلون إلي لغات هذه البلاد الكثير من كلماتهم خصو صا ما كان منها متعلقا بأمور الدين، وقد ظلت اللغة العربية في هذه البلاد هي لغة التسجيل والتدوين والمراسلات في العهد والاتفاقيات وغير ذلك سواء في الساحل أو مع الدول الخارجية. ومنذ التاريخ والقلم العربي هو القلم المعروف في هذه البلاد دون غيره ، وأصبح الدين الإسلامي أساس التشريع والقضاء ومصدر القيم الروحية وحظيت علوم الدين بنصيب وافر من العناية والخدمة، وكان للجبرت دور كبير في هذا الجانب في الحبشة والصومال ، أو في البلاد التي أستقر فيها علماؤهم ، وقد عني الجبرت بكتاب الله حفظاً وتجويدا وتفسيرا ، فقد كان حظهم من هذه العلوم كبيراً ، كما كان نصيب اللغة العربية جزيلا وافراً ، وازدهرت العربية وعلومها على أيديهم ، وتركت أثرها القوي في سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي في هرر وزيلع وجبرت عاصمة إيفات وبراوة، ويأتي طلاب العلم من الأماكن النائية لشهرة علماء الجبرت في هذه المراكز الإسلامية وتفوقهم في الدين، وأنتشر في هذه البلاد شيوخ الصوفية التي سبقت الإشارة إليها مثل الميرغنية والقادرين والإدريسية الزيلعية والأحمدية والرفاعية ، ومن ثم اعتبرت مراكز الجبرت من صوماليين وأريتريين كعبة المعرفة والهداية ، وأصبح في هرر وزيلع أكثر من خمسة وعشرين مسجدا في ذلك الزمان عدا الزوايا فعددها كثير(١١٩).

ونفح الجبرت في سكان تلك البلاد حب الأدب وفنون الشعر ، وخرج هؤلاء شعراء وخطباء مفوهون ، وأصبح لهم أدباً يعتزون به وبرز كثير من العلماء والأدباء باللسان العربي كالفقيه البليغ فخر الدين أبي عثمان بن علي بن محمد البارعي الزيلعي الذي قدم القاهرة ومات بها ، وله كتاب سماه (شرح كنز الوثائق) ومن المؤرخين الجبرت الصوماليين باللسان العربي شهاب الدين بن أحمد الملقب بعرب فقيه ، وله كتاب (تحفة الزمان) أو (فتوح الحبشة) وفيه تفصيل كامل لجهاد الأمام أحمد بن إبراهيم الأعسر. ومن الأدباء البارعين الجبرت عبد الله منير الزيلعي ، أما عن أشهر دعاة الإسلام الجبرت في الحبشة والصومال خلال فترة العصور الوسطي حتى نهاية القرن التاسع عشر ، فنذكر الشيخ أبادير الذي جاء من الجزيرة العربية في خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، واستقر في مملكة عدل (زيلع)، ثم دخل هرر التي أصبحت بفضل

---

(١١٩)السر سيد أحمد العراقي ، الإ سلام ومراكز الثقافة الإ سلامية في إثيوبيا وال صومال ، مجلة ندوة العلماء الأفارقة وم ساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية ـ الخرطوم ٢٨/ ٣٠ يوليو ١٩٨٣ ـ بغداد ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

جهوده قاعدة إسلامية لنشر الدعوة في الحبشة والصومال، ويذكر أبو الفداء وأبن حوقل أن أهالي هذه البلاد كانوا مسلمين ، وان بعضهم كانوا مسيحيين ولكنهم تحولوا إلي الإ سلام بفضل جهود الشيخ آبادير الذي بشر بالإسلام ودعا إليه بين أهل زيلع في القرن العاشر.

ومن أ شهر دعاة الإ سلام الجبرت الشيخ الوقور إبراهيم أبو زرباي في مدينة هرر الذي قام بنشر الدعوة ، وإنشاء المساجد ، ومازال قبره معظماً في المدينة إلي يومنا هذا.

كذلك أثبت الأمام أحمد بن إبراهيم الجران ـــ الذي سبقت الإشارة إليه، إلى أنه كان من أبرز الدعاة وأ شهرهم، فأحدث تحولاً كبيراً في نشر الدعوة الإ سلامية ، وأتسم جهاده بالبطولة والفدائية ، فقد قام هذا المجاهد الكبير بتحرير الأراضي الإ سلامية في الحبشة والصومال من نفوذ النصارى، وجعل من مدينة هرر قاعدة ليبدأ منها الجهاد في سبيل الله وبذل الإمام أحمد بن جرا جهوداً جبارة من أجل توحيد الجبهة الإ سلامية والقيام بغزوات على التجمعات المسيحية والمقاطعات الحبشية التي تقوم بغزو أراضي المسلمين بزعامة بطارقتها، بل أستطاع الجبرت بقيادة هذا المجاهد الكبير أن يصلوا إلي أبواب العاصمة الحبشية ، بل وتمكنوا بقيادته أن يضموا بلادا جديدة داخل الحبشة المسيحية دخلت في الإسلام وتحمست له. لذلك يعتبر الإمام أحمد بن إبراهيم الجران علماً من أعلام المسلمين في بلاد أفريقيا الشرقية ، ومجاهداً كبيراً في نشر الدعوة والثقافة الإسلامية[١٢٠].

ومن المجاهدين والدعاة المسلمين في منطقة القرن الأفريقي نذكر أيضا المجاهد والداعية محمد بن عبد الله بن حسن وهو من المجاهدين الصوماليين الذين ظهروا خلال القرن التاسع عشر ، ويعرف باسم (مهدي الصومال)، ووحد كلمة المسلمين في الجهاد[١٢١].

وبالطبع لا يمكن أن نغفل أحد مشاهير الجبرت وهو عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الذي ولد في مصر في حي الأزهر بالصناديقية ، ودرس في الأزهر على يد والده ، ثم على أيادي الشيوخ، له مؤلفات كثيرة في مختلف صنوف العلم ، أشهرها كتاب (عجائب الآثار في التراجم والأخبار)، وكتاب (مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين).

---

(١٢٠)السر سيد أحمد العراقي ، الإمارات العربية في ساحل شرقي إفريقيا في العصور الوسطي ،(رسالة ماجستير ١٩٧٤) ـــ جامعة القاهرة.

(١٢١)محمد عوض محمد ، السودان الشمالي سكان وقبائله / الشاطر البصيلي عبد الجليل، معالم السودان النيل .

ومن مـشاهير الجبرت في الـسودان النور ود فقرا الذي كان أميراً على الجبرت بقرية تبارك الله قرب المتمة الحبشـية ، بايع الإمام المهدي فنصبه أميراً على المنطقة وكلفة بجهاد الأحباش النصارى ، فقاتل المنليك الحبشـي ، حتي تمكنت منه الجيوش المهدية وانتصـرت عليه بفضـل قيادة النور ود فقرا (وفقرا معناها الشيوخ) ، وقطع رأس منليك ملك الحبشة الموجودة بمتحف الخليفة في آم درمان حتى اليوم.

يعتبر عبد القادر صـالح كبيري من مشـاهير الجبرت ، وهو من أسـره عريقة وممتدة في إقليم تقراي بين أثيوبيا واريتريا، والمـشهورة بنـشر الإ سلام في المنطقة، وكان وطنياً اريترياً غيوراُ ، ونا ضل ضد الإيطاليين ، وترأس حزب الرابطة الإ سلامية في أ سمرا وكتلة الا ستقلال في فترة الأربعينات من القرن الما ضي، قتل على يد الأثيوبيين قبل سـفره إلي الولايات المتحدة لعرض القضـية الإريترية على الأمم المتحدة. ومن مشـاهير الجبرت السـودانيين الشـيخ سـعيد بيان الذي عمل أميناً للشـئون الدينية في السـودان في عهد الرئيس جعفر نميري، وكذلك الدكتور مجذوب الخليفة من الخواويض، وهو من كبار قادة الحركة الإ سلامية بالـسودان ، عمل والياً للخرطوم، ثم وزيراً للزراعة في عهد الرئيس عمر حسـن أحمد البشـير، وهناك الكثير من الجبرت السودانية الذين عملوا لخدمة الإسلام والمسلمين ، ومنهم شيوخ صوفيون زهاد وعلماء وأدباء، ولكنهم لا يحبون الشـهرة والعمل العام، ولكنهم أينما حلوا يعتبرون مثالاً للتقي والأمانة والإخلاص والتفاني في خدمة الدين والوطن[١٢٢].

و قد اسـتمرت هجرات علماء الجبرت على طول هذه المنطقة الإفريقية الممتدة من القرن الإفريقي في الصـومال وإثيوبيا واريتريا والسـودان ، وأن الكثير من أبنائهم خرجوا لطلب العلم، فطلبوا العلوم الدينية في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقيروان وفأس وطرابلس والقاهرة وصـنعاء، وإذا ما تحصـلوا على علومهم ومعارفهم في أحوال المسلمين ، وتعاليم الإسلام، عادوا إلي بلادهم كدعاة للإسلام، وعلى ذلك ازدهرت بهم مراكز الثقافة الإسـلامية في هذه البلاد الإفريقية ، ونهضـت بدور فعال في نشـر الثقافة والدعوة الإسـلامية. وبازدياد نشـاط هؤلاء الدعاة تحولت المدن الصـغيرة إلي مدن زاهرة تمثل حلقة تمتد من مركز هرر وزيلع ودهلك ومقديشـو وبراوة ومركة والإمارات الإسـلامية السـبع من الطراز الإسـلامي وعلى رأسـها إيفات جبرت، وكلها نهضت بدور كبير في حمل الثقافة والتراث الإسلامي ، ونقله إلي جهات مختلفة في الساحل ثم

(١٢٢)عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب / سجلمان، السلالات البشرية في إفريقيا Paul .A.

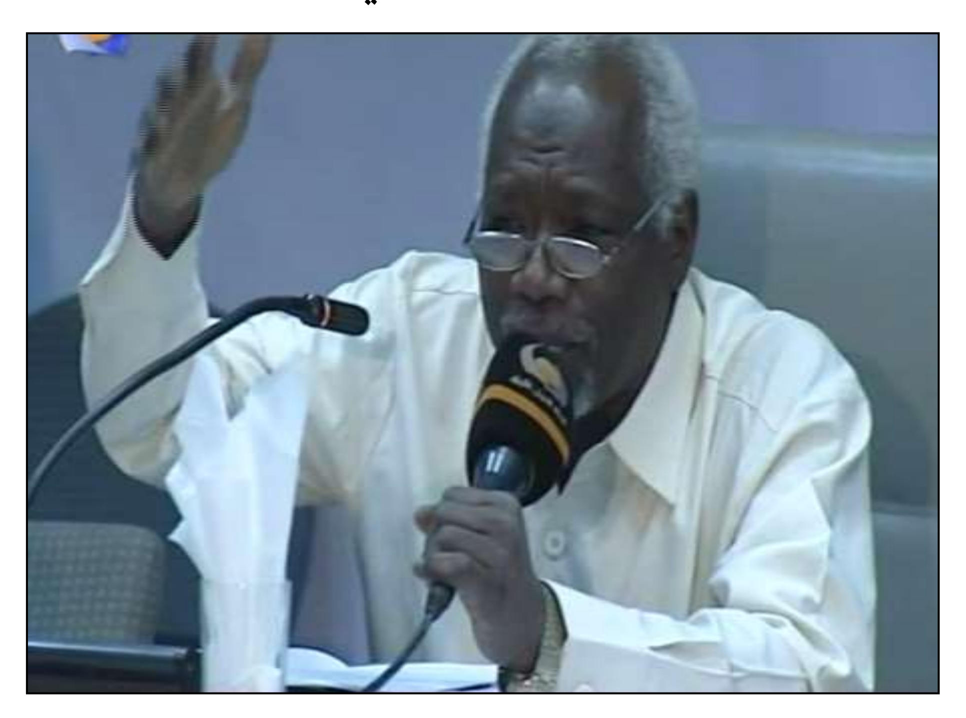
إلي الداخل الإفريقي، فظهرت مراكز إسلامية آخري في كل من الصومال وأثيوبيا واريتريا، أسهمت بدور فاعل ومؤثر في الدعوة إلي الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية ومن أهم هذه المراكز حافون ووار شيخ ، وعظلة وكسمايو وبارديرا ولوخ وبيدوة وبربره ومصوع(١٢٣).

وعلى ذلك يمكن لتلك البلاد أن تتمتع بحضارة إسلامية راقية ونظام إسلامي للحكم سليم، لو أمكن أن يتحقق فيها الأمن والاستقرار لأنها قريبة من ينبوع الحضارة والثقافة، وعلى صلة وثيقة بموطن أرقي الحضارات الإنسانية وهي الحضارة الإسلامية.



(١٢٣) history of the Beja Tribes of the Sudan.

■ قبائل الجبرت في السودان



البروفسير:عبد الباقي محمد أحمد كبير

فبرايـــر ٢٠١٢م

المقــدمــة :

شهدت بلاد الحبشة حقباً من الازدهار الحضاري منذ أكسوم وكوش مما جعلها عرضة لهجرات بشرية قديمة من الهند وفارس وجزيرة العرب، وكان لقريش علاقات تجارية متميزة بالحبشـة حتى عُرفت قديماً بسوق قريش[١٢٤].

وقد ظهرت تلك العلاقة بشـكل أوضـح عقب ظهور الإسـلام وهجرة المسـلمين الأولى إليها بأمر من النبيﷺ، مما فتح الباب واسـعاً لهجرات إسـلامية متعاقبة إلي بلاد الحبشـة بسـبب حروب الرِّدة والفتوح الإسلامية والصراعات السياسية والفكرية خلال فترة الدولتين الأموية والعباسية.

---

(١٢٤) ينظر الأصبهاني: كتاب الأغاني، طبعة بولاق، ج/٨، ص ٥٢.

كان لاستقرار العرب المسلمين في الحبشة آثاره العميقة، فقد تناسوا خلافاتهم السابقة وانخرطوا في الدعوة والعمل بالتجارة والزراعة، فأطلق عليهم أهل البلاد اسم «الجبرت» أي المسلمين، ولهؤلاء الجبرت يرجع الفضل في تكوين دويلات الطراز الإسلامي، ونشر الإسلام في القرن الأفريقي ودوله: الصومال، جيبوتي، إرتريا، الحبشة.

وعقب نشوب الحروب الصليبية وسقوط الأندلس تآمرت الحبشة النصرانية مع دول أوربا خاصة البرتغال لإخراج المسلمين(الجبرت) من الحبشة، واستئصال شأفة الإسلام من هذه البلاد، فخاض المسلمون (الجبرت) حروباً جهادية شرسة، بقيادة الشيخ أحمد إبراهيم القرين (قران) وواجهوا المدافع والقنابل وكل الأسلحة الأوربية الحديثة، فاستشهد الآلاف في وقت كان العالم الإسلامي يُعاني ضَعفاً سياسياً وع سكرياً، فلم يجد ما تبقى من الجبرت بُداً من الخروج من الحب شة، فتفرقوا أيدي سبأ، فمنهم من ا ستقر بالصومال، وآخرون عبروا البحر وعادوا إلي أرض الأجداد وا ستقروا بالحجاز، وذهب جزء منهم إلي ارتريا، ووا صل البعض رحلته ودخل الـسودان وتوزعوا في مُدنه وأرا ضيه، فا ستقر جزء منهم في الـشرق مع إخوانه البجة وتزاوج معهم وأصبح واحداً منهم، وعبر آخرون الصحراء ونزلوا مع أهلهم في الشريط النيلي مع الدناقلة والبديرية والجعليين والعبدلاب، وذابوا في هذه المجموعات، وتمسكوا بأهداب الدين، فأسسوا الخلاوى والمعاهد والمساجد، ودخلوا المدارس والجامعات، وشاركوا في كل الحركات الوطنية التي أدت إلي استقلال السودان، ورسمت حاضره ومستقبله.

حاول هذا البحث إلقاء الضوء على هذه المجموعة الجبرتية الحية بإبراز بعض أسرها ورجالاتها الأفذاذ.

أولاً : مدلول كلمة جبرت:

يقول العمري أن كلمة «جَبَرْت» مشتقة في الأصل من الأمهرية «أجبرت» **Agbert** بمعنى عباد الله[١٢٥] وبذلك فهي كلمة حبشية أطلقت على المسلمين في الحبشة تمييزاً لهم عن النصارى والوثنيين من أهل البلاد، وتطور المدلول ليشمل كل المسلمين المقيمين في الدولة الإثيوبية بعد اتساع رقعتها في أواخر القرن التا سع عشر وأوائل القرن العشرين، بل أن النصارى في الحبشة يستعملون كلمة «جبرت» أحياناً للإشارة إلي العرب المسلمين في الجزيرة العربية، فهي بذلك مرادفة لكلمة «مسلم» ويطلقون علي المسلم العربي أيضاً كلمة «آسلام» **Eslam** أو «نجادي» **Naggady** أي تاجر.

(١٢٥) أمين الطيبي : الحبشة عربية الأصول والثقافة ، طبع الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٩٣م، ص ١١٨.

كما أطلقت كلمة «جبرت» على المكان الذي نزل فيه المسلمون وهو الهضبة الحبشية المُطّلة على الجزيرة العربية، والتي كان ينزل فيها العرب القادمون من الجزيرة العربية بغرض التجارة أو طلب الرزق أو لاتخاذها موطناً جديداً لهم هرباً من الصراعات العربية خاصة بعد الفتوح الإسلامية وقيام الدولتين الأموية والعباسية.

ثانياً : أصل الجبرت:

ينتسب الجبرت عموماً إلي المهاجرين الأوائل المسلمين الذين وفدوا إلي بلاد الحبشة من شبه الجزيرة العربية عبر تاريخ الدولة الإسلامية، لأسباب دينية أو سياسية أو اقتصادية.. لاسيما وأن المنطقة ظلت تستقبل هجرات عربية قبل الإسلام، وفي ذلك يقول القلقشندي نقلاً عن العمري: إن النسبة إلي جَبَرة جَبَرْتي، كانت تُعرف أيضاً بسوق قريش، وأيضاً أطلق عليها اسم «بر سعد الدين»[١٢٦].

وكانت بين قريش والحبشة معاهدات تجارية مرعية بين الطرفين، مما جعل من الحبشة أرضاً معروفة لدى العرب بعامة ولدى قريش بخاصة.

وهذا ما يؤكده قول الرسولﷺ عندما أشتد بهم أذى قريش: «لو خرجتم إلي أرض الحبشة فإن لها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه»[١٢٧] فخرج من المسلمين يومئذ أثنا عشر رجلاً وامرأتان وكانوا بقيادة سيدنا عثمان * * بن عفان ط ومعه زوجته زينب بنت رسول اللهﷺ.

فكانت هذه أول هجرة للمسلمين إلي أرض الحبشة، وهذا الملك الذي نزل عنده المسلمون هو النجاشي ويدعى«أصحمة بن الحر أو ابن أبحر» وكلمة أصحمة معناها «عطية»[١٢٨] وهو صاحب الولاية على إقليم شمال الحبشة، وكان ترحيب النجاشي بالمسلمين وحمايته لهم وإسلامه في نهاية الأمر مدعاة لهجرة ثانية للمسلمين إلي الحبشة تُعد أكبر من الأولى حيث خرج فيها حوالي سبعون رجلاً سوى أبنائهم وزوجاتهم، ولذلك كان هؤلاء المهاجرون يشكلون النواة الأولى لأمة الجبرتة في الحبشة، حيث أقام المهاجرون المسلمون بأرض الحبشة حتى ولد لهم الأولاد، وجميع أولاد جعفر بن أبي طالب ولدوا بأرض الحبشة، ولم يزالوا بها في أمن وسلامة[١٢٩]. ويورد ابن حزم الأندلسي أسماء أكثر من عشرين شخصاً من مهاجرة الحبشة-

---

(١٢٦) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج/ ٥، ص ٣٢٥.
(١٢٧) السيرة النبوية لابن هشام ، ج/ ١ ص ٨٤.
(١٢٨) تاريخ اليعقوبي، ج٩، ص ٢٢.
(١٢٩) تاريخ اليعقوبي ، ج/ ٢، ص٣٠.

أســر بكاملها، إخوة وأبناء عم، من بينهم عبد الله بن حذافه الذي بعثه الرســولﷺ إلي كســرى يدعوه إلي الإ سلام[130] كما يذكر ابن حزم محمد بن حطاب بن حرث الجمحي ويقول أنه ولد بأرض الحبشة وهو أول من سمى في الإسلام محمداً بعد رسول اللهﷺ[131]. إن طول مدة إقامة هؤلاء المهاجرين في الحبشة لأكثر من ستة عشر عاماً وتوالى هجراتهم مما يؤكد بأنهم وجدوا في الحبشة مقاماً سهلاً ومعاملة طيبة، وقد تزوج هؤلاء المهاجرون من نساء حبشيات، وتصاهروا مع الحبشة وأنجبوا جيلاً ينتسب إليه الجبرت.

ولهذا نجد البعض منهم ينتسبون إلي عثمان بن عفان * * وآخرون ينتسبون إلي نسل عقيل بن أبي طالب * * [132] وهناك مجموعات أخرى تنتسب إلي بني مخزوم أصحاب المال والتجارة في قريش[1331].

ومهما يكن فإن الانتساب إلي الدوحة النبوية بخاصة والي العرب بصفة سمة بارزة للأسر الأفريقية التي أقامت دولاً حاكمة، والجبرت هم أقرب الناس إلي العرب ديناً ولغة وجواراً.

ولكن الأهم من النســب هو الدور الكبير الذي قام به الجبرت في نشــر الإســلام في منطقة الحبشــة وما جاورها من بلاد.

ثالثاً: دور الجبرت في نشر الإسلام:

يمكن أن يؤرخ لدخول الإســلام في الحبشــة بالهجرة الأولى والتي أدت إلي إســلام النجاشــي (أصــحمة) وأســاقفته، وكَثُر توافد المســلمين بعد ذلك للأهداف التجارية بعد أن دانت لهم الجزيرة العربية وأصــبحوا يتحكمون في طرق القوافل داخل بلاد العرب بين عدن و صنعاء، كما أسهموا بنشاط كبير في التجارة الشرقية بين مصر والهند عن طريق البحر الأحمر، ونتيجة لهذا النشاط التجاري الإسلامي الكبير استطاع المسلمون إنشاء مراكز تجارية في شرقي الحبشة، كما استطاعوا بالتدريج التحكم في ميناء عدوليس (Adulis) وهو ثغر الحبشة

---

(١٣٠) ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، طبع القاهرة ١٩٥٢م ص ١٦٢.

(١٣١) نفس المصدر ، ص ١٦٢.

(٤) هذه الرواية ضعيفة لأن عقيلاً لم يهاجر إلي الحبشة وظل على الشرك حتى هاجر النبي ﷺ إلي المدينة ، وحارب عقيل مع المشركين في معركة بدر ووقع أسيراً في يد المســلمين في الســنة الثانية من الهجرة، وافتداه عمه العباس ، ثم أســلم بعد ذلك، أما الذي هاجر مع المسلمين إلي الحبشة فهو أخوه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو الذي تولى الدفاع عن المسلمين المهاجرين أمام النجاشي، وعاد إلي المدينة يوم فتح خيبر في السنة الخامسة من الهجرة، ففرح النبي ﷺ بمقدمه وقبله على وجهه وقال: «أنفرح اليوم بفتح خير أم بقدوم جعفر». ينظر: أبن هشام: السيرة النبوية ، ج/ ٢ ص ٢١٢ .

(١٣٣١) ينظر: مقال بعنوان: مملكة أوفات جبرت ، كبرى ممالك الطراز الإســلامي، بقلم: بدرية يونس عبد الرحمن ، عدد ١٣ ص ٣٧٣. جامعة أفريقيا العالمية، ٢٠٠٨م.

ونشط الجبرته المسلمون في نشر الإ سلام في الحبشة، ساعدهم في ذلك هجرات عربية متنوعة من الأمويين والعبا سيين والزيديين والخوارج كانوا يأتون في شكل دُعاة وتجار، فا ستقروا في الحبشة مع إخوانهم المسلمين الجبرت، وقد تناسوا خلافاتهم الفكرية والسياسية السابقة في المدينة ودمشق وبغداد وصنعاء والخرطوم في ميادين الدعوة المختلفة في أرض الحبشة، فدخل الكثير من القبائل الحبشية في الإسلام على يد الجبرت مثل قبائل الساهو والعفر في شرقي الحبشة، والسيدامو وقبائل الشوا في جنوب الحبشة، كما تأثرت بعض القبائل الصومالية بهذه الحركة الإسلامية القوية(١٣٤).

وقد تطورت هذه المراكز التجارية الإسلامية بإقامة أول إمارة إسلامية في البر الحبشي وهي إمارة بني مخزوم عام ٧٣ هـ (٧١٢م) في إقليم الشوا على عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٩٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م) وذلك عندما تعر ضت سواحل جزيرة العرب وتجارة المسلمين لنهب القرا صنة الأحباش، كما سطا هؤلاء على ميناء جدة وا ستباحوها في هذا العام مما أدخل الرعب والفزع في سكان مكة، وحينئذ ا ضطر الخليفة الأموي إلي غزو الحبشة واتخاذ و سائل فعالة لمنع تكرار العملية، وا ستقر الرأي على احتلال مجموعة جزائر دهلك تجاه ميناء مصوع، وتتكون هذه المجموعة من عدة جزر أهمها: دهل وحرات وكباري ودركه ونورة ونقرة وكمران، والأخيرة اكبر هذه الجزر(١٣٥).

كان استيلاء الدولة الأموية على هذه الجزر قد أعطى دعماً قوياً للمسلمين في الحبشة، وقوى من شوكتهم أمام مدافعة الحبشة المسيحية ومحاولاتها الدائمة لتقويض صرح الإ سلام وإ ضعاف شوكته، ولكن هذه المساعي لم تنجح في هذا الوقت نظراً لتدفق المسلمين على الحبشة بشكل كبير بغرض التجارة وكان المسلمون في الحبشة يدفعون الجبايات والضرائب لملك الحبشة، وقد نشط تجار الحجاز واليمن وسواحل الحبشة مع هضبة الحبشة وكانوا يتاجرون بالذهب والعاج وعطر الزباد والصندل والملح... الخ، وعن طريق زيلع كانت تصدر من منتجات الحبشة الجلود والصمغ والسمن وريش النعام والعاج، وترد إليها الأقمشة والتمور والأواني الخزفية والفخارية والحديد والأسلحة(١٣٦).

وقد ا ستمرت هذه العلاقات التجارية بين الحبشة والجزيرة العربية ولم يُود ذلك إلي قيام عداء على أ ساس الدين بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة، على عكس ما كان يحدث آنذاك في منطقة حوض البحر

---

(١٣٤) ينظر: إبراهيم طرخان : انتشار الإسلام في الحبشة، ص ٣٠.

(١٣٥) الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، للمقريزي، ص ١٩٨.

(١٣٦) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا ، ص ٩٩. وينظر: Trimmgham: General History of Africa, (Unesco) Vol٢, P. ٣٩.

المتو سط، ويرجع ذلك إلي حد كبير إلي أن الكنيسة الحبشية كانت تتبع مذهب الكنيسة القبطية بمصر، وكان أساقفة الحبشة مصريين تعينهم الكنيسة القبطية بالإسكندرية، وكانت مصر قد خضعت للمسلمين منذ بداية القرن الأول الهجري، وكانت الدولة الإسلامية في مصر تراقب أوضاع المسلمين في الحبشة وتتفاعل بقضاياهم مما منح المسلمين شيئاً من الثقة والتقدم في نشر الإسلام وإنشاء المساجد، وفي أوائل القرن الثالث عشر الميلادي (السادس الهجري) وبسبب انشغال الحبشة بمشاكلها الداخلية أخذت بعض الإمارات الإسلامية في الاستقلال عن الحبشة وامتنعت عن دفع الجبايات والضرائب لملك الحبشة مثل جزائر دهلك قبالة مصوع وزيلع على ساحل خليج عدن واخذ الإسلام يتقدم بسرعة في الأراضي المجاورة لزيلع بشمال الصومال، حيث ظهرت سلسلة من الإمارات الإسلامية عرفت فيما بعد باسم(دول الطراز الإسلامي) لأنها كانت على جانب البحر كالطراز له[١٣٧] لم تلبث أن شكلت خطراً كبيراً على مملكة الحبشة من الجنوب الشرقي، وكانت تعرف هذه الممالك في مصر والشام ببلاد الزيلع، وبها الجوامع والمساجد واتسم أهلها بالتمسك بالدين والمحافظة عليه، وفيهم الفقهاء والعلماء والزُهَّاد[١٣٨]. وذكر المؤرخون هذه الممالك، وهي كالتالي: أوفات، دوارو، أرابيني، هَدْية، بالي، داره.

ويلاحظ في قيام هذه الممالك الإسلامية أنه اتسم بالطابع السلمي التجاري أو الاقتصادي بصفة عامة، إذ امتلك المسلمون الجبرت ناصية التجارة الداخلية والخارجية، ولم تصاحبها في نشأتها أي مساع عسكرية أو سياسية- في أول أمرها على الأقل- ويرجع ذلك إلي أن الحبشة هي موطن الهجرة الإسلامية الأولى- حيث أصاب المسلمون الدار والقرار- ولم تكن دار جهاد.

ومن أهم هذه الممالك الإسلامية وأعظمها مملكة أوفات، وكان للجبرت دور كبير في نشأتها وتطورها، ويذكر المؤرخون أن أوفات جبرت مملكة واسعة كلها عامرة بالقرى ، وكان قد أسسها قوم من قريش، ومما زاد من أهميتها موقعها الجغرافي في المنحدرات الشمالية الشرقية لهضبة شوا التي كانت تمر بها أهم طرق القوافل من زيلع إلي أقاليم الحبشة الوسطى، ويمتد نفوذها التجاري حتى زيلع، وكانت تتعامل بالدنانير المصرية والدراهم التي تأتيها من خلال القوافل التجارية، ويذكر المؤرخون أن أهلها يتحدثون اللغة العربية والحبشية خلال القرن الثالث عشر الميلادي[١٣٩].

---

(١٣٧) The Cambridge History of Africa Combendge U.P, ١٩٦٠ vol,٣. P.١٤٠

(١٣٨) أمين الطيبي، المرجع السابق، ص ٨٥.

(١٣٩) ينظر: إبراهيم طرخان : انتشار الإسلام في الحبشة، ص ٣٠.

وكان أشـــهر ملوك مملكة أوفات جبرت هو عمرولشـــمع، وقد حكم لفترة طويلة أشـــتهر فيها بالعدل والصلاح، وحسنت سيرته لدى الناس عامة، وبعد وفاته أورث السلطة لأبنائه الخمسة فتوارثوها بموافقة ملك الحبشـــة، ويذكر المؤرخون أن الملك حق الدين بن عمرولشـــمع قد خرج عن طاعة ملك الحبشـــة المدعو «سيف أرعد» وهو دليل قاطع على عظم دولة أوفات جبرت التي أخذت تهدد دولة الحبشة المسيحية مما جلب لها عداء أباطرة الحبشـة طوال القرنين الرابع عشـر والخامس عشـر الميلاديين حتى ظهور الإمام أحمد إبراهيم (قران– أو قراي) وتعني: الأعسر لأنه كان يستخدم يده اليسرى، وقد بلغت دولة أوفات جبرت في عهده إلي ذروتها سياسياً وعسكرياً، حيث قاد حركة الجهاد ضد الحبشة والبرتغاليين النصارى في الفترة من عام (٩٣٣–٩٤٨هـــ/ ١٥٢٧–١٥٤١م) أي حوالي عقدين من الزمان أبلى فيها الإمام أحمد والمســـلمون الجبرت بلاءً حسـناً، سـطروا فيها تاريخاً ناصعاً للإسـلام والمسـلمين سَـجَّلَهُ المؤرخون بمداد من ذهب وأحرف من نور، ذلك أن الإمام أحمد استطاع أن يقهر قوات الأحباش وقضى على مملكة الأحباش الأمهرا، وفرض نفوذه السـياسـي على أجزاء واسـعة من بلاد الحبشـة في عهد إمبراطور الحبشـة المدعو«لينا دنقل» والذي توفي عام ١٥٤٠م وتولى بعده الملك كلوديوس«(١٥٤٣–١٥٥٩م) الذي استعان بالبرتغاليين النصارى لمقاومة المسلمين في الحبشة، وكان لينا دنقل الإمبراطور قبله قد كاتب ملك البرتغال واستنجد به، وفي الوقت نفسه استنجد الإمام أحمد بالدولة العثمانية التي ظهرت آنذاك على مسرح الأحداث في المشرق وفتحت مصر عام ٩٢٣هـــ/ ١٥١٧م ولكن البرتغاليين كانوا أسرع إجابة فبعثوا حملة بقيادة كرستوفر دا جاما «ابن فاسكو دا جاما» قوامها أربعمائة وخمسين جندياً وصلت هذه النجدة إلي مصوع عام ٩٤٨هـــ/ ١٥٤١م وبعد اشتباكات طويلة استشهد الإمام أحمد في شوال ٩٤٩هـــ وأخذت حركته في الأفول وأعاد الأحباش ســيطرتهم على الحبشـــة، وأخذوا في مطاردة المســلمين الجبرت من بلادهم فتفرقوا أيدي ســبأ في العالم الإسلامي المجاور، مثل الحجاز والصومال وإرتريا والسودان واندمجوا في هذه المجتمعات بهدوء وذلك لاســتعداداتهم الفطرية وما يحملونه من إســلام وثقافة عربية أصــلية، وتميزوا في هذه المجتمعات بعلمهم ومجاهداتهم، وقد برز من علمائهم العالم الشـهير عبد الرحمن الجبرتي، الذي هاجرت أســرته من جبرت الحبشـــة إلي القاهرة، وبرز جده الســابع عبد الرحمن الجبرتي في الأزهر كعالم جليل انتهت إليه رئاســة (رواق جبرت) في الأزهر الشريف وظل هذا المنصب متوارثاً في نسله حتى وصل إلي حفيده عبد الرحمن الذي ولد

في مصــر ونشــأ في بيئة علمية خالصــة ورزقه الله الموهبة العلمية، فنبغ في كثير من العلوم والفنون، ولكن العلم الذي أشــهره هو التاريخ بكتابه الذي أرخ فيه لمصــر بلد العلم والتاريخ، وهو كتاب: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، والذي اشتهر بتاريخ الجبرتي.

كما نجد منهم العالم الجليل الزيلعي، ولهم من العلماء والشعراء العدد الكبير كما سنوضحه(١٤٠).

الجبرت في السودان :

كانت العلاقات بين السودان والحبشة علاقات جوار يسودها الهدوء في أغلب الأوقات، ولم تشهد هذه الجبهة صــراعات إلاّ في عهد الثورة المهدية وما أعقبها من غزو اســتعماري أوربي شــمل كل منطقة شــرق أفريقيا، أما الهجرات البشرية فتكاد لا تتوقف في أي فترة تاريخية، وقد استقبل السودان أعداداً ضخمة من القبائل العربية وغير العربية عبر بلاد الحبشــة، وتعتبر هجرة الجبرت إلي الســودان عقب ســقوط دولتهم في الحبشــة وتعقب الأحباش النصــارى لهم، تُعد هذه الهجرة نقطة تحول في تاريخ الجبرت العريق، فقد ضــاع ذلك المجد التليد، وانتقلت تلك الدولة الإســلامية التي كانت ترعب الأعداء والجيران من عالم الوجود إلي كتب التاريخ، ودخل معظم الجبرت إلي محيط السودان الواسع والعميق وانتشروا في كل مُدنه العامرة آنذاك مثل: سنار، و سواكن، وبربر، و شندي، والقلابات، ودنقلا...الخ، فوجدوا استقبالاً وترحيباً من حكام دول السودان وزعماء قبائله المختلفة، وقد شهدت فترة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أهم هذه الهجرات وقد ســلكوا طرق القوافل التجارية ومجاري الأنهار مثل نهر القاش وعطبرة والنيل الأزرق ونهر ســتيت، ونظراً لإســلام الجبرت وتمســكهم بالدين لم يجدوا كبير عناء في الاندماج في المجتمع الســوداني المتدين بطبعه ، لا سيما وأن الجبرت يشبهون أهل السودان خاصة سكان الجزء الشمالي، فلا زال الجبرت حتى ذلك التاريخ يحتفظون بتقاطيعهم العربية الدقيقة وألوانهم الصــفراء المائلة إلي الســمرة الجميلة، فتصــاهروا مع ســكان الشرق والشمال وذابوا في القبائل السودانية، وعندما بدا تكوين السودان الحديث شاركوا في كل الحوادث الوطنية، فذكر المؤرخون أنهم قد شاركوا في الثورة المهدية بفعالية، وبايعوا الإمام المهدي، وكانت للجبرت راية في جيوش المهدية منذ بداية الثورة ، واســتمرت طوال عهد المهدية تنتقل من النور ود فقرا إلي عمر أحمد خوجلي وغيرهما(١٤١). وأصبحوا قيادات في بعض الأحزاب والمؤسسات، لأن استعدادهم الفطري والحضاري

---

(١٤٠) ينظر:كتاب عبد الرحمن الجبرتي الحنفي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مطبعة الأنوار المحمدية،القاهرة، ج/ ١، ص١.

(١٤١) محمد سعيد القدال: ١٩٧٢م ص ١٨٧.

قد ساعدهم في التفاعل مع إخوانهم السودانيين وقد بذلوا جهوداً واسعة في نشر الإسلام والحركة السيا سية في السودان بحجم لا يمكن الإحاطة به في مثل هذا البحث السريع، ونكتفي هنا بذكر بعض أماكن تواجدهم الأولى، وبعض الأسر والشخصيات التي تمكنا من معرفتها.

١-الجبرت في شرق السودان:

تعتبر منطقة شرق السودان امتداداً طبيعياً لشرق أفريقيا وبلاد الحبشة، ولهذا شهدت هجرات سكانية وتداخلات قبلية منذ التاريخ القديم، وقامت موانئ الشرق مثل سواكن وزيلع ومصوع.. بدور كبير كوسيط تجاري في تشكيل تاريخ المنطقة في العصور الوسطى خاصة بين أفريقيا والجزيرة العربية، وعندما هاجر الجبرت اتجهت قبائل منها إلي شرق السودان، ونزلوا بجوار إخوانهم البجة، فأطلقوا عليهم أسماء جديدة تتوافق واللسان البجاوي والعربي، فسموهم بأسماء مختلفة من ذلك مثلاً:

أ - الأشراف :

منسوبون إلي آل بيت النبوة والأشراف منتشرون في أنحاء السودان واستقر الجبرت المنسوبون إلي الإشراف في سواكن، ويذكر الطيب محمد الطيب أن الأشراف قبيلة بيجاوية من صميم أهل الشرق، ولكنهم امتازوا على غيرهم بتعلقهم بالقرآن، فقد ظلوا يحملون راية التدريس منذ قرون ولاسيما نساؤهم، فأكثر مشائخ القرآن عندهم نساء يُدَرَّسن البنين والبنات في سن مبكرة وعندما يقاربون سن المراهقة يفرقون بينهم[١٤٢] وقد جاء جدهم المدعو: الشريف محمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن محمود ويتصل نسبه بالحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ونزل بسواكن في منتصف القرن العاشر الهجري (١٦م) وكان يحكمها الأرتيقة، وطلب الزواج من الأرتيقة، ولكنهم طلبوا منه أن يثبت صحة نسبه، فرجع إلي الحجاز، ثم انتهز فرصة الحج فالتقى بعدد من أعيان سواكن فأثبت إمامهم صحة نسبه ثم عاد إلي سواكن فتزوج من إحدى حفيدات السيد محمد جمال الدين، أمها بنت الشيخ بوداي من الهدندوة «الشرعاب» وينقسم الأشراف إلي عدة فروع، ويسكن معظمهم في مُدن وقرى شرق السودان، ويعملون بالتجارة والزراعة ويسكن قسم منهم في منطقة خور بركة، فيسمون أشراف خور بركة، ويسكن قسم آخر في منطقة عيتباي، ويسمون أشراف عيتباي، وفي كل هذه المناطق اهتموا بالتعليم الديني، ولهم مكانتهم الكبيرة في نفوس الناس جميعاً وباندماجهم في أهل الشرق اكتسبوا لغة الأم فصاروا يتحدثون «التبداويت» مثل غيرهم، ويلبسون زي البجة في زماننا هذا[١٤٣] ولهم نقيب في سواكن.

---

(١٤٢) الطيب محمد الطيب : كتاب المسيد ، طبع دمشق الطبعة الثانية ١٩٩٩م، ص ٢٣٩.

(١٤٣) الطيب محمد الطيب : نفس المرجع السابق، ص ٢٤٠.

ب- الحَلنقـه:

يؤ كد المؤرخون الذين كتبوا عن البجة كاليعقوبي وابن حو قل والمقريزي.. أن الحلنقة أول مجمو عة إسلامية عربية نزلت على ساحل البحر الأحمر الغربي المتصل ببلاد الحبشة، و سرعان ما اندمجت في الكيان البجاوي الكبير بالتزاوج والاختلاط، وبالتالي يتفق الكثيرون بأن الجبر ته هم أصـــل الحلنقة، ولكن بمرور الوقت طغت عليهم تســمية الحلنقة، واختفى اســم الجبرت، مثلما حدث لهم في كل المناطق التي هاجروا إليها، ويذكر الحلنقة أن نسـبهم يرجع إلي هوازن، وأنهم من ذرية أحمد الحلاق من قبيلة بني سـعد مزين النبي ﷺ، عبروا البحر الأحمر في القرن الأول الهجري ضـمن الطليعة الإسـلامية الأولى إلي بلاد الحبشـة، والمهم أنهم أول من قادوا حركة نشــر الإســلام ومحاربة الوثنية في بلاد (البجة) كما شــاركوا في كل الحملات الإسلامية لمحاربة المفسدين من اللصوص وقطاع الطرق ومهددي الأمن والا ستقرار في البلاد بالتعاون مع الدولة القائمة منذ العهد السـناري والتركي(١٤٤). وقيل أنهم سُـموا حلنقة للسـياط التي كانوا يحملونها، وهي تسمية حبشية، وقيل أنهم نزلوا في مكان يسمى حلانقيت وعرفوا به. ومن فروعهم آل الشيخ (شيكن دو) وآل الرئيس (وهداي دو) وآل الفقيه (فقيهندو) ولغتهم البجاوية.

ويذكر ترمنجهام Trimingham أن لهجة الحلنقة مليئة بالكلمات الأمهرية والتقرية، ويتحدث أغلبهم اللغة العربية(١٤٥) وكانت بينهم وبين الهدندوة وبني عامر حروب وغزوات منذ القدم، وكان كبير الحلنقة يلقب بلقب « شيخ» ونتيجة للظروف التاريخية التي مرت بالحلنقة واختلاطهم مع الجماعات المحلية برز للحلنقة كيانان، وتبعهم الجبرت في ذلك وهما:

أولاً: كيان الحلنقة الذين جاءوا عن طريق الحبشة ومعظمهم الجبرت وينقسمون إلي خمسة بطون:

(١) آل كليت (٢) آل شبعول (٣) إلي سيداور (سيد القوم)

(٤) آل نصر (٥) آشبوا نداب.

ثانياً: الكيان الذي يرجع أصوله إلي البلويين، والذين تصاهروا مع الحلنقة واندمجوا فيهم ومنهم:

(١) المقاودة (٢) السنهاراب (٣) المهيكتناب

(٤) السيقولاب (٥) القادين أو الجادين (٦)الحـفـرا

---

(١٤٤) نعوم شقير، مرجع سابق، ص ٥٨٠. (لم يُذكر من قبل!!!).

(٢) Trimingham: Islam in Sudan, London, ١٩٦٥, P.

(٧) السبدرات (٨) الكيلاي (٩) السمهراب

وانقسم الحلنقة والجبرت جغرافياً إلي حلنقة سفلى وعاصمتهم أبريد، واشتهر من زعمائهم عوض مسمار، الذي عاصر الفتح التركي للتاكا عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤١م بقيادة أحمد باشا أبو ودان الذي جلس في بربر وطلب من مشايخ البجه الحضور والتسليم وأتاه محمد دين شيخ الهدندوة العام، أما عوض مسمار شيخ الحلنقة فقد أبى الحضور، وعندما قدم أحمد باشا إلي التاكا فر عوض مسمار إلي الحجاز، واجتمع الحلنقة وعينوا محمد أيله شيخاً عليهم، فخرج مع بعض وجهاء قبيلته وقابلوا أحمد باشا في قوز رجب على الأتبرة وقدموا له الطاعة والولاء، وكان الحلنقة مقيمين على القاش قرب جبل كسلا فلما رأى أحمد باشا بلادهم وطبيعتها الجميلة أعجبته فبنى استحكامات منيعة وجعلها مركزاً للجيش الحكومي في شرق السودان، وأمَّر محمد أيله على شياخة الحلنقة، وعندما عاد عوض مسمار إلي كسلا بعد أن أعطته الحكومة الأمان، عين أبنه محمد عوض مسمار شيخاً على القبيلة، ومنذ ذلك التاريخ صارت أسرتا عوض مسمار ومحمد أيله تتناوبان مشيخة الحلنقة إلي اليوم (تاريخ كتابة كتاب تاريخ السودان)[١٤٦].

أما الكيان الثاني فهم الحلنقة العليا، وعاصمتهم تولوس أو كسلا، وبرز منهم رجال كثيرون في العلم والسياسة منهم على سبيل المثال:

(١) **الشيخ عبد الله بن علي الحلنقي**: الذي ولد بالتاكة، وحفظ القرآن في أسلانج، وقرأ الفقه والتوحيد على الشيخ دفع الله بن محمد الكاهلي، وسلك عليه طريق القوم، وأرشده وأذن له في السلوك، وقام مقام شيخه في العلم وانقادت له قبائل الشرق من نهر أتبرا إلي البحر الأحمر، وكان معظم طلبته من الجبرت المنتشرين في مراكز التعليم في شرق السودان و شماله، وممن برز من تلاميذه: الفقيه آدم الضرير المتكنابي المسلمي والشيخ شرف الدين بن بري، والفقيه على الرجوبة، والشيخ قُرنَى ولد محمد أبو سبيب، والحاج ولد محمود، ومن العركيين: الشيخ عبد الله أبو رايات، والفقيه عبد الله بن الأمين، والشيخ دفع الله بن الشافعي، ومنه تفرعت الطريقة.

وحدث أن قدم الشيخ عبد الله الحلنقي الجبرتي إلي أبي حراز لزيارة شيخه، وليعزى الشيخ في وفاة أبيه حمد، واصطحب معه الآلاف من أتباعه براياتهم و سيوفهم وخيولهم، ومكث في أبي حراز سنتين وانقادت له الأعراك كأنه الشيخ دفع الله، وحظي بالتقدير عند الفونج والعرب، وكان يقسم الملابس والأكل على

---

(١٤٦) ينظر: نعوم شقير ، المرجع السابق، ص ٥٢٢.

العركيين، ولما رحل عنهم بكوا وافتقدوا رفده وبره بهم، وكانت له مســاجلات مع علماء عصــره، مثل حديثه عن صــفات الله الذي رده عليه الشــيخ الوالي العالم المشــهور، كما أنكر عليه بعض ذلك الفقيه عبد الماجد بن حمد الأغبش، ومات الشــيخ عبد الله بن علي الحلنقي بالتاكه ، ومن أبنائه الفقيه حمد، ومن نســله يعقوب بن ما لك بن عبد الله بن علي الحلنقي بالتا كا الذي نزل به الســيد محمد عثمان الختم ولقبه بالحبيب[147].

وقد اشــتهر يعقوب بن مالك بالعلم والفقه، لازم الســيد محمد عثمان الميرغني في زيارته للتاكا عام ١٨٣٧م، وكان زعيم الحلنقة العليا، استسلم لأحمد باشا أبو ودان، وهو خال محمد أيلا[148]، وكان للحلنقة والجبرت في الشرق مواقف متباينة من المهدية، تبعاً لمواقف زعمائهم، فقد وقف معظم الحلنقة السفلى مع المهدية وعملوا تحت قيادة الأمير عثمان دقنة، بينما حافظ معظم الحلنقة العليا ومعهم الجبرت على صلتهم القوية بالختمية، وقاموا بدور كبير في مســاعدة الســيد محمد عثمان الميرغني الأقرب والســيد بكري على الهرب إلي الحبشة، ثم إلي مكة بعد سقوط كسلا في أيدي الأنصار وإحراق ضريح السيد الحسن بقيادة عوض الكريم كافوت[149].

(٢) **آل محمد إيلا أوأيله** : اشتهر محمد إيله وأصبح شيخاً على الحلنقة أيام أحمد باشا أبو ودان حوالي عام ١٨٤١م، واشتهر منهم عبد القادر محمد إيله من مآمير منطقة عقيق بالبحر الأحمر وكان وجوده في جزيرة بني عباس[150] وذرية أيله ما تزال بالبحر الأحمر ومنهم محمد طاهر أيله وزير التجارة في ثورة الإنقاذ الحالية ١٩٩٥م وهو من خريجي كلية الاقتصــاد بجامعة الخرطوم ومن الإســلاميين المرموقين ويعمل الآن والياً لولاية البحر الأحمر(٢٠١٢م)

وللجبرت والحلنقة علاقات رحم بالعبدلاب والجعليين العمراب، كما لهم علاقات قوية بالفونج.

(٣) **آل أبي لكيلك**: أبو لكيلك أو أبو الكيلك هو أحد وزراء الهمج، وهو محمد أبولكيلك كمتور (١٧١٠-١٧٧٦م) وزير الملك بادي أبوشلوخ أعظم ملوك سنار، تزوج أبولكيلك من ابنة أبي شوتال

---

(١٤٧) ينظر: بن إدريس الرباطابي: الإبانة النورية، ص ٨٦-٨٧.

(١٤٨) ينظر: موسوعة القبائل والأنساب في السودان، ج/ ٦، ص ٢٦١٢.

(١٤٩) ينظر: عثمان أحمد عيسى، كتاب تاريخ إمارة الحلانقة في التاكا، طبع جامعة الخرطوم، وموسوعة الأنساب،ج/ ٢، ص٦٥٤.

(١٥٠) ضرار ، ص ١١٨.

(٤) الهمجي، فولدت له: إبراهيم ورجب وإدريس وأصبح إبراهيم وزيراً للملك ناصر بن بادي، وأصبح لرجب قيادة الجيش الشرقي بقوز رجب المنسوب إليه، وكانت لإدريس قيادة الأبيض. واختلف مع إبراهيم فقتله، وبعد فترة من الفوضى سيطر أبناء أبي لكيلك على سلطنة الفونج[١٥١] وينتسب آل أبي لكيلك إلي العوضية من أبناء رباط بن مسمار وقد اختلطوا بالجبرت والحلنقة منذ قديم الزمان، ومن هنا جاء الإدعاء بأن للجبرت دور في تأسيس دولة الفونج والعبدلاب، وقد تحدث ابن حوقل في كتابه صورة الأرض عن مملكة الدجن (القاش) وذكر أن لهم ملكاً مسلماً يتحدث العربية من قبل صاحب علوة، وكانت لهم مع الفونج مواقع مشهورة، منها الحملة التي أرسلها عدلان الثاني عام ١٧٨٠م إلي التاكا لمهاجمتهم، فهزم جيشه وقتل اثنان من قواده الثلاثة وهما: عجيب بن عبد الله وعيساوي، ورجع القائد الثالث المدعو قنديلاي بفلول الجيش[١٥٢].

وهذا دليل أن العلاقات بين الحلنقة الجبرت ودولة الفونج لم تكن كلها سلماً، وإنما سادتها الحروب والتي هدأت وتوقفت بالمصاهرات والتزاوج وانصهار شعوب الشرق القادمة من الحبشة وبلاد البجة في قبائل السودان خاصة قبائل الشمال والوسط.

وقد تحدثنا من قبل أن الشيخ عوض مسمار وهو من الحلنقة قد تزوج بإحدى بنات العبدلاب فألبسه ملك سنار طاقية الملك لتعزيز مقامه، فبقى ملكاً إلي الفتح المصري للتاكا عام ١٨٤٠[١٥٣].

ومن الحلنقة الجبرت أولاد المأمور أبو بكر حسن أغا المشهور بأبي بكر حسن عوض الله، تخرج من الكلية الحربية المصرية عام ١٩٠٢م وعمل بالسودان عام ١٩٠٣م ضابطاً في الجيش، وتدرج حتى بلغ رتبة مأمور ام درمان ومن أولاده محمد أبوبكر حسن (١٩١٨-١٩٧٠م) الملقب بالنسر، وعمل ضابطاً بالقوات المسلحة وكذلك أخوه أحمد، وقد تخرج الصاغ محمود من كلية غردون وا شتغل مترجماً بالسكة حديد، ثم اختير في الدفعة الثالثة لبراءة الحاكم العام ضابطاً بقوات دفاع السودان إلي أن توفاه الله، وكان الشعر زاد حياته وكان حب الوطن يملأ جوانحه، وقد عبر عنه بقصيدته الخالدة، صه يا كنار، التي أصبحت أنشودة الاستقلال يترنم بها كل السودانيين، اشترك في الحرب العالمية الثانية في حرب الصحراء في ليبيا وشمال أفريقيا ومالطه

---

(١٥١) ينظر: مكي شبيكة: السودان عبر القرون، ص ١٧٦ وما بعدها.

(١٥٢) أنظر: نعيم شقير، المرجع السابق، ص ٤٣٧.

(١٥٣) ماكمايكل: قبائل السودان ص ١١.

والحبشة وإرتريا وعرف بالنقاء والطهر والشجاعة والتواضع، له ديوان شعر مطبوع بعنوان: (أكواب بابل على ألسنة البلابل)[١٥٤].

٤-آل القـــــرَّاي: القراي : اسم رجل كان يجيد القراءة، وهو الشيخ المقري محمد المشهور بالعجمي التاكي بن البركة إسماعيل بن الشيخ سليمان الحلنقي الجبرتي، ويتصل نسبه بالشيخ شعيب الهروي (لإقامته بهرر بالحبشة) في الجد الثالث عشر ويتسلسل نسبه حتى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد وجد هذا النسب في مصحف خطي يرجع للقرن الحادي عشر الهجري، صاحبه الشيخ سمساعة ابن إبراهيم حفيد الشيخ محمد القراي. وقد عرفت المنطقة التي نزل بها الشيخ محمد في ديار الجعليين بالقرب من كبوشية «بديم التقراي» نظراً لعدد الجبرت الكبير الذين حضروا مع الشيخ، ثم تغير الاسم إلي «ديم القراي» لإجادته قراءة القرآن بلسان عربي مبين ، واستطاع الشيخ محمد القراي أن ينشر العلم في ديار الجعليين واشتهر أمره وعرف بالتقوى والصلاح والزهد، وتزوج من الجعليين وتوفي ودفن بديم الفقراء، وخلفه أبناؤه منهم: إبراهيم الخواض والفكي أحمد الخواض وجاء من بعدهما الشيخ إبراهيم أبو شعيبة والخليفة الخواض بن أحمد والخليفة بن محمد بن الفكي أحمد الخواض، واستمرت خلوة القراي عامرة حتى عام ١٩٨٩م على عهد الخليفة إبراهيم بن محمد بن أحمد، ومن تلاميذ الشيخ إبراهيم: قاضي قضاة السودان الأسبق عمر أحمد عبد الرحيم الخواض بديم القراي، واللواء الخواض محمد أحمد، واشتهر من الأساتذة الشيخ أحمد عبد الرحيم الخواض بديم القراي، ومنهم بكبوشية الشيخ عبد السلام القراي، وأبناء محمد أحمد الخواض، ومن أحفاد الشيخ القراي الشيخ محمد عثمان إبراهيم النعيم المشهور بالأموي، صاحب المسجد المشهور بالمتمة، واشتهر بالعلم، وله مكتبة عامرة بمنطقة المتمة[١٥٥].

وإلي الشيخ القراي ينتسب آل الخواض وآل كشه عبد السلام وآل سمساعة.

٥-آل الخَـــوَّاض: ينتسب آل الخواض إلي الحلنقة الجبرت، وهم أبناء أحمد الخواض الأموي بن الشيخ إبراهيم الخواض بن عبد السلام بن محمد القراي الصغير بن إبراهيم الخواض بن محمد القراي العجمي الكبير، ولد أحمد الخواض بقوز الفقراء حوالي ١١٨٥هـ/ ١٧٧٢م وسبب التسمية بالخواض فيه روايتان:

---

(١٥٤) ينظر موسوعة القبائل ، ج/ ، ص٢٢٦.

(١٥٥) الموسوعة ، ج/ ٢ ، ص٧٩٢.

الأولى وقد سـردها أحد الكتاب على لسـان الشـيخ المرحوم الدكتور/ مجذوب الخليفة (والي الخرطوم الأسبق) أن أجدادهم عندما هاجروا في فترة التنصير الأولى من منطقة هرر إلي منطقة الجعليين بمحاذاة النيل، وجدوا مياهه قليلة فخاضوها ونزلوا بجوار قرى الجعليين فسموهم الخواويض لخوضهم النيل.

أما الرواية الثانية: فقد أوردها الدكتور عون الشـريف قاسـم أن سـبب التسـمية هو أن خلافاً نشـب بين السـعداب [١٥٦]أبناء الملك سـعد حول أرض زراعية بجزيرة أبريق بالقرب من كبوشـية، ولما رأي الناس خطورة الخلاف أرادوا اسـتدعاء الشـيخ إبراهيم محمد القراي للتوسـط بين السـعداب الذين قاموا بإبعاد المراكب حتى لا يحضر الشيخ إبراهيم وتقوم الحرب، ولكن الشيخ إبراهيم وضع فروته على النيل وعبر إلي الجزيرة وسـط ذهول الجموع المصـطفة للحرب، وعندما وصـلهم الشـيخ اسـتقبلوه بحفاوة وقبَّلوا يديه وتنازلوا جميعاً عن الأرض ووهبوها للشـيخ فقبلها وأوقفها لخلوة القرآن التي اسـتمرت حتى اليوم، وقام الشيخ بإجراء الصلح بين السعداب، فأطلقوا على الشيخ لقب الخواض الذي أصبح اسماً للعائلة[١٥٧].

وقد أقطع الملك المساعد ملك المتمة قطعة أرض للشيخ إبراهيم بن عبد السلام عام ١٢٢٠هـ، وقد اشتهر أحمد الخواض برجاحة عقله ، فقد حذر السعداب والمك نمر من ارتكاب جريمة حرق إسماعيل باشا «ابن محمد علي باشا حاكم مصر»، ولكنهم لم يسمعوا رأيه، وكان هذا مما قربه للدفتردار صهر محمد علي باشا حيث قبل شفاعته في بعض المتهمين من السعداب بالاشتراك في مقتل إسماعيل باشا، وكان على ضبعة جد العمدة الحسن ود ضبعة[١٥٨] ممن نجا على يدي الشيخ إبراهيم الخواض، وعندما قرر المجلس الذي أقامته الحكومة التركية برئاسة خورشيد باشا إقالة بشير ود عقيد من منصبه كملك للجعليين بسبب ظلمه واسـتيلائه على الأراضـي لم تجد سـوى أحمد الخواض لتعيِّنهُ زعيماً لقبائل الإقليم بدلاً عن بشـير ود عقيد المخلوع، فقبل أحمد الخواض المنصب بعد تردد، وحتى لا تشغله السلطة عن الخلوة والعبادة أوكلها لابنه الشيخ الخواض وابن عمه أحمد الخضر، فسارا بالناس سيرة حسنة، ولما زار محمد علي باشا السودان أكرم أحمد

---

(١) سعداب : فرع من الجعليين يسكنون شندي والمتمة ، وهم ذرية سعد أبو دبوس بن عدلان بن عرمان، منهم الملك نمر وعبد الله ود سعد، وقد تولى سعد أبو دبوس زعامة الجعليين منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادي وقيل أنه مدفون بشندي المجازة وا ستمر الحكم في السعداب حتى بداية الفتح التركي حيث كان الحكام أولاد نمر، وقد تولى الملك نمر الحكم في شندي عام ١٨٠١م بعد أن نزع السلطة من المساعد ود سعد الذي اقتصرت شياخته على المتمة. ينظر : الموسوعة ج/ ٣ ، ص١٠٩٥.

(٢) الموسوعة، ج/ ٢ ، ص ٧٩٣.

(١٥٨) أولاد ضبعة من الجعليين العوضية ، والضبعة هي جدتهم وتسمى أم الحسن بنت محمد موسى بن دفع الله العوضي، وأولاد ضبعة من العوضية الموتاب، وأولاد ضبعة الكبار هم: علي ومحمد وأحمد الرزم، وأبناء علي ضبعة يزيدون على الخمسة وعشرين رجالاً ونساء ، وقد سكنوا الجوير، حيث سميت «جوير ود ضبعة» باسمهم. ينظر حمد الله: سهم الأرحام ص ١٩٥.

الخواص وأقطعه أرضاً زراعية قوامها ثلاثة ألف فدان، وكذلك فعل سعيد باشا حين زار السودان، وكان أحمد الخواص قد هرم وبقي والياً حتى وفاته عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٤م ودفن بقوز الفقراء، وأولاده هم: الشيخ الخواص النائب عن والده، ومحمد أحمد، وعبد الرحيم، وأحمد وعبد السلام، وعبد الله القراي، والشيخ وبرة، ومن البنات: ست البنات، وستنا وآمنه وحليمة زوجة التهامي جلال الدين وكيل حكمدارية السودان في عهد الخديوي إسماعيل[1591].

ويقيم أولاد الخواص اليوم في كل مدن السودان الشمالي خاصة ديم القراي وطيبة الخواص والعاصمة القومية وكبوشية وشندي، ومدني..

وقد أنجبت هذه الأسرة الكريمة عدداً كبيراً من العلماء والسياسيين والأطباء والمهندسين ورجال الشرطة والقوات المسلحة عملوا في كل ربوع السودان وفي خارجه، ولا يمكن لهذا البحث أن يعِدهُم ونكتفي بذكر البعض منهم:

- عمر أحمد عبد الرحيم قاضي قضاة السودان الأسبق.
- محمد أحمد الخواص عمل مأموراً بالداخلية (١٩٠٨-١٩٣٧م).
- اللواء الخواص محمد أحمد كان من قادة حكومة اللواء عبود.
- الدكتور تاج السر مصطفى عبد السلام ، ولد بكبوشية ١٩٤٧م وتخرج من هندسة جامعة الخرطوم، ونال شهاداته العليا من جامعة برمنجهام ١٩٧٦م عمل محاضراً بجامعة الخرطوم ووزيراً للاتصالات ١٩٨٨م ووزيراً للصناعة ١٩٩٣م ووزيراً للتجارة.
- الدكتور مجذوب الخليفة أحمد ، تخرج طبيباً في كلية طب جامعة الخرطوم، وعمل بالسياسة ، كان من قيادات الإسلاميين في عهد الإنقاذ، عُين وزيراً للدولة بوزارة التخطيط الاجتماعي، وتقلد عدة وزارات في عهد الديمقراطية الثالثة، ثم والياً للخرطوم عام ١٩٩٦م.

٦-آل كشة: ينتمون إلي آل الخواص من القراي الحلنقة الجبرتية، وانتشروا في مدن السودان المختلفة وتصاهروا مع الجعليين والشايقية والفونج والعبدلاب.. ويتواجدون الآن في كبوشية وديم القراي وحلفاية الملوك وأم درمان والخرطوم ومدني ورفاعة. وقد برز منهم رجال في عالم السياسة والعلوم المختلفة نذكر منهم:

---

(١) ينظر : الموسوعة، ج/ ٢ ، ص ٧٩٣.

- **سليمان كشه :**

نشأ في أسرة تعمل بالتجارة، وتنقل مع والده وهو طفل بين بربر ورفاعة ومدني والحصاحيصا وسواكن، لم يشغل المال والده عندما دعا داعي الجهاد في كرري فانضم إلي الأنصار واستشهد في كرري، لأن الجبرتية يجري حُب الدين في عروقهم مجرى الدم، وكفله خاله الحاج محمود المكي [١٦٠] سر تجار مدينة مدني، درس تعليمه الأولي والأوسط بسواكن ومدني ١٩١٧م، عُرف بسعة الإطّلاع والقراءة، وكان مهموماً بقضايا الوطن السياسية والاجتماعية، وأصبح يتجول بين بورتسودان وسواكن وكانت له أعمال مع أبي فاطمة باكاش، ثم وسَّع من دائرة علاقاته لتمتد إلي كوستي وتندلتي وسنار وأم روابه والغبشة والقضارف، وكان على صلة بالأدباء والسياسيين والتجار، واشتهر بالكرم، وكان على اتصال بالجمعيات السياسية السرية منذ عام ١٩١٧م وكان يدعمها سياسياً ومادياً، وكان يكتب في الرائد وحضارة السودان، فأخذ قلم المخابرات الحكومية يراقبه، ولكنه لم يأبه وأنضم عضواً مؤسساً لنادي الخريجين بأم درمان فكان الخطيب والمحاضر فيه، وانتقل إلي الجزيرة ليعمل في تجارة المحاصيل ، وكان من مؤسسي جمعية اللواء الأبيض وكان يمدها بالمال سراً، واكتشفه الإنجليز، كما ساهم في إيفاد بعض الطلاب إلي مصر مثل بشير عبد الرحمن وتوفيق

---

(١٦٠) أشتهر الحاج محمود المكي في السودان، وكان من أشهر تجار المهدية، سافر إلي الحجاز والهند ومصر في تجارته، واستقر بود مدني وأصبح سر تجارها، وذكره صديقه بابكر بدري في مذكراته، وكان من المحسنين وكبار التجار في بداية القرن العشرين. (ينظر: سليمان كشة: سوق الذكريات، ص ٤٥).

البكري، وكانت له مجالس أدبية مع خليل فرح وتوفيق صالح جبريل[١٦١] ومكاوي يعقوب[١٦٢] وإبراهيم المقبول، ومحمد أحمد البرير[١٦٣] وعبد الرحمن جميل وغيرهم من صُناع الاستقلال في السودان وعندما نشبت ثورة ١٩٢٤م في الخرطوم كان في رفاعة، ووقف مع قيادتها وأعان أسر المتضررين مع زملائه، وفي عام ١٩٢٧م انتقل إلي سنجة وازدهرت تجارته ولكنه تضرر اقتصادياً عقب الأزمة الاقتصادية التي ضربت العالم بعد الحرب العالمية الأولى، فانهار سوق المحاصيل، وعاد إلي العاصمة ليعمل في سوق الو ساطة التجارية، ولم تتحسن أحواله، وأصدر عام ١٩٣٢م مجلة مرآة السودان، ووهب حياته للصحافة وأتاح فرص النشر للأدباء الشباب، وكشف مؤامرات الإنجليز ضد السودان، ودبروا له مكيدة وحاكموه وسجنوه، وخرج من السجن في حالة يرثى لها، ومنذ عام ١٩٣٥م أخذ يعاني قساوة الحياة ومطاردة المستعمرين حتى استقل السودان، فأخرج مرآة السودان مرة أخرى، ولكنها لم تعش طويلاً لضعف القدرة

---

(١٦١) توفيق صالح جبريل (١٨٩٥-١٩٦٦م) ولد بجزيرة مقاصر بدنقلا ، وجده جبريل كنزي من الشلال، هاجر إلي أرض المحس عاملاً بالنقل النهري أيام الحكم التركي، وتزوج محسية تدعى كلثوم عبد الله، أنجب منها أبناءه ثم انتقل إلي جزيرة مقاصر، وعند الفتح الإنجليزي المصري انتقل بأسرته إلي أم درمان، حيث أنشأ والده خلوة جمعت بين الصبية والبنات، بدأ توفيق تعليمه وتلقى التعليم على أيدي أساتذة خصوصيين، والتحق بقسم العرفاء بكلية غردون، وتخرج مُدرِّساً عام ١٩١٦م وعمل بمدرسة الأبيض الأولية ثم استقال وعمل بالتجارة ثم التحق بوظيفة حكومية بالدامر فتحت أمامه الطريق لمدرسة المآمير عام ١٩٣٣م وتخرج منها مأمور في نفس السنة، وتنقل في كثير من مدن السودان، وكان من أوائل الذين اشتركوا في حركة اللواء الأبيض، وناصر ثورة ١٩٢٤م وقاوم الإنجليز فعادوه، ولكنه واصل كفاحه الوطني وخَلَّدَ شهداء الوطنية في شعره، وأحيل للمعاش بقرار طبي عام ١٩٥١م، فجاء شعره قمة في الإبداع والصدق، وصدر له ديوان شعر مطبوع حققه الدكتور أبو سليم والأستاذ محمد صالح حسن في أربعة أجزاء، وكتب عنه محمد عثمان يس كتاباً، كما كتب عنه الدكتور هنري رياض، ومن أخوانه إبراهيم صالح جبريل الذي عمل سكرتيراً بمكتب السكرتير الإداري لحكومة السودان (١٩٢٢-١٩٤١م).ينظر: محجوب باشري: رواد الفكر السوداني، ص ١٠٦-١٠٨.

(١٦٢) مكاوي يعقوب: (١٨٩٥-١٩٤٣م) من المحس، تخرج في كلية غردون مهندساً وكان الشعر روح حياته، ضمت حلقته: توفيق صالح جبريل وعابدين الخانجي، وعبد الرحمن شوقي، وأحمد محمد صالح ، وقعد مجالس فوز، وكان وطنياً غيوراً لم يهادن المستعمر، ظهر ديوانه في الثلاثينيات، حاربه الإنجليز في رزقه، تردد في أيامه الأخيرة بين مصر والسودان وهو يعاني من المرض والإعياء، ونشر بعض قصائده في جريدة البلاغ ومجلة الصباح. ينظر: محجوب باشري: رواد الفكر السوداني، ص٣٧٢-٣٧٤.

(١٦٣) محمد أحمد البرير: وهو من آل البرير من الجبراب الجعليين.

المالية، وعندما ظهرت الثورة عقب انقلاب عبود ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م كتب فيها تحت عنوان«سـوق الذكريات» نشرها فيما بعد في كتاب يحمل أفكاره وحبه لوطنه الغالي وآماله العريضة في أن يراه وطناً مرفوع الرأس يعانق الثُريا، وهكذا كان سليمان كشة الجبرتي المناضل من أجل دينه ووطنه رحمه الله.

ونكتفي بهذا القدر من النماذج الجبرتية لاسـيما وأن الحديث عن الجبرته حديث لا يمل ولا ينته لأنه حديث عن رجال وهبوا حياتهم لهذا الدين وعاشوا لأجله، ولا يهمهم بعد ذلك أي أرض تقلهم وأي سماء تظللهم، ولسان حالهم يردد مقولة الشاعر محمد إقبال:

فأي أرض بها الإسلام لي وطن وأي أرض بها الإسلام تلقاني



■ الجبرتة (الجبرت) التاريخ العراقة والمؤثرات بالسودان



إعداد/ الدكتور سيف الإسلام بدوى بشير
أستاذ التاريخ المشارك بكلية الآداب
والباحث بعمادة البحث العلمي ـ جامعة النيلين

توطئة:

يجئ مصطلح لفظة « جبرت» من الفعل جبر الشيء إذا أصلحه وقومه وجبر الرجل أخاه إذ أعانه على شيء أو في مق من مواقف الشدة وجبرت نسبة إلى مدينة ودولة « أيفات العريقة» أو « أوفات جبرت» أو إيفات جبره أو كما ورد عند البعض « أمارة جبرت» وهى من اكبر ممالك وسلطنات الطراز الإسلامي في شرق إفريقيا ـ كما سيرد ـ.بالدراسة لاحقاً وفى موضعه.

أولاً : العلاقات المبكرة للجبرت بالحبشة :

وفى الواقع عند التناول للإسلام ومؤثراته العميقة في بلاد الحبشة خلال فترة القرنين الثالث والسابع الهجري (العاشر والثالث عشر الميلاديين) ، تبرز شوا كأول مشيخة إسلامية وكيان سياسي تناولته الروايات التقليدية ، التي يعزي أمر تأسيسها في العقود الأولى من القرن الثالث عشر الميلادي إلى «ود بن هاشم المخزومي » المهاجر على بلاد الحبشة من أرض الحجاز على عهد الخليفة الراشد سيدنا (عمر بن الخطاب)

إذ شكلت أمارة شوا الإ سلامية بامتداد أرا ضيها إلى الـ شرق من نهر الأواش متـ ضمنة الـ سفوح الـ شرقية للهضبة إلى الأراضي المنبسطة من مقاطعة شيرشر (Chercher) الحالية عقبة أمام المد المسيحي جنوباً إلى حين ضـمها بعد سـلسـلة من التنافس التجاري والنزاعات الحربية على يد السـلطان «عمر ولاشـما » (Walshma) صـاحب أوفات السـلطنة المسـلمة الناشـئة الفتية بالمنطقة ولقد شـهدت الأنحاء الشـرقية والجنوبية الشرقية من بلاد الحبشة انبعاثاً لعدد من السلطانات الإسلامية والتي كونت فيما بينها ـــ كما أشار إليها ابن فضـل الله العمري ـــ شـريطاً سـاحلياً يحول بينها مجتمعة وما بين البحر الأحمر فيما يشـبه الطراز الإسـلامي وقد حوى هذا السياج الواسـع الامتداد والانتشـار من السـلطنات كل من عدل (Adal) ومورة (Mora) وهوبات (Hobat) وجيوبا (Juba) وأخرى شملت المناطق والأقاليم ببلاد الحبشة كل من دارة (Dara) وشـرخا (sharka) وأريابيني (Arbabni) و «ايفات/ اوفات» (Ifat) وفتيجار (Fatjar) وهادية (Hadya) «ودوارو» (Dwaro) وبالي (Bali) [١٦٤].

وما شـهدته وقتئذ من نطاق جغرافي أحاط بالمملكة الأثيوبية ، إذ صـاحب اسـتحواذ سـلطنة أوفات الإسلامية على مناطق النفوذ التي كانت تابعة لسلطنة شوا الإسلامية وضمها للسلطان والنفوذ التباع لها. مما اكتسابها مميزات تجارية في التحكم والإشراف على حركة القوافل و ضبط وإدارة طرق التجارة الرئيسية منها والفرعية الممتدة من والى الأقاليم الداخلية من بلاد الحبشـة. وهى التي غلبت عليها تبعية وسـيادة مشـيخة عدل الإسلامية فيما بعد واتخاذها لمدينة هرر محوراً بديلاً ومركزاً للنفوذ والسلطان بالمنطقة[١٦٥].

وكانت تلك السـلطات الإسـلامية قد تفاوتت كماً وكيفاً من حيث النواحي السـياسـية والاقتصـادية والعسكرية إذ أن هناك ما يشبه الإجماع على مشيخات أوقات وهادية وبالي باعتبارهما الأغلب ريادة وحيوية في هذا المجال من بين بقية الدويلات الإسلامية الأخرى دورو واربياني و شرخا والتي و صفت بضآلة الحجم وقلة الأهمية ولقد أطلقت المصـادر العربية على هذه الممالك الإسـلامية مجتمعة مصـطلح (بلاد الزيلع) ليشمل مشيخات كل من أوفات ودورو وأربابيني وهادية وشرخا وبالي وداره[١٦٦].

---

(١٦٤)(العمري ، شـهاب الدين بن أحمد بن يحي بن فضـل الله ، مسـالك الأبصـار في ممالك الأمصـار ، (مخطوطة مصـورة على الميكروفيلم ، أديس أبابا – معهد الدراسات الإثيوبية . I.E.S) .

(١٦٥)(القلقشندي ، مروج الذهب ، ج٥ ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة ، ص ٧ – ٨ ، ٨ ن طرخان ، إبراهيم ، « الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة » ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، لسنة ١٩٥٩م ، المجلد الثامن).

(١٦٦)محمد أحمد جمعالة ، « مملكة أوفات الإسـلامية في منطقة القرن الأفريقي » (رسـالة ماجسـتير في التاريخ الإسـلامي الأفريقي ، رمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ١٩٨٥م .

ولقد كان لذلك التنافر والتناحر نتائجه الملموســة على الوضــعية الســياســية لمجموعة دويلات الطراز الإســلامي والتي كانت قد أخفقت على المدى البعيد في أن تشــكل فيما بينها رباطاً أو اتحاداً قوياً فيما عدا سلطنة أوفات وما توصلت إليه من النجاحات في أعقاب الاحتواء المباشر وضمها في عام (١٢٥٨م) لسلطنة شوا الإ سلامية العريقة بالمنطقة وبدأ التو سع بعد ذلك في كافة المناطق والأنحاء المتاخمة حول سلطنة عدل الإسلامية وميناء زيلع وكانت تلك الجهود المبذولة لجمع الأطراف المتناحرة بالسلطنات الإسلامية بعد مرحلة من الفرقة والشـتات قد أثمرت على عهد السـلطان عمر ولاشـما في القيام باتحاد متماسـك ومؤثر بالمنطقة وقد ترتبت على تأسـيسـه وقيامه جملة من النتائج والتبعيات الايجابية والسـلبية والتي جاء من بينها امتداد النفوذ الإ سلامي للسلطنة جنوباً وغرباً إلى المناطق المتاخمة من البحر الأحمر والمناطق المجاورة من الساحل الشرقي لأفريقيا منذ السـنوات المبكرة للقرن التاسـع الميلادي مكتسـبة بذلك المزيد من القدرة والمرونة في الحركة التجارية وبمعاونة التجار من العرب «والجبرت» (عباد الله) ا ستطاعت بـ سط سلطانها التجاري في البحر الحمر والمحيط الهندي ولقد أثارت تلك السيا سيات الايجابية من السلاطين المسلمين حفيظة البلاط المسيحي مما دفعه لاتخاذ سيا سات عدائية تجاه السلطنات الإ سلامية وبخا صة أوفات وعمل على أ ضعاف ما تمتعت به من نفوذ قوي ومتماسك بالمنطقة ثم دخلت في حرب ظلت متصلة على مدى السنواءت اللاحقة في اقرن الرابع عشر الميلادي لإرغام زعماء المشيخات الإسلامية المتحالفة للاذعان والخضوع للبلاط الحبشي وظل ذلك طوال العهدين الزغواي (١١٣٧ ـ ١٢٧٠م) والسليماني (١٢٧٠م) [١٦٧].

وكان السلطان عمر ولا شما قبيل وفاته في سنة ٧٠٠ هجرية قد ا ستخلف على العرش أبناؤه وهم (بزو) «وحق الدين الأول» «و صبر الدين محمد» وذلك للنهوض بسلطة الحكم بإمارة أوفات والجهاد والتصدي لهيمنة و صلف المسيحيين من الأحباش ولقد أ شتهر هؤلاء السلاطين شأن أ سلافهم القر شيين الأوائل من بني عبد الدار من نـ سل «عقيل بن أبي طالب» بالتقوى والـ صلاح وبالـ سطوة والجبروت وبعدم الانـ صياع في طواعية لنفوذ واسـتبداد السـلطة المسـيحية السـليمانية الحاكمة بمقاطعة أمهرة . لاشـك أن سـلطنة أوفات الإسلامية قد اكتسبت موقعاً استراتيجياً متميزاً بانتقال مركز السلطة من أوفات المدينة ، إلى الجنوب الشرقي عند مقاطعة شوا . بالمنطقة الممتدة قبالة هضبة هرر وكان يطلق على المناطق الجنوبية من الأراضي المرتفعة

---

(١٦٧)المقريزي، الإلمام ، ص ١٠ – ١١ ، ١١ ، شرحه كتاب السلوك لمعرفة الملوك (نشر محمد مصطفي زيارة ، طبع لجنة التأليف ، القاهرة ،١٩٧٥م) ج١،القسم الأول ، ص ٩١٦ ، حاشية ٣ ، رياض، زاهر ، الإسلام في إثيوبيا ، ص ٨٧ – ٨٨ – ٨٨ .

من بلاد الحبشة باتجاه الشرق إلى أقاصي المحيط الهندي المصطلح الجغرافي «بر سعد الدين »وقد ورد هذا المصطلح و صفاً وتحديداً عند كل المؤرخين «المقريزي» و«عرب فقيه »باعتباره مركزاً ومقراً لسلطنة عدل الإسلامية(١٦٨).

ومما لا شك فيه أن سياسات الإكراه التي كان يمارسها البلاط الإثيوبي قد دفعت بالسلطة المسلمة للجؤ بعيداً إلى بلاد اليمن للحماية، الأمر الذي يعطي انطباعاً لعلاقات عميقة الجذور بين الطرفين المسليين وذلك منذ عهد السلطان اليمني «أحمد بن الأشراف إسماعيل »ووعد لهم بالمناصرة والدعم اللازمين.والذي سار علي نسقه السلطان اليمني الناصر إسماعيل (١٤٠٠ ـــ ١٤٢٤م) بقصد التوطيد للمركز السيادي للأمراء من أسرة ولاسيما في التصدي للبلاط المسيحي والتعضيد لجهادهم(١٦٩).

ثانياً: الجبرت : التجارة: والنشاط التجاري

وفيما يتصل بالتجارة والقوافل التجارية فقد لعب التجار الجبرت دورهم التجاري كو سطاء ومروجين للسلع والبضائع التجارية الأثيوبية وتلك المستجلبة من البلدان والمناطق الأخرى فيما وراء البحار. وكان البن الهرري والصتف التجاري الآخر منه والمستجلب من مقاطعة كافا (Kafa) بالجنوب إلى جانب الذهب والعاج والتوابل والرقيق وعطور الصومال من الصادرات التجارية الهامة لبلاد الحبشة عبر ثغور البحر الأحمر وموانيه الساحلية والتي أسهمت بالمقابل بدورها في السنوات التالية من عام (١٨٠٠م) إلى عام (١٨٧٥م) في الحصول على جملة من العروض التجارية الهامة. من قبيل الحراير والسيوف وبن مخا «وبرادة النحاس» وخلافها من البضائع التجارية الواردة من مناطق الهند وحضر موت وبلاد اليمن. وغيرها من البضائع التجارية الواردة والمستجلبة من جنوب ساحل شرق أفريقيا من أصناف البهار والتوابل والعنبر والأرز والتبغ والسكر والنارجيل. ولقد ظلت التجارة شأنها شان الزراعة تمثل مورداً هاماً لاقتصاديات المشيخة المسلمة. حيث كانت القوافل التجارية التابعة للتجار لا تكف عن التردد ذهاباً وإياباً في تواصل وحركة دائمة الاتجار بين الأقاليم الداخلية وحول إقليمي شوا في الوسط والأوقادين في أقصي جنوباً(١٧٠).

---

(١٦٨)القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٤١ ، ٤ ، ٣ ، الجمل ، شوقي عطا الله ، « الإمارات العربية على ساحل أفريقيا الشرقي نشأتها وطبعها الحضاري» ، مرآة العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، لسنة ١٩٥٩م) ، ع (٤ ، ٥) ، عرب فقيه ، فتوح الحبشة ، نشر رينيه باسيه ، القاهرة ، ١٨٩٧م ، ج١، ص ١٦ ، المقريزي ، الإلمام ، ص ٦– ٧ ، ٧) .

(١٦٩)المقريزي ، الإلمام ، ص ١٤ ، ٣١ – ٣٢.عرب فقيه، فتوح الحبشة، ج١ ، ص ٥ ، ٥– ٦ . المقريزي ، الإلمام ، ١٤ ، ١٥ – ١٦ ، ١٧ ، ١٨.

(١٧٠) M.Abir,Ethiopia:The Era of the Princes,(London,١٩٧٠)P. ٥.

وتجئ مشـــاركة وإســـهامات الجنســـيات والأجناس المختلفة الأخرى من التجار من دون الهررين والجبرت في هذا الميدان التجاري بالمشيخة دليلاً على الانتشار والتشعب فقد أسهمت في اتساعه وتفاعله جماعات أخرى من العرب والمصـــريين والســـوريين وغيرهم من الوافدين من التجار إلى الإمارة من مناطق وبلدان الهند وحضـــرموت باليمن ممن نالوا الشـــهرة كصـــيارفة وذاع صـــيتهم التجاري في العمل كوكلاء ومموليـن تجاريين قد حازوا السـبق في الاشـتغال وإدارة حركة التجارة والاتجار في بلاد الحبشـة فقد وردت الإشـــارة إليهم في الاتجار والترويج للعديد الصـــادرات المحلية وتلك الواردة من بلدان «الهند» والصـــين وسيلان ومصر وسوريا والخرى المستجلبة من أنحاء ومناطق الشرق الإسلامي إلى جانب العمل على تقوية ما كان قائماً من علاقات وروابط للوصول التجاري بينهم و بلاد الهند .

ولعل في إجادة البعض من التجار المســلمين ومن بينهم الجبرت (عباد الرحمن) لمختلف اللغات واللهجات الأجنبية المتباينة ما ساعدهم على التجوال والتنقل بالداخل وضاعف من إمكانية التوصل في سهولة ويسر إلى عقد وإبرام العديد من الصـــفقات التجارية بمختلف الأقاليم الداخلية من بلاد الحبشـــة. فهم لايقلون مكانة عن رصـــفائهم من جماعات «الحضـــارمة» و طائفة «الكارمية » (الكاتمية) وتجار بلدان غرب إفريقيا من الكانم والتكرور، بحسنانهم من أنشط الجماعات في مجال الدعوة للدين الإسلامي وتعاليمه وقيمه والاشتغال بالتجارة والاتجار داخل بلاد الحبشة وعبرها إلى بلدان العالم الإسلامي والشرق الأسيوي خلال القرنين السادس عشر وأوائل القرن الســابع عشــر الميلاديين فقد اتصــفوا بالورع والتقوى والتمســك بقيم الدين الإســلامي وآدابه في التعامل التجاري من أكثر الدعاة المســلمين قبولاً واســتحســاناً بالأقاليم المتباينة داخل أرض ومناطق بلاد الصـــومال حيث كانت تفد إلى المنطقتين ســنوياً جماعات منهم للاشــتغال بالتجارة وبث الدعوة للدين والعقيدة معاً[١٧١]. ولقد اتسمت التجارة والحركة التجارية في بلاد الحبشة وقتئذ كالعهد بها في السابق بأنها قد كانت حكراً على جماعتي العرب والجبرتة وغيرهم من المســلمين من دون الاشــتغال أو المشــاركة من جانب المســيحيين، والذين كما كانوا يعتقدون أن مشــاركتهم قد تعرضــهم إلى العداوة والاســترقاق في بلدان المســلمين وديارهم وبالأخص عند شبه جزيرة العرب والسودان ومشيخة هرر الإسلامية لما يشاع بتلك المناطق والأقطار هنالك من رواج تجاري متعاظم ونشــط في الرق وتجارة الرقيق علاوة على ما كان للجماعات الأخرى من التجار المصريين والجبرت والسوريين والأرمن والإغريق. من نشاط تجاري متعاظم ومقدر[١٧٢]. وعلى نفس النسق

(١٧١)الحيمي ، الحسن بن احمد ، سيرة الحبشة ، تحقيق مراد كامل ،

(وزارة التربية والتعليم ، د.ن .، ١٩٥٨ ، ص ٣١٢ ، الســيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن ، ازدهار العروش في أخبار الحبوش ، مخطوطة مصورة علي الميكروفيلم ، أديس أبابا ، معهد الدراسات الأثيوبية. I.E.S)، المقريزي ، الإلمام ، ص ١٦-١٧، ١٧ .

(١٧٢)احمد، يوسف، الإسلام في الحبشة،مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٩٣٥، ص ٥٩.

من الفاعلية والمنفعة المتبادلة بين أطراف الحركة التجارية ، كان للجبرت القدح المعلى في هذا الإطار والجانب ،

فقد تجلى دورهم مقترناً بالثروة والمنفعة والجاة تجارياً، والذين انبروا للإسهام فى تكاتف لإدارة وضبط النشاط التجاري للدواخل الإثيوبية بمقاطعات وأقاليم الغرب والجنوب الغربي وخارجياً بالتسير للقوافل التجارية من والى مصر والسلطنة الإسلامية بسنار وعبرها إلى الموانئ الملاحية لكل من سواكن و مصوع وعيذاب على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر وسواحله، والعودة فى رحلة الإياب إلى مدينة سنار وهى محملة بالمتنوع من منتجات الر فاهية من العقود والملابس والمعادن والسيوف والخملات (نسيج وبر الجمال الإثيوبي) والأ سلحة النارية والترويج والتبادل بالذهب السناري المجلوب من دواخل سنار وإقليم فازوغلى إلى جانب الكميات الأخرى المستجلبة من مقاطعة « ولقا»[١٧٣]. مما اوجد أر ضية صالحة للنهوض بأعباء التجارة والتبادل التجاري يساعدهم في ذلك من العوامل عامل الدين واللغة والعقيدة[١٧٤].ولذا فقد كان أمرا طبيعيا أن يجيء الانفتاح الخارجي لإثيوبيا عالميا في مجال التجارة قائما عليهم اعتمادا وتكليفا فخبرتهم عموما وإلمامهم بالغير من اللغات قد أفادهم كلية في التنقل وأوفر لهم بدوره قبولا واستحسانا فيما وراء الحدود بين الغير من الأوساط والأمم الأخرى كوكلاء ومفوضين تجاريين[١٧٥].

ثالثاً : الجبرت والدور الدعوى بالحبشة :

وعند الوقوف على المسلمين وأوضاعهم في المتأخر من السنوات دعوة وانتشاراً ، تبرز بادي ذي بدء شخصية العارف بالله الفقيه « أبادير » كأشهر الدعاة صيتاً في النهوض بالدعوة للإسلام بالمنطقة والعمل علي نشره بين السكان المحليين ، وغيرهم من القبائل الوثنية الأخرى. الذي لا تقل منزلته في أهمية عما ناله وكسبه الشيخ الداعية «إبراهيم حاكم» من المكانة والشهرة. كما كان لهم الفضل بالتدرج بالإسلام وانتشاره بمناطق جماعات قبائل العفر (الدناكيل) عل المناطق الشرقية من البلاد الذين يدعون الانتماء إلى جماعة من المهاجرين العرب وقد كانت لهم في السابق دولة إسلامية مركزية بالوسط، والغالب على العفر الإسلام

(١٧٣)عرب فقيه، شهاب الدين احمد، فتوح الحبشة، ترجمة وتحقيق رينيه باسيه ، أعده للنشر فهيم محمد شلتوت، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ج١، ص ٧٤ـ٧٥،٧٥.

(١٧٤)نفس المصدر، ص ٩٣ـ٩٦.

(١٧٥)المقريزى، احمد بن على، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام،القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٥ـ١٦.

والتعلق في ورع بقيمه والتخاطب باللغة العربية ولهم دورهم الجهادي البارز على عهد الإمام أحمد بن إبراهيم بين عشائر « الساهو» الذين أيضاً يدعون الانتساب إلى أ صول عربية مهاجرة من بلاد الحجاز ومن قبيلة قريش بصفة خاصة كأحفاد منحدرين من القرشيين [١٧٦].

وما كانت عليه النواحي التجارية والثقافية من انسجام وانسياق كاملين ، يمكن تلمسه عند التطرق للعلاقات المتطورة للجبرت وغيرهم من المسلمين بالحبشة ببلدان العالم الإ سلامي. فقد تمخضت روباط الود والتآلف بين الطرفين الإسلاميين ، في ميدان الدعوة والثقافة، عن انبلاج وقيام العديد من الدور والأروقة الرحبة الفناء والمخصصة بما حوت من الوسائل الملائمة للإطلاع والعلم والمعرفة والتحصيل ، لكافة الطلاب وللوا فدين ، فقد مثل « رواق الجبر تة» آ نذاك ، المنبع للعد يد من ا لد عاة والعلماء والفقهاء المشهورين وعلي رأسهم الشيخ والإمام الزيلعي « فخر الدين عثمان » المتوفي في عام (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) والمحدث الزيلعي الشهير « جمال الدين عبد الله بن يوسف » المتوفي في العام (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م) والفقيه « علي الجبرتي » المتوفي في عام (٨٨٩/ ١٤٩٣م) . والشيخ « حسن بن برهان الدين الجبرتي » وابنه المؤرخ الذائع الصيت « عبد الرحمن الجبرتي » الذي استندت إليه مهمة الضبط والإدارة بالداخل والنهوض بأمر طلاب الرواق و سدانته. وكان الزيالعة من أكثر الراغبين في العلوم الدينية والتفقه فيها وانتشارها وتحصيلها بالمدارس المتخصصة بالمدينة المنورة والقاهرة ودمشق والتي كانت قد ضمت بو سطها رواقاً رحباً جامعاً ومخصصاً لهم بالمسجد الأموي العتيق يحمل اسمهم[١٧٧].ولقد أتت تلك الجهود الدعوية المتداولة للفقهاء وا لد عاة الجبر تة ولنظرائهم من الهرريين والز يالعة لاحقاً ثمار ها في مختلف الأنحاء والأ قاليم الداخلية من بلاد الحبشة ، فقد شهدت بفضلهم أقاليم الشرق والجنوب الشرقي من البلاد خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، نهضة إسلامية متميزة ثقافياً وحضارياً مؤثرة وعميقة الجذور بالمنطقة . ظلت حتى عام (١٨٨٥) مثاراً للدهشة ولجذب الانتباه بالنسبة لزائري المنطقة من الرحالة وغيرهم من المكتشفين الأوربيين للإ شارة إليها في تقاريرهم الخا صة إليهم والى ما لديهم من صلات وثيقة ومؤكدة بالحرمين الشريفين بالحجاز وإلي جماعة الدعاة والفقهاء منهم ولإعدادهم المتزايدة والمنتشرة بكل

---

(١٧٦) Trimmingham, J.S., Islam in Ethiopia, London, ١٩٥٢ PP., ١٧٧-١٧٩, ١٧٩.

(١٧٧)عبد الجليل، الشاطر بصيلى، معالم تاريخ سودان وادي النيل، من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر للميلاد، مطبعة أبو الفاضل، القاهرة، ١٩٥٥، ص ١-٦٧ .

من مدن وأقاليم زيلع وبربرة علي الســاحل وبين مختلف العشــائر والقبائل الصــومالية الأخرى المقيمة والمستوطنة علي الجوار[١٧٨]. وكانت مدينة هررقد نالت الشهرة وذيوع الصيت كمعقل لإعداد وإيفاد الدعاة والفقهاء من الهررين والجبرتة وغيرهم من المتفقهين فى العلوم الإســلامية إلى مختلف الأقاليم القريبة من الجنوب الشرقي والى الأقاصي النائية من إقليم الأوجادين[١٧٩].

رابعاً: العنصر الجبرتي وامتداد بالسودان:

نسـبة للتداخل الجغرافي والحدودي بين السـودان وإثيوبيا فقد يصـبح من الصـعب التحديد قطعياً امتداد والتغلغل إلى الدواخل من بلاد الـسودان والذي غالبا انه قد جرى تدريجيا ومنذ أزمان وحقب تاريخية مبكرة سابقة للعام ١٥٠٤ والذي شهد مولد وانبثاق سلطنة الفونج الإسلامية على امتداد إقليم الصعيد على الحدود الغربية المتاخمة لبلاد الحبـشة والذين أ شير إلى أنهم ينحدرون من أ صل حبـشي أو امتداد لجماعات مـسلمة مهاجرة من بلاد الحبشة[١٨٠].

انتشــر الجبرت بالســودان (بلاد الســودان) منذ انهيار دولة الجبرت ومقتل الإمام أحمد إبراهيم الغازي . وا ستقر الكثير منهم مع القبائل التي سكنوا معها أو جاوروها . وخلال القرنيين الـسابقين عندما بأت الـسلطات الإثيوبية البطش بالجبرت والعمل على تنـصيرهم قـسيراً لاذت بالفرار العديد من جماعاتهم وقراهم سالكت طرق القوافل التجارية المعهودة وقتها وأودية الأنهار التابعة لنهر القاش وعطبرة وستيت والنيل الأزرق باتجاه الدواخل من السودان والى مصر وغيرهما[١٨١].

وبما أن مصطلح الجبرتي يقصد به الإسلام ، لم يكن هنالك حاجة في التعريف به وسط القبائل والجماعات الجبرتية المهاجرة .إلا أن بعض الأسر احتفظت باسم الجبرتي كاسم للأسرة لفترات طويلة ، ولعدم التواصل افتقد الاسم لعدم تضمينه كاملا في الوراق الثبوتية الحديثة .

---

(١٧٨)مكي، شبيكة الطيب، مملكة الفونج الإسلامية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٨ – ٢٠، شرحه: تاريخ ملوك السودان، الخرطوم، ١٩٤٧ .

(١٧٩)احمد، يوسف، الإسلام فى الحبشة،مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٩٣٥، ص ٥٩ .

(١٨٠)Crawford, O. G. S, The Funj Kingdom of Sinnar, Gloucester, ١٩٥١,P.١٨٢ .

(١٨١)يوسف فضل حسن، دراسات فى تاريخ السودان، دار التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥، ص ١٤ -٦٤.

سميت بعض المجموعات الجبرتية من قبل من استضافتها من القبائل أو الفري القبلية مثل الخواويض . وهم كما ذكر الشيخ المرحوم مجذوب الخليفة (والي الخرطوم في فترة سابقة) أنهم هاجروا في فترة التنصير الأولى من هرر، وصلوا إلي منطقة الجعلين بمحاذاة النيل . وكانت مياه النيل حينها قليلة يمكن خوضها في تلك المنطقة ، فخاضت المجموعة النيل واستقرت بجوار القرى، وأصبح أهل القري ينادونهم بالخواويض،نسبة لعبورهم المياه خوضا . فتغير تسميتهم من الجبرت إلي الخواويض، ولم يعترضوا كما ذكرنا لأنهم وسط المسلمين ولا يحتاجون إلي اسم الجبرتي الذي يميزهم عن النصارى.

أما فيما يتعلق بقبيلة « الحلنقة» فى الشرق فهنالك من الروايات بأنها « جبرتية» بكاملها وقد كانت بدايات هجراتها من سلطنة «هرر» واستقرت فيما بعد بكل من مناطق « كسلا» و« القاش» فى الفترة التي شهدت تمددا فى الدولة الجبرتية بمنطقة «التاكا». وتعنى لفظة « حلنقى» باللغة الإثيوبية « الكرباج أو سوط الراعي» وهو ما تعارفوا به ولقب تربو عن المائة عام والراجح أنها من الجماعات الجبرتية، الرعوية إلى آثرت الهجرة والابتعاد والنائى بنفسها عن السلطات الإثيوبية وغلوائهم[١٨٢]. والثابت ان العديد من الجماعات المهاجرة من الجبرت قد آثرت الاختلاط والانصهار بالقبائل المتواجدة إلى الغرب من اريتريا وبشرق السودان من الهدندوة والبني عامر بدرجة من الخصوصية ربما يغزى ذلك لعوامل التشابهة الجغرافي والطبوغرافية بين المنطقتين (المقاطعات الغربية من إثيوبيا قبالة مناطق شرق السودان) أو ربما لمقتضيات التداخل السكاني والذي ظل يجرى منساباً ولعدد من الحقب التاريخية، عبر الفواصل القائمة كحدود بين الدولتين المتجاورتين[١٨٣]. عموماً لقد أدى ذلك التمازج والانصهار إلى ذوبان العناصر من الجبرت تدريجياً وتغير مسمياتهم فعرفوا « بالأشراف» وهو المصطلح السائد الأغلب شهرة وذيوعاً و « الحماسين» أو قبائل الحماسين و« الجبرتاب» ، والراجح أيضاً أن اختلاط الجبرت لم يكن قاصراً على الجماعات العشائرية المشار إليها فحسب ، بل امتد ليشمل إلى جانب البني عامر والهدندوة ، الأرتيقة والحباب والجعلين والآخر من القبائل سوى في الداخل أو إلى جهات الغرب الإفريقي من « الهوسا والصكتو والتكارنة والبرنو والفلاتة[١٨٤].

كما أن هنالك قصصا تروى عن منطقة(ديم القراي) بمناطق الجعلين، بأن اسمها هو (ديم التقراي) وتغير ذلك لغرابة الاسم في المنطقة ولعموم التعصب وكره المجتمع السوداني للحبشة في فترة المهدية ،فغيرو الاسم إلي القراي نسبة إلي شيخهم القرئ أي معلم القران وعلومه وهو جبرتي أيضا[١٨٥].

---

(١٨٢)الجبرتى، عبد الله نور إبراهيم ، السودانيون الجبرت، ٢٠١١، ص ص ٥٠-٥٣. .

(١٨٣)Trimingham,J.S., Islam in Ethiopia,١٩٦٥,PP.٢١٩-١٩, ٢٢٠ and notes١, ٣..

(١٨٤)Bahru, Zewede,AHistory of Modren Ethiopia, AddisAbaba and London, ١٩٩٧, P.١٩.

(١٨٥)الجبرتى، عبد الله نور إبراهيم ، السودانيون الجبرت، ٢٠١١، ص ص ٥٠- ٥٣.

خامساً: البعض من معالمهم وأعلاهم في السودان:

أ) وفى هذا الصدد يذكر أن من بين المعالم التي لازالت شاهدة على الجبرت آثارهم وتاريخهم بالبلاد قبة لشيخ جبرتي قرب منطقة كنور إلى جهات الشمال من مدينة بربر. وفى الغالب أن مناطق شرقي البلاد قد حظيت بالعدد الأكبر منها حيث توجد مقابر للجبرت تعود إلى فترة المجاهد الإمام المجاهد احمد بن إبراهيم في أواخر القرن الخامس عشر ومطلع السادس عشر منه بمدينة كسلا قبالة جبال توتيل شرقاً وقرية ود شريفي وبمنطقة أويتلا، والتي عندها هناك تتداول بيت السكان روائة شفوية عن وجود ٩٩ مقاماً لأولياء من الجبرت[١٨٦]. فضلا عن منطقة مقلي (مكلي) بشمال مدينة كسلا المنسوبة إلى « إبراهيم مقلى » احد تجار المدينة المشاهيرين. ومنطقة « ديم النور» بمدينة القضارف. كما أن هنالك فرعاً من قبيلة الهدندوة يعرف باسم «الجبرتاب»[١٨٧].

ب) أعلام الجبرت في السودان : رغما عن أننا لا نلحظ سيادة لعنصر بعينه با سم الجبرت أو الجبرتى إلا نادرا، إلا أن المعاصر من الأعلام منهم وفى الآونة الأخيرة، قد اشتهروا وعرفوا ، في تحفظ، باسم «الجبرت». وفي الآونة الأخيرة ظهرت تسمية الجبرتي تظهر كثيرا

بعد أن عم التصنيف القبلي علي أفراد المجتمعات في السودان ، وأصبح الكثير من أفراد الجبرت يضعون نسب الجبرتي في نهاية أسمائهم .

النور أو نور ود فقرا الجبرتي:

هو من قادة الدولة المهدية في شرق السودان ، وقد ذهب للإمام المهدي يبايعه ويعترف بمهديته في قدير ، بعد أن اشتد بهم تنكيل الأحباش ومحاولات تنصيرهم.

وكان يسكن وأهله الجبرت في منطقة تبارك الله والجيرة والتومات والقلابات. فأمره الإمام المهدي علي أهله الجبرت وسكان المنطقة من الضباينة والتكارير . وكلفه بمحاربة الأحباش الدفاع عن حدود الدولة المهدية وقام القائد النور ود فقرا الجبرتي بمناوشة الأحباش وردهم عن الحدود الي ان استشهد في احدي المعارك ، فجلس عمر احمد خوجلي مكانه. وعلى عهد كل من العاهلين الخليفة عبد الله والإمبراطور الإثيوبي منليك الثاني وما كانت تصل بينهما من علاقات واتصالات سياسية ودبلوماسية فقد كان جل مبعوثى

---

(١٨٦)ود ضيف الله، طبقات ود ضيف الله في الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق سليمان داوود منديل ، القاهرة ، ١٩٣٠.

(١٨٧)الجبرتى، عبد الله نور إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص ص ٥٠- ٥٣ .

الإمبراطور من الجبرته من قبيل « محمد الطيب الجبرتي، والذي جري إرساله من قبل البلاط خلال العام ١٨٩٥ إلى أم درمان لتقوية أواصر الترابط فيما بينهما ضد القوى الأجنبية. كما أوفد مبعوثا جبرتياً آخر يدعى « الحاج احمد» فى غضـون العام .١٨٩٦ ولما تحامل الأحباش وقوى عودهم علي المجاهدين المهدويين بالمنطقة من الحدود الشـرقية، أوفد الخليفة عبد الله وفداً رفيعاً للتفاوض مع البلاط الإثيوبي بقيادة السـيد «محمد عثمان حاج خالد» والذي اصطحب في معيته في تلك الرحلة رصيفه المبعوث الإمبراطوري الجبرتى «الحاج احمد» والتي كانت تصل بينهما على الصعيد الشخصي و شائج متينة من الود والاحترام يعاونهم كل من عبد «الرحمن الجبرتي» و«بشـري» الجبرتي كحراس وأدلاء ومرشـدين[١٨٨]. ولما تناهى إلى علم الخليفة عبد الله في السنوات اللاحقة، بحقيقة الأسرى من الجبرت والذين كانوا مستقرين بمدينة القلابات قبيل مجيّ القائد يونس ود الدكيم للمنطقة في زحفه لتأديب الأحباش وكفهم عن مهاجمة الحدود الشـرقية للدولة. اسـتدعى إليه القائد ود الدكيم مسـتفسـراً ومعاتباً عن ذلك الخلط غير المتعمد. كما أصـدر أوامره بإطلاق سراحهم والترحيب بهم والإحسان إليهم والإكرام لوفادتهم. مما ترك أثراً طيباً لدى الجبرت، فعاد منهم من عاد إلي منطقة القلابات ومنهم من بقى إلى جوار الخليفة بمدينة امدرمان ملازماً له و قائماً على خدمته ومجاهداً لأعدائه[١٨٩].

وفى إفادة تلقيتها مؤخراً من أحد المختصـين والمهتمين بدراسـات القرن الإفريقي والذي كان معاصـراً للفيف من الطلاب الجبرته بمعهد امدرمان العلمي، فقد كشـفت تلك الرواية الشـفوية من فبله، إن أعداداً مقدرة من الطلاب الجبرته قد تلقوا تعليمهم « بمعهد أم درمان العلمي والغالبية منهم قد انتسبوا إلى «القسم العام» بالجامع الكبير بأم درمان وتتلمذوا على يد علماء أجلاء كان من بينهم، الفقيه الذائع الصـيت الشـيخ « على أدهم» وتلميذه « الشيخ الطاهر محمد سليمان» و« الشيخ حسن ها شم». كما كان البعض من الجبرته طلاباً بالمعهد النظامي بأم درمان الأوسـط والثانوي يأتي من أبرز علمائهم نبوغاً « الشـيخ محمد على بيان» والذي كان عالماً فقيهاً ومحدثاً لبغاً وواعظاً بالشئون الدينية وتتحتفظ الإذاعة السودانية « بقسم الأرشيف» للعديد من تسجيلاته ومواعظه وخطبه. وحول سكنهم وأماكن أقامتهم فقد أوضح محدثي أنهم قد تمركزوا

---

(١٨٨) Sanderson, G.N., « Conflict and Co-Operation between Ethiopia and the Mahdist State ١٨٨٤-١٨٩٨»., Sudan Notes and Records, Vol.٥٠, PP.١٥-٤٠ .

(١٨٩)القدال، محمد سـعيد ، المهدية والحبشـة (ماجسـتير)، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشـر، الخرطوم، ١٩٧١م، ص ١٧٨، ياجى، فيفيان أمينة، الخليفة عبد الله حياته و سياسته، ترجمة بشير مصطفى البدرى بمشاركة الريح عبد القادر عثمان، ١٩٩٠م، ص ٢٢٤ _ ٢٢٥، ٢٢٥..

بمدينة أم درمان كانوا ينتخبون المواقع الأكثر قربا إلى «المســجد» والى دور العلم «بالمعهد العلمي» كما اســتقر البعض منهم «بحي الســوق» بأم درمان للعمل بالتجارة بينما افرد الشــيخان «على احمد» و«ســليمان محمد احمد سكنا» خاصاً بهم بمدينة إم درمان. وكان الأستاذ الأخير، لتفقهه وسعة علمه، قد لقب بين أقرانه، « بمالك الصغير» بجامعة أم درمان الإ سلامية. وقد كانت لأولئك الطلاب نشاط دعوى وإر شادي ملموس أثناء وبعيد تخرجهم. بمناطق كل من كسلا ووقرة والقضارف وغيرها من الأنحاء بالشرق[١٩٠].

(١٩٠) المصدر نفسه .

الخاتمة

النتائج والتوصيات

تو صلت الدرا سة إلى أن الإ سلام وانتشاره في الشمال الشرقي من الساحل قبالة بلاد الحبشة قد ارتبط بالتو سع التجاري وهجرة الوافدين من الدعاة والعلماء إلى المنطقة وبشكل سلمى وتدريجي بدءاً بالمناطق الساحلية في أعقاب الظهور المبا شر لإ سلام والا ستقرار الكثيف المرتبط في القرن العا شر الميلادي بنشأة وقيام المراكز التجارية عند المدن الساحلية وموانئ زيلع وبربرة وغيرها من المواقع الهامة تجارياً.بلور الإسلام عقيدة وانتشاراً حقيقة الصراعات والنزاعات التي اندلعت ببلاد الحبشة خلال القرنيين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين بين سلطنة « أوفات الجبرت» و«البلاط الإثيوبي» . وقفت الدراسة على الدور التجاري وتبعاته والذي لعب فيه الجبرتة دوراً هاما ضبطاً وتوجيها وإدارة. استطاعت الدراسة أن تصوغ ومن خلال المتاح من الإفادات التاريخية الدور الذي لعبه الجبرت في الفتوحات الإسلامية لبلاد الحبشة على يد الغازي « احمد بن إبراهيم جران» ما أورد ذلك مؤثقا على يد مؤرخه الإخباري « شهاب الدين احمد ، الملقب بعرب فقيه». أبانت الدرا سة أن سطوة البلاط الإثيوبي ومحاولاته التنصير قسرا للجبرت قد دفعهم خلال المتأخر من حقب تاريخية للهجرة إلى بلدان الجوار الإسلامي لاسيما السودان. أماطت الدراسة اللثام عن الجبرت وما تبع هجراتهم إلى الدواخل من البلاد من نماذج اختلاط بالسكان عبر المصاهرة وقد جرى كل ذلك في هدوء وانسياب مفضياً إلى ظهور أجيال وأسر عائلية و شخصيات لعبت دورها في تاريخ السودان الحديث.

***

النتائج:

تمخضت عن الدراسة جملة من النتائج كان من أبرزها:

- الجبرت (الجبرتة) من العشائر العربية التي شقت طريقها من شبة جزيرة العرب تحت مختلف الدوافع إلى الساحل الشرقي من البحر الأحمر بإتحاده بلاد الحبشة والذي شكل لعاملي الموقع الجغرافي والمناخ نقطة للجذب للعديد من الهجرات والجاليات العربية لا سيما الجبرت والتي تأقلمت وانصهرت في بوتقة السكان المحليين والمشاركة من ثم في التكوين لمشيخة إسلامية عربية إفريقية ببلاد الحبشة.

- الجبرت وما عرف عنهم من سماحة في الطبع وورع وميلاً للتدين والاشتغال بعلومه الدينية والفقهية جعل منهم الأكثر قبولاً واستحساناً في الأوساط من المجتمع السوداني أفراداً وعشائر وجماعات
- كان للجبرت ومن خلال رموزهم في الســودان، ولفترات متتالية من تاريخه الحديث، باعاً ممداً في المجال الدعوى والإرشـادي والتربوي والجهادي والذي تجلى على أزمان الدولة المهدوية والحركة الوطنية وما تبعها من فترات في تاريخه المعاصر.

التوصيات:

ولدت الدراســة بما توصــلت إليه أمام الباحث ضــرورة الالتفات إلى تاريخ «الجبرت» في اهتمام وفاعلية والعمل على تناوله من كافة الزوايا التاريخية والاجتماعية والسياسية لاعتبارات التقارب والانصهار والعمق التاريخي.



التراث الثقافي للجبرت في السودان : المعالم ، الدلالة ، الوظيفة



الدكتور : قيصر موسي الزين

جامعة الخرطوم

معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية

مقدمة:

تقوم هذه الدراسة علي أساس مفاهيم نظرية تتعلق بمصطلح «التراث الثقافي»، وتوضح أن التراث في ابسط معانيه هو ما يتم حفظه ونقله وتداوله عبر الأجيال، داخل جماعية إنسانية معينة ويعبر عن هويتها ويساهم في المساعدة علي تماسكها وتحديد مقاصد وأهداف حركتها الاجتماعية، وهذه المحاولة للتعريف تأتي علي سبيل التبسيط، ويصعب وضع الحدود القاطعة بين الجماعات الإنسانية، سواء في الماضي أو الحاضر. وهذا ينطبق علي مجموعة – أو مجموعات الجبرت – التي تتعدد وجهات النظر حول تحديد أصولها واتجاهات حركتها في المكان والزمان، مع وجود قدر كبير من الاتفاق بين الباحثين حول كثير من النقاط في هذا الشأن، ومن أمثلة ذلك القول بأنهم المسلمون من أهل الحبشة، أو أنهم العفر (الدناكل)، أو أنهم الكوشيون الذين تصاهروا مع العرب في ارض الحبشة مع الهجرات بعد الإسلام أو أنهم مناطق بعينها في الحبشة – مثل زيلع وغيرها وهكذا.

تهتم الدرا سة بمجموعة «الجبرت» التي ا ستوطنت الـسودان الحالي، خا صة في مناطق البجة والبني عامر بوجه خاص، ولا يمكن الفصـــل بين هذه المجموعة الفرعية والمجموعة الكبرى في مواطنها الأصـــلية، في دراســـة التراث الثقافي ذلك رغم تأثيرات اختلاف البيئة، علي أنماط التعبير الثقافي. ومجموعة الجبرت في الســـودان مثل غيرها من المجموعات المهاجرة خارج أوطانها، تتعرض لتأثيرات متجاذبة بين الحفاظ علي الكينونة القبلية والثقافية وبين الاندماج في المجتمع المحلي وفي الكيان القومي الســـوداني، وقبل دراســـة اتجاهات هذه العملية المعقدة تبدأ الدرا سة بتناول معالم التراث الثقافي عند الجبرت بـ صورة عامة والجبرت السودانيين بصورة خاصة، ويقتضي هذا التناول تحديد التصنيف العلمي لجوانب هذا التراث، وفقاً للمعايير المعتمدة في ما يعرف بعلم أو علوم التراث، والتصنيف الذي تثبته هذه الدراسة يتضمن ما يلي:

١ – التراث الديني عند الجبرت.

٢ – الرؤية التاريخية لأصول وأنساب الجبرت.

٣ – العادات والتقاليد.

٤ – التراث المادي والفنون والمهارات.

٥ – تراث الحكم والإدارة عند الجبرت في السودان.

بعد رسم صورة واضحة المعالم في ما يتعلق بجوانب التصنيف المذكورة، اهتمت الدراسة بتحليل بعض الأبعاد الخاصــة بكل من الرمزية والوظيفة في ذلك ، وهما جانبان متميزان علي اتصــالهما، وتناولت الدراســة أيضــاً في هذا الســياق أثر عامل نمط المعيشــة والبيئة علي ثقافة الجبرت في الســودان، وعوامل أخرى تتصــل بذلك من بينها صورة الآخر المتبادلة بين الجبرت وبين من يحتكون بهم مكن السودانيين الآخرين، وقد رأي الباحث هنا الاســتئناس بنص لأحد كبار الكتاب والمفكرين الســـودانيين عن العفر، وهو نص جمال الدين محمد أحمد في كتابه (سالي فو حمر).

اعتمدت الدراســـة علي مصـــادر تاريخية معاصـــرة، ومن بين هذه المصـــادر التاريخية مؤلفات الرحالة والجغرافيين المؤرخين العرب المسلمين، مثل المسعودي والإدريسي والمقريزي وغيرهم، ومن الكتابات المعاصـــرة هنا كتاب (المنهل في تاريخ وأخبار العفر «الدناكل») للشـــيخ جمال الدين الشـــامي وابنه إبراهيم (١٩٩٧م)، ومؤلف الدكتور عبد الله نور إبراهيم الجبرتي بعنوان (السودانيون الجبرت) وقد أعده للندوة عام ٢٠١٢م عن السودانيين الجبرت.

وصلت الدراسة إلي نتائج من أبرزها:

- أن السودانيين الجبرت يمثلون مجموعة سودانية حديثة، ذات تميز عرقي واجتماعي خاص، لم يمنعها من التواصل والاندماج في المجتمعات السودانية وقد ساعد علي ذلك تشابه الأصول البعيدة – خاصة في شرق السودان – والمشترك الثقافي العربي الإسلامي والتاريخ العريق للتجاور والتداخل.

- تمثلت العناصر الثقافية وخاصة تلك المتصلة بالتراث، عاملاً هاماً في العمليات الاجتماعية والثقافية التي تؤدي إلي تطور مجتمعات السودانيين الجبرت في سياق اتصالهم وتفاعلهم مع المحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي يعيشون في إطاره في السودان.

- مثلت التحديات الكبيرة التي واجهت المسلمين من أهل الحبشة في مواجهة الكيانات المسيحية – ذات التكوين الأثني – الديني المزدوج والمستقوية بالدعم الأوروبي منذ تدخل البرتغاليين في القرن الإفريقي في القرن السادس عشر الميلادي، عاملاً هاماً في تقوية المشاعر الإسلامية والناشط الإسلامي وسط الجبرت عامة، وانتقل ذلك مع من انتقل منهم إلي ارض السودان وأصبح جزءاً مهماً من خصائصهم. ومن المتوقع أن يؤثر ذلك علي مجري التطورات في السودان باتجاه دعم حركة الإسلام فيه.

مفهوم ووظيفة التراث الثقافي: مدخل نظري :

من ضمن معاني كلمة «التراث» ما يتم حفظه ونقله عبر الأجيال داخل جماعة إنسانية كبيرة، من مآثر وانجازات روحية وفكرية ومادية، باعتباره من الممتلكات الثمينة لهذه الجماعة المرتبطة بهويتها وقيمتها. وتعبير «تراث ثقافي» يتصل بكلمة «ثقافة»، ولها معاني ودلالات عديدة. ومن أشهر تعريفات الثقافة ما ذهب إليه واحد من علماء الانثروبولوجيا (تايلور) ، وهي أنها ذلك الكل المعقد الذي يحوي المعتقدات والقيم والسلوك والانجازات في مجال الحضارة والنظم والقوانين والآداب والفنون، وكل ما تعبر به المجموعة الإنسانية عن ذاتها وربما أوحي تعبير «تراث ثقافي» بوجود تراث آخر غير ثقافي، وهذا غير دقيق. والمقصود بالتعبير الإشارة إلي الشمول الذي تنطوي عليه كلمة «ثقافة»، وذكر في مقابل القول «تراث ديني» ، «تراث أدبي»، «تراث قانوني» إلي آخر ذلك من أجزاء تبتعد عن معني الثقافة بالتجزئة والتبعيض وتخالف طبيعتها الكلية ويرتبط «التراث» عند الإنسان بمعاني التبجيل وربما التقديس، وهو يمثل بالنسبة له حاجة قوية، هامة لتوازنه ولإحساسه بالقيمة، وفي الحقيقة فإن الحرص علي التراث هو حرص علي الجماعة وتقديسه هو تقديس لها. والرابطة التي تنشأ بين أفراد الجماعة تنبع من التراث المشترك، ويؤدي تعرض التراث إلي الخطر

أو التشكيك إلي تصدعات من الجماعة الإنسانية. «والتراث» ليس ثابتاً محدداً كما قد يبدو فهو لا ينفصل عن محاولات كل جيل للنظر إليه و صياغته، في الغالب دون أن يـ شعر بأنه يـ ضفي عليه أبعاد جديدة ويدخل التراث بـ صورة مبا شرة في جدليه الثبات والتغير، وهي مرتبطة بتحولات في الجماعة الإنـ سانية أحياناً ولكنها في الغالب تتعلق بتغيرات محدودة مستجدة في مسار تطورها دون أن تفقد علي نحو مفاجئ قواعدها الأ سا سية. لذلك فهو عامل – وأحياناً أداة – إما للحفاظ والتثبيت أو للتغيير، ويمكن تعديله – أو تحريفه – للوصول إلي أهداف معينة بواسطة قوى اجتماعية

من هم الجبرت ؟ وما هي صلة تاريخهم بالتحديات الثقافية الراهنة ؟

يصعب الحديث عن تاريخ «الجبرت» دون تحديد المقصود بهذا اللفظ، وتزداد الصعوبة كلما تبين للمؤرخ المدقق عدم اتفاق الإ فادات التاريخية و تداخلها بالقصص والأخبار التي لا تخلو من بعض الجوانب الأسطورية، التي لا توجد في كثير من الحالات معطيات محددة لإثبات أو نفي صحتها. وهذه مسألة معتادة عند تناول أي تاريخ تتسم أكثر مصادره بالشفافية والتداول علي مدي القرون. ولا يغير في هذا الحكم كون أن بعض المادة التاريخية هنا قد جاءت في بطون كتب تراثية، ألفها ر حا لة وجغرافيون ومؤرخون، عرب ومسلمون[١٩١]. ذلك لأن هؤلاء اعتمدوا في الغالب علي مصادر شفاهية تحولت بوا سطتهم إلي التدوين، ويدل تقصي تلك المصادر وما كتبه أبناء «الجبرت» أنفسهم[١٩٢] علي وجود معني واسع للكلمة «الجبرت» ومعاني أخرى خاصة ضيقة، يقول عبد الله نور إبراهيم الجبرتي «أن الاسم الجبرت خصوصيته التاريخية العمومية لجميع المسلمين في شرق إفريقيا الخصوصية لفئة منهم»[١٩٣].

ويذهب نعوم شقير إلي أن: «المكادة هم الأحباش النصارى والجبرته هم الأحباش المسلمون»[١٩٤].

---

(١٩١) من بين هؤلاء ابن فضل الله العمري والمقريزي والقلقشندي والمسعودي وابن سليم الأسواني والمقدسي البشاري..

(١٩٢) يمكن الإشارة إلي كل من المصدرين:

جمال الدين الشامي وهشام بن جمال الدين الشامي، المنهل في تاريخ وأخبار العفر (الدناكل)، بدون مكان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م وعبد الله نور إبراهيم الجبرتي، السودانيون الجبرت، ضمن أوراق ندوة السودانيون الجبرت، الخرطوم، ٢٠١٢م (نشر أولي محدود خاص بالندوة في ٢٤ مارس ٢٠١٢م).

(١٩٣)عبد الله نور، مصدر سابق، ص ٥ .

(١٩٤)نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة، الخرطوم، ٢٠٠٧م، ص ٧٥.

وتعريف نعوم شقير هذا يدخل تحت مظلة ا سم «الجبرت» مجموعات مثل «العفر»و «الارومو» و«البني عامر الاريتريين» وغيرهم، ويدخل سكان أقاليم عديدة بل قد يمتد إلي بعض الصوماليين وسكان جيبوتي الحالية، بسبب تداخل هذه الدول سكانياً وثقافياً. وقد اتجه بعض الدارسين إلي اعتماد مجموعة «العفر» باعتبارها الأ ساس، دون الاهتمام بمصطلح «الجبرت» وفقاً لنظرية تقول أن «العفر» هم شعب تكون من ما يعرف بالحبشة من تصاهر الكوشيين القدماء والعرب الذين هاجروا إلي المنطقة بعد الإسلام، وأصبح الإسلام ديناً لهم، ميزهم عن غيرهم من أهل الحبشة(١٩٥).

ويلاحظ أن هذا المنظور يصطحب كلاً من العروبة – بالفهم السلالي – والإسلام في تحديد هذه المجموعة، ويفصلها ذلك عن مسلمين آخرين في أرض الحبشة، يقول مؤلفا كتاب المنهل: «أن العفر هم أمم الكوشيين الذين يسكنون سواحل البحر الأحمر والبلاد المتاخمة للحبشة من الجهة الشمالية الشرقية، نعم كان هؤلاء العرب من الذين جاءوا مع الفتح الإسلامي الأول ... ومنهم من جاء بعد ذلك بقليل في القرون الأولي من الهجرة وفي أوا سطها أيضاً ومنهم من جاء في السنين القريبة، ظهر ذلك كله في أنسابهم المحفوظة كما أثبته التاريخ وعضده من دخول الفروع القرشية من عبد الدار وبني هاشم وغيرهم من القحطابنيين والعرب المستعربة»(١٩٦).

ويري الباحثان أن الكوشيين من العفر (الدناكل) لم يبقي منهم إلا القليل بسبب غلبة العرب علي هذه المجموعة، رغم تأثيرهم الثقافي المتمثل في بعض التقاليد والأسماء(١٩٧).

هناك اتجاه آخر قوي ينزع نحو تغليب الأساس الجهوي في تحديد هذه المجموعة، فينسبها إلي إقليم زيلغ جغرافياً ومملكة «أوفات» تاريخياً. أورد إبراهيم شمس الدين محقق كتاب (عجائب الآثار) لعبد الرحمن الجبرتي، نقلاً عن الزركلي في كتابه (الأعلام): «ونسبة الجبرتي إلي جبرت وهي الزيلع في بلاد الحبشة»(١٩٨). واتفق معه في ذلك عصام أحمد العيسوي، مختصر كتاب (عجائب الآثار)، وقد أشار معتمداً علي عبد الرحمن

---

(١٩٥) جمال الشامي، مصدر سابق، ص ٤٦٧ – ٥٣٠..

(١٩٦)المصدر السابق، ص ٤٦٩. .

(١٩٧)المصدر السابق، ص ٤٦٩. .

(١٩٨)عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص ٦. .

الجبرتي نفسه أن عائلته «نزحت من إقليم جبرتي من إقليم زيلع في بلاد الحبشة إلي مصر في القرن العاشر الهجري»[١٩٩] وأورد المقريزي عن مملكة أوفات: «وملك أوفات يحكم علي الزيلع وغالب أهلها شافعية المذهب وكثير فيهم لعهدنا الحنفية وكلام أهلها باللغة الحبشية ويتكلمون أيضاً بالعربية. ولهذه المملكة عدة مدن وملكها يجلس علي كرسي ويركب بالجتر والطبل والزمر وعندهم الفواكه وقصب السكر ولهم منابت لا تعرف بمصر والشام ومنها شجرة يقال لها جات لا ثمر لها تؤكل وهي تشبه أوراق النارنج وهي تزيد في الذكاء وتذكر المنسيات وتفرح وتقلل شهوة الأكل والجماع وتقلل النوم ولأهل تلك البلاد في أكل هذه الشجرة رغبة كبيرة لاسيما أهل العلم»[٢٠٠].

يدل نص المقريزي هذا – إضافة إلي دلالته بالنسبة للأصل الإقليمي للجبرت – علي استمرارية بعض الخصائص الثقافية، التي هي من صميم الخصائص السلوكية في المنطقة المتداخلة من القرن الإفريقي وجنوب شبه الجزيرة العربية، وامتداداتها علي ساحل إفريقيا الشرقي. ولا شك أن جانباً من هذه الخصائص قد تغير عند هجرة بعض عناصر هؤلاء السكان في الإقليم المعني إلي أقاليم أخرى، في مصر والسودان مثلاً. غير أن جوانب أخرى من هذا التراث لم تتغير واستمرت ممثلة لجوانب ثقافية مشتركة لكل «الجبرت» علي اختلاف الأزمنة والأمكنة واستقصاء هذا الجانب يحتاج إلي دراسة أوسع.

تدل بعض جوانب التحليل السابق علي أن «الجبرت» يمثلون مجموعة فضفاضة تأثرت منذ نشأتها الأولي، ولا زالت تتأثر بعامل الحركة والهجرة والاتصال والتأثر بغيرها، وتتعدل خصائصها الثقافية تبعاً لذلك، لكن ليس بصورة مطلقة وإنما في إطار بعض الثوابت، علي رأسها الطابع الإسلامي القوي. وقد تأثرت في ذلك بملابسات المواجهة والتحديات التاريخية، التي كادت تعصف بوجودها، في أرض الحبشة – منذ القرن الميلادي السادس عشر – بسبب وطأة العدوان النصراني الحبشي والدعم البرتغالي لهذا العدوان، وما تلا ذلك من أشكال مختلفة للتدخل المسيحي العالمي والأوروبي[٢٠١]. وقد فرضت هذه الملابسات تداخلاً بين اتجاهين مختلفين، الأول النزعة نحو الحفاظ علي المعتقدات والقيم الدينية الإسلامية من ناحية والنزعة نحو التماسك القبلي والحفاظ علي الهوية القومية الخاصة بهذه المجموعة، وهي في حقيقتها مجموعات متداخلة

---

(١٩٩) عصام أحمد العيسوي، مختصر كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٣.

(٢٠٠) المقريزي، أحمد بن علي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، القاهرة، ١٨٩٥ من ص ٧.

(٢٠١) جمال الدين الشامي، مصدر سابق، ص ٥٢٣ وما بعدها.

ومتحركة عبر الزمان والمكان. وبسبب انقلاب موازين القوة في أرض الحبشة ضد «الجبرت» وما تعرضوا له من تضييق عرق ديني مسيحي. لم يواجه بنفس القوة المسلمين الأحباش من غير المستعربين، اتجه «الجبرت» نحو المناطق المجاورة لإثيوبيا واريتريا في العالم العربي الإسلامي مثل اليمن والسودان ومصر وبلاد الشام.

وقد كان المشترك الديني والثقافي بينهم وبين أبناء هذه البلدان سبباً في تخفيف – أو حتى انعدام – المواجهة والاحتكاك وسبباً في سهولة الاندماج والذوبان حتى أن كثيراً منهم اليوم في السودان يري عدم الحرص علي الحفاظ علي الانتساب إلي مسمي «الجبرت»[٢٠٢]، بينما يري البعض الآخر ضرورة البحث عن الأصول التاريخية بل ومداها إلي ما قبل الإسلام وتوظيف ذلك في بناء فكرة شعب وحضارة متميزة للعفر وليس للجبرت، أي اختيار الاسم الأول وتجاهل الثاني[٢٠٣].

معالم التراث الثقافي عند الجبرت:

لابد هنا من التفرقة بين مصطلحين هما: «التراث الثقافي» و«التراث الشفاهي» والمصطلح الأول أوسع، يضم الثاني مع غيره من عناصر التراث. ومن ناحية أخرى فإن تعبير «التراث» هنا أوسع من مصطلح «التراث الشعبي»، المستخدم عادة في ما يسمي بـــ «علم الفولكلور»[٢٠٤] وهو يشمل التراث الشعبي وغير الشعبي، فقي إطار وحدة كلية لا تقبل التبعيض. وذلك من دلالات مصطلح «ثقافة» نفسه فهي كل معقد مترابط[٢٠٥]. ومن أهم دلالات هذه التفرقة بين المصطلحين في هذا السياق، هو عدم إلغاء عناصر هامة، يلغيها بالضرورة استخدام مصطلح تراث شعبي دون غيره، مثل ثقافة النخبة من علماء إسلام وكذلك المصادر الإسلامية، وعلي رأسها القرآن الكريم وتلك أساسية في هذه المعالجة.

يوجد العديد من نظريات تصنيف عناصر التراث الثقافي، من وجهات نظر متباينة: انثروبولوجية، فولكلورية وغيرها. ومن الأفضل هنا النظر إلي «ظواهر الثقافة» باعتبار أن استقلالها عن الظواهر الانثروبولوجية والسوسيولوجية الفولكلورية رغم التداخل والتشابك. وقد اقتضي ذلك هنا تعديل بعض

(٢٠٢)عبد الله نور، مصدر سابق. .

(٢٠٣)جمال الدين الشامي، مصدر سابق. .

(٢٠٤) محمد الجوهري، علم الفولكلور، الجزء الأول، دار المطرف، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٣٠ – ٣١، ومقدمات الكتاب.

(٢٠٥)تعريف تايلور للثقافة، وهو انثروبولوجي أمريكي..

التصنيفات العالمية في العلوم المشار إليها، مثل تصنيف دور سون في الفولكلور[٢٠٦]، وتبني التصنيف التالي في تناول «التراث الثقافي» لمجموعة الجبرت هذا التصنيف يقوم علي العناصر التالية:

١ – التراث الديني.

٢ – أدبيات الأصل والتاريخ (التاريخ والأنساب).

٣ – العادات والتقاليد.

٤ – الخصائص اللغوية.

٥ – التراث المادي والفنون.

٦ – تراث الحكم والإدارة.

١- التراث الديني:

تتميز مجموعات «الجبرت» بوجود قوي لمشايخ وعلماء إسلام يستمدون مناهجهم ومسلماتهم الاعتقادية ونظرهم في استنباط الأحكام وما إلي ذلك، من القرآن والسنة وتراث المدارس العلمية الشرعية في عالم أهل السنة، علي نفس الأسس الموجودة في بلدان العالم الإسلامي. وربما تميزوا بتشديدهم علي «الجهاد» والمفاصلة بين الكفر والإسلام ويمكن فهم هذا التركيز علي هذه الناحية علي ضوء ما ذكر هنا عن الملابسات التاريخية للمواجهة بين المسلمين والنصارى علي أرض الحبشة. إن التقاليد العلمية الإسلامية وسط «الجبرت» كما هي وسط «العفر» تشير إلي هيمنة المذهبين الحنفي والشافعي، ولا توجد آثار لفرق إسلامية مثل الخوارج أو الشيعة أو الباطنية[٢٠٧].

وهذا الواقع الراهن يتفق مع الإشارة التاريخية للمؤرخ المقريزي[٢٠٨]. ولا يقتصر التراث الاعتقادي للعفر – أو الجبرت – علي الأصول الإسلامية فقط، بل توجد تأثيرات قديمة متوارثة في شكل أساطير، تدل علي وجود وتأثير نظم دينية أخرى غير مرئية علي مستوي السطح الثقافي، ومن ذلك الأساطير حول البراكين التي تدل علي أثر قديم متصل بعبادة الجبال[٢٠٩].

---

(٢٠٦)محمد الجوهري، مصدر سابق، ص ٩٠ – ٩٩.

(٢٠٧)جمال الدين الشامي، مصدر سابق، ص ٤١٣. .

(٢٠٨)المقريزي، مصدر سابق، ص ٧. .

(٢٠٩) جمال الدين الشامي، مصدر سابق، ص ٥١٧.

٢- أدبيات الأصل والتاريخ:

لابد هنا من التفرقة بين الحديث عن التاريخ و صورة التاريخ، كما تـ صنعها الذهنية الجمعية وبين الاثنين صلة قد تقوي أو تضعف في هذا أو ذاك من النقاط. وهذا ينطبق علي المرويات المتداولة، ويبدو أنها تقوم علي الانتقاء بهدف التركيز علي بناء «أيديولوجيا»، تدعم تماسـك «الجماعة» وتمنحها دوراً في التاريخ مرتبطاً بدورها في الحاضر واتجاه التوجه المستقبلين لحركتها الحضارية والسياسية.

ومن أمثلة ذلك التركيز علي «الأنساب العربية» مع تخفيف الحديث عن الأصول المحلية، وربط الأصول بتاريخ فترة النبوة وصـدر الإسـلام[٢١٠]. وهذا سـائد في مناطق كثيرة في العالم العربي الإسـلامي خاصـة في مناطق التداخل الأثني بين العرب (المهاجرين) والوطنيين الأصليين.

ويتضمن تراث الجبرت السودانيين بعض الآثار التاريخية ذات الصلة بالمهدية في السودان ومشاركتهم فيها[٢١١]، وهذا يوازي ما نجده في تراث «العفر» عن صـلة هذه المجموعة بجهاد أحمد إبراهيم البخاري (أو أحمد قراي)، والذي يـ شار إليه في بعض الأحيان با سم مهدي الـ صومال ويفتحون المجال لو ضع هذا البطل التاريخي ضمن العفر رغم اعتراضهم بعدم التأكد من ذلك.

وفي الواقع أن تاريخ «الجبرت» – أو العفر – ملئ بالقادة وأصحاب المآثر، والجانب السوداني منه يتصل بصـلب تاريخ السـودان المركزين خاصـة فيما يتعلق بتاريخ المهدية[٢١٢]، ويصـب هذا في اتجاه دمج هذه المجموعة في السياق السوداني.

***

٣-العادات والتقاليد:

يتميز مجتمع «الجبرت» بقوة تأثير القيم والأخلاق الفاضـلة، خاصـة تلك التي تتعلق بالكرم والحرص علي قيم الشرف واحترام النساء للرجال، والحرص علي تنشئة الأطفال علي أساس القيم الإسلامية، والحرص علي تزويج النسـاء بالرجال المسـلمين – دون تفرقة عرقية أو طبقية – مع نزوع رجالهم نحو الزواج الداخلي «من نساء الجبرت في الغالب». وفي أكثر ممارسات الجبرت المتصلة بطقوس دورة الحياة «الميلاد، الزواج، الموت» تتأثر بالتعاليم الإسلامية، مع خصائص أخرى تشبه إلي حد كبير ممارسات المجتمعات الإسلامية

---

(٢١٠) المصدر السابق، ص ٤٩٨.

(٢١١) عبد الله نور، مصدر سابق، ص ٥٤ وما بعدها.

(٢١٢)المصدر السابق، ص ٤١.

التقليدية في المنطقة غير أن مجتمعات الجبرت مثل سائر المجتمعات الإنسانية لا تخلو من اتجاهات مخالفة لقيم المجتمع العليا المشار إليها، وتبقي هذه القيم العليا إطاراً مرجعياً لتحديد الخطأ والصواب في القيم والسلوك الاجتماعي.

٤- الخصائص اللغوية:

للخصائص اللغوية بالنسبة لأي مجموعة إنسانية أهمية ثقافية أساسية، فاللغة مخزن للمعارف والخبرات والقيم، تساهم في تشكيل الذهنية الجمعية قوية التأثير علي الأفراد ومجتمعات «الجبرت» تعكس في هذه الناحية تعدد وتباين عنا صر تكوينها السلالي والأثني والاجتماعي كما تعكس تجارب التوا صل والاحتكاك مع عدة مجموعات مختلفة. واللغة العربية هي السائدة بالنسبة للجبرت السودانيين، وتوجد بجانبها لغة التقرنجيا المنسوبة إلي إقليم التقراي في إثيوبيا، وهي لغة الأم للكثير من الجبرت وتسمي أحياناً في إطار المجموعة باللغة الجبرتية. ويرجع الباحث عبد نور الجبرتي ذلك إلي أن «معظم أو غالب الجبرت المهاجرين إلي السودان في فترات التنصير القسري في القرن التاسع عشر الميلادي كانوا من منطقة تقراي في الحبشة»[٢١٣]. ويتحدث الجبرت السودانيون كذلك بلغات المجموعات التي يحتكون بها، مثل لغة البني عامر ولغة الهدندوة البدوية، وهذه اللغات سامية الطابع، حتى أن لغة التقرنجيا – في رأي عبد الله نور – تقارب ما يسمي بعربي جوبا في الصلة باللغة العربية[٢١٤]، وقد امتلك كثير من «الجبرت» مهارات لغوية تحريرية، بتأثير من نشاط تعليم وتعلم العلوم الإسلامية.

٥- التراث المادي والفنون:

من ابرز مظاهر التراث المادي عند الجبرت هو الملابس – أو الأزياء – التي تميزهم عن غيرهم كما تميز رجالهم عن نسائهم، وهذا لا ينفي وجود ما هو مشترك بينهم وبين غيرهم من المجموعات المتصلة بهم. ورد في وصف جانب من ذلك «يلبس رجال الجبرت في عصرنا هذا الثوب العربي ذو الياقة ويتعممون بالعمامة الحلبية وتسمي أبو رسمي، وهي عمامة صفراء مرسومة، وغيرها من العمائم الملونة ... هو عموم زي أهل المدن، ويرتدي أهل الريف القفطان القصير أو الطويل مع الجلباب العربي الأقصر بعض الشيء والسروال الداخلي الطويل»[٢١٥].

---

(٢١٣) المصدر السابق.

(٢١٤) المصدر السابق، ص ٤١ – ٤٢..

(٢١٥)المصدر السابق، ص ٣٦. .

ويختلف الزي عند رجال الجبرت في فصل الشتاء عن بقية الفصول، فيلبسون في مو سم الشتاء البذلة أو الجاكت الكامل ذو الأكمام الطويلة، وفي باقي الأيام يلبسون الصدرية، وهي ا صغر من صديريات الحاليين من بادية البني عامر والهدندوة، وتماثل صدرية البذلة الإفرنجية وهي متعددة الألوان إلا أن الغالب هو اللون الأسود واللون الذهبي أو الأصفر[٢١٦].

تقع أزياء نساء «الجبرت» في الإطار العام لأزياء المرأة المسلمة المتدينة، تلك التي تغطي كل الجسد وهي واسعة لا تحدد معالم الجسد، ويغلب عليهن في البيئات الريفية ارتداء الجلباب الأبيض والسروال الداخلي الطويل المطرز الأطراف[٢١٧].

اختلفت مهارات «الجبرت» في السودان عن «الجبرت» في مناطق الساحل الإفريقي، حيث كانوا يحترفون مهنة الغوص واستخراج اللؤلؤ[٢١٨] وتشذيبه وتسويقه، كما هو الحال حتى اليوم بالنسبة للعمانيين والسواحيليين.

٦- تراث الحكم والإدارة :

عرفت مجموعات «الجبرت» إدارة الدول والممالك في تاريخها كما عرفت الكثير من القواعد الفقهية ذات الطابع القانوني والتنظيمي المستمد من الشريعة الإسلامية، غير أنها فقدت ذلك بفقدان السلطان والهجرة من أوطانها، وأصبح التنظيم القبلي التقليدي سائداً وسطها غير أن من المستبعد أن تتلاشي مثل هذه الخبرات الثقافية، بما في ذلك خبراتهم العسكرية التي ظهرت إبان انخراطهم في حركة المهدية، وعندما استوطنت مجموعات «الجبرت» في شرق السودان بين قبائل البني عامر استعاروا نظم النظارة والعمومية والمشيخة، السائدة فيما يعرف بنظام الإدارة الأهلية في تلك المناطق[٢١٩]، ويشير عبد الله نور الجبرتي إلي أن للجبرت عمودية متحالفة مع قبائل البني عامر وان عدد شيوخهم الآن في مدن السودان خمسة عشر شيخاً[٢٢٠].

والواقع أن عمودية الجبرت تابعة لنظارة البني عامر وهذا في ما يبدو إجراء مرحلي لأسباب سياسية.

---

(٢١٦) المصدر السابق، ص ٣٤ – ٣٥.

(٢١٧) المصدر السابق، ص ٣٥.

(٢١٨)جمال الدين الشامي، مصدر سابق، ص ٤٣٤ – ٤٣٨ . .

(٢١٩)عبد الله نور، مصدر سابق، ص ٤٢ .

(٢٢٠)المصدر السابق، ص ٤٣ .

تحليل بعض جوانب الوظيفة والرمزية في التراث الثقافي للجبرت:

يبدو أن الجانب الوظيفي في ما تم وصـــفه من معالم لتراث الجبرت الثقافي، وقد منح التراث الديني هذه المجموعة أهم عنا صر تما سكها و صمودها أمام التحديات القا سية التي مرت بها، كما أو صلها بأمة ذات حضـــارة عالمية كبرى، هي أمة الإســـلام. وجعل لحياة أفرادها أهدافاً وجودية كبرى وغايات عظيمة وزرع الثقة والاعتداد بالذات في نفوس هؤلاء الأفراد، كما زودها بما تحتاج إليه من نظم وقيم مهمة لبناء نظام اسـري ونظم اجتماعية عديدة متصـلة به، وهذا ينسـحب بدرجة كبيرة علي التراث اللغوي ومنظومة العادات والتقاليد وغيرها من عناصـــر التراث. ولابد من ملاحظة التداخل القوي بين الجانب الوظيفي والمعرفي في هذا السياق.

ولا يتحقق هذا الجانب الوظيفي بدون الأثر الفعال لعناصـــر الرمزية في التراث الثقافي المشـــار إليه، ومعظمها يتصـــل إما بـــــ «المعرفة» ويعمل علي ترســـيخها من خلال آلية نفســـية اجتماعية معروفة في علم الاجتماع المعرفي أو يتصل بـ «الجماعات» وللجبرت، مثل غيرهم من المجتمعات ذات الجذور الحضارية، فنون قولية وســـماعية وبصـــرية وحركية، تقوم علي أســـاس «الجماليات» يظهر بعضها في احتفالات دورة الحياة – كما في الزواج وغيره ويظهر بعضها في زينة الرجال والنساء – في الزخارف والرســـومات وجمالية الألوان. جزء من هذا يعود إلي أنماط عالية وإقليمية، مقتبســـة عبر التواصـــل والتأثر الإعلامي أو من مكان إلي آخر. وجزء آخر أنتجه ذوق المجتمع «الجبرتي» نفســه وكثير منها متصـل بالجذور الثقافية الإسلامية.

***

التراث الثقافي والتغيير:

تزداد وتيرة التحضـــر، ســـكني المدن والاندماج في أنماط حياتها ونظمها المعيشـــية، وســـط الجبرت الســـودانيين، مثل غيرهم من أهل الســـودان، وتضـعف هذه العملية بطبيعتها الأنماط البدوية والريفية، وهي مرتبطة بصورة مباشرة ببقاء واستمرار الثقافة التقليدية وبعض جوانب التراث الثقافي، مثل العادات والتقاليد وغيرها. ويســـتثني من ذلك بعض عناصـــر الموروث الديني واللغوي، وهي عناصـــر لا يختص بها الجبرت الســـودانيين دون غيرهم من المجموعات الســـودانية المســـلمة الأخرى، وعملية التحضـــر هنا مقترنة بعملية مصاحبة، وهي التحديث وما يرتبط بها من تغلغل لنظم وقيم وافدة من الحضارة الغربية. وهي أيضاً تأثيرات تشمل كل المكون الاجتماعي السوداني، الذي لا يستوعب أو يقبل كل المؤثرات الخارجية خاصة تلك التي

تعارض قاعدة تكوينه الثقافي. ومع ذلك فإن التغير يحدث للجميع وتضــعف بالتدريج ولكن ليس كل عناصــر التكوينات القبلية التقليدية يعني هذا ضــمن ما يعني اتجاه مجتمعات الجبرت الســودانيين من ناحية الحكم للاندماج التدريجي في المجتمعات الســودانية المحيطة بها، لكنها تحتاج خلال هذه العملية إلي قدر من الذاتية والاســتقلال. ذلك لازم لحمايتها من طوفان التغير الســريع الخطر، الذي قد يعني التفكك. ومن الطبيعي أن تقاوم ذلك بصورة واعية أو غير واعية، ولكي تفعل ذلك تحتاج إلي التمسك ببعض عناصر تراثها الثقافي غير المشترك مع الآخرين، لذلك يستمر ويتجدد الدور الوظيفي لذلك التراث الثقافي.

صورة الآخر في التراث الثقافي ودورها في اتجاه التطور والتغير:

صــورة الآخر هي جزء من صــورة العالم كل مجموعة تنظر من خلال اســتقلالها وتميزها إلي ما تعتبره مختلفاً عنها، من مجموعات، أو أفراد ينتمون إلي هذه المجموعات. وقد تكون هذه الصورة سلبية أو ايجابية وهناك درجات مختلفة من الســلبية والايجابية فصــورة الآخر ذات طبيعة ذهنية نفســية، لا تخلو من وظيفية، كثيراً ما تكون دفاعية وهي متصلة بجانب من التكوين الثقافي، الذي يحدد درجة انغلاق المجموعة وتوجسها من نوايا الآخرين المتوهمة أو الحقيقية، أو درجة انفتاحها وقابليتها للتواصــل وربما الاندماج. إذا كانت صورة الآخر ايجابية من الطرفين (الذات والآخر) يسهل الاندماج ويقل خطر الاحتكاك واحتمال العدوان. وتصــبح صــورة الآخر موضــوعاً هاماً وحســاســاً بين من يعتبرون غرباء – والمهاجرون جزء منهم – وبين أصــحاب المكان قبل مجيء هؤلاء الغرباء وتوجد كثير من المؤشــرات علي ذوبان بعض المجموعات المهاجرة من إثيوبيا واريتريا إلي الســودان فالمجتمعات الســودانية بســرعة نســبية ربما حدث ذلك بدرجات متفاوتة غير متســاوية بالنســبة للمجموعات المهاجرة الإثيوبية والاريترية المختلفة. وتوجد فرضــية قوية أنه كلما كانت التكوينات الثقافية مشتركة بين المهاجرين من هذين القطرين وبين السودانيين، كلما كانت درجة قبول وحدوث الاندماج أكبر، أكثر ســهولة وســرعة. وهذه يحدث في حالة المســلمين من المهاجرين ومن بينهم الجبرت. وذلك لا يعني بالضرورة أن غير المسلمين لا يملكون مشتركات ثقافية أو سلالية بينهم وبين المجموعات السودانية أو أن الاندماج لا يحدث في حالتهم، وإنما يعني السرعة والسهولة والنجاح النسبي للاندماج أو التقارب علي الأقل. هذه مجرد فرضــية تؤيدها مؤشــرات، وليســت نتيجة قاطعة ونهائية. فالأمر يحتاج إلي مزيد من الاســتقصــاء والدراســة الميدانية ويمكن هنا الإشــارة إلي رأي واحد من كبار المفكرين الـ سودانيين، الذي له خبرة كبيرة بإثيوبيا واريتريا، وقد سجل رأياً هاماً عن «العفر» ، يمكن أن يعكس إحدى طرق التفكير المهمة في الذهنية السودانية في هذا السياق.

ذكر جمال محمد أحمد في مقدمة قصة شعبية اختارها من بادية الدناكل عن عفار «في الشمال الشرقي من إثيوبيا تقع بادية الدناكل، كما يطيب للإثيوبيين أن يسموها و«عفار» كما يطيب لأهلها أن يسموها، وتعني الكلمة في لغة أهل عفار معني يمثل الكبرياء هذه البادية القديمة قدن التاريخ ... يحترمون أنفسهم احتراماً يقرب من الزهو، وتخاف شدتهم قبائل الأحباش المجاورة، والتقراي صوب الشمال، والجنوب. وقد اختبر بعضهم البعض في حروب القبائل في الزمان القديم... يتنقلون من مكان لآخر تنقلاً متصلاً يستحيل معه أن يقتني الواحد شيئاً ذا بال، أو يتعلم إلا قليلاً من أصول دينه، وذلك عن شيوخه الذين ما زالوا لعهدهم في القرون الوسطي، يعبرون البحر الأحمر إلي زبيد في اليمن، يقضون السنين الطويلة يحفظون القرآن الكريم وأصول الدين ... ومما هو جدير بالذكر أن جماعات من السودانيين جاءت ... تعيش في واحات هذه البادية في رعاية سلطان يحرص عليهم حرصه علي أهله، ولو رايته بينهم حسبته شيخاً من مشايخ العرب عندنا، جبهته وتقاطيعه وطوله الفارع ولونه الأخضر ونقاه وورعه فجامعه الإسلام في هذه الأقاليم البعيدة من اقوي الروابط»[٢٢١].

ذكر جمال محمد ذلك من واقع زيارته لبادية العفر وقضائه ليلة مع سلطان العفر، الذي أشار إليه ويمكن مقارنة ما ذكره هنا مع ما أورده عن الشخصية الإثيوبية وكان ناقداً لها لم ينسب إليها فضائل الأخلاق وإنما نسب إليها المكر والدهاء. ويمثل جمال هنا نموذجاً لصورة الآخر عند السوداني تجاه «العفر» أو «الجبرت» وهي تقترب من جعل هذا الآخر جزءاً من الذات.

التراث الثقافي والحفاظ علي الهوية الذاتية للجبرت في السودان:

أشارت هذه الدراسة إلي وجود عوامل اجتماعية تعمل علي إضعاف الحواجز – المتمثلة في بعض عناصر الاختلاف الثقافي – وهي ثانوية بين الجبرت المستوطنين في السودان والمجموعات السودانية الأخرى، وان هذا التطور يجري لصالح العملية التلقائية قد تواجهها إرادة مؤثرة في الاتجاه المعاكس، إذا قامت عناصر ناشطة بالعمل علي تقوية الكيان الجمعي للجبرت علي خصائصه الذاتية. قد يحدث ذلك علي نحو طبيعي باعتبار أن أي كيان قائم لا يقبل التلاشي والذوبان، لأن تراثه الثقافي – بحكم دوره الوظيفي في الحفاظ علي الجماعة – يقاوم الاندماج. ومن شواهد هذا الدرجة العالية للتزاوج الداخلي وسط مجموعات الجبرت. خاصة في المناطق الريفية كذلك الاهتمام وسط قادتهم المفكرين بلم شمل المجموعة وتجنبها مخاطر التفكك وتقوية شعور أفرادها بقيمة تراثها وتاريخها مما يقوي عصبة الانتماء إليها، ومثل هذا الوضع قد

---

(٢٢١)جمال محمد أحمد، سالي فوحمر، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ١٩٦٨م، ص ٨١ – ٨٢.

يخلق قدراً من التناقض داخل المجموعة التي قد يري بعض أفرادها أن مصالحهم تقتضي إزالة الحواجز أمام الاندماج في المجتمع السوداني، وقد لمس هذا التناقض عبد الله نور الجبرتي، حيث أشار إلي عدم وجود اتفاق بين الجبرت علي اتجاه الاحتفاظ باسم وكيان القبيلة[٢٢٢][٣٠].

بالرغم من ما تم ذكره هنا، يمكن حل أو تخفيف هذه المشــكلة عن طريق تبني حل وســط تســير به المجموعة لتحقيق التوازن بين الاسـتقلال والذاتية، لكن كمجموعة سـودانية وتصـبح بذلك مثل غيرها من القبائل الـ سودانية التي تحتفظ بكينونتها وخـ صائـ صها دون أن تـ شعر بتناقض مع الانتماء الـ سوداني القومي، وهذا يتطلب من الجبرت الابتعاد عن تقوية إحساسهم بالانتماء الوجداني وربما العمل إلي دولة أخرى خارج السودان، وتحويل هذا الانتماء الوجداني إلي مجرد ذكرى تخص الأسلاف والتاريخ، وقد لا يحتاج الجبرت إلي ذكر إذا تطورت «أيديولوجيا» انتماء إسلامي، وسط السودانيين ووسط الجبرت، يجعل الانتماء القطري القومي من الدرجة الثانية.

خاتمة: خلاصة ونتائج

حاولت الدراسة التعرف علي بعض عناصر التراث الثقافي الخاصة بمجموعات «الجبرت»، وعملت علي ربط ذلك بتاريخ هذه المجموعات وحاضرها وتوجهاتها المستقبلية، خاصة فيما يتعلق بالحفاظ علي هويتها أو اندماجها في المجتمعات التي رحلت إليها واســتوطنت فيها في الســودان بوجه خاص، وأشــارت إلي أن الجبرت الســودانيين في طريقهم إلي الاندماج في المجتمع الســوداني مع الاحتفاظ بقدر من التميز، مهم لبقاء هذه المجتمعات متماســكة في إطار هويتها الحالية، وأوضــحت الأبعاد الوظيفية لذلك، كما أشــارت إلي دينامية عملية الاندماج/ التماسك وصلة ذلك بالتراث الثقافي. أوضحت كذلك أن العامل الديني الإسلامي يمثل حجر الزاوية في منح الجبرت هويتهم وتماســكهم الداخلي من ناحية وفي إتاحة فرص التواصــل من والاندماج الجزئي التطوري مع المجتمعات السودانية المسلمة الأخرى، وذكرت أن العوامل المساعدة هنا في هذا السياق تشابه الأصول البعيدة، خاصة في شرق السودان والمشترك الثقافي العربي الإسلامي والتاريخ العريق للتجاور والتداخل.

(٢٢٢) المصدر نفسه .

أوضــحت الدراســة من خلال التحليل التاريخي أن التحديات الكبيرة التي واجهت المســلمين من أهل الحبشــة في مواجهة الكيانات المســيحية المحلية والعالمية، كانت عاملاً هاماً في تقوية المشــاعر الإســلامية والنشاط الإسلامي وسط «الجبرت»، وانتقل ذلك مع من انتقل منهم إلي أرض السودان، وأصبح جزءاً مهماً من خصائصهم ومن المتوقع أن يؤثر ذلك علي مجري التطورات في السودان، باتجاه دعم حركة الإسلام فيه، وربما ســاهم ذلك في نهاية المطاف في تعديل بعض مقومات الدولة القطرية القومية القائمة حالياً في بلدان المنطقة المختلفة، خاصة في ما يتعلق باعتماد وحدة التراب أساساً للانتماء وليس الوشائج الإسلامية.